سياسة الحسين

الحر الأبي والشهم الغيور والسياسي المحنك والبطل الخالد والحكيم المفكر والقائد الم

سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين عليه السلام

كلمات ومباحث تزيد القارئ بصيرة في عظمة النهضة الحسيـ

لأنها ترد كل شبهة تحوم حولها وتتعرض للجواب عن كل اعتراض قد يوجـ

اعدها ذخيرة لعقباه

المذنب الاقل الجاني والمتعطش لفيض ربه السبحاني

الحاج الشيخ عبد العظيم الربيعي

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف وفقه الله تعالى لمراضيه

الجزء الأول ١٣٧٨ هـ والجزء الثاني

طبع في مطبعة رشدية بالأفست

شبكة الفكر
alfeker.net

الإهداء

سلامٌ عليك شهيد الإبا (حسين) وخامس أهل العبا
فداؤك نفسي أأُهدي إليك (كتاباً) بمعناك قد أُعجبا

سيدي أبا عبد الله

روحي فداك، تتوقُ نفسي ويهتف بي ضميري أن أهدي هذا المجهودَ الضئيل لعتبتك العالية القدسيّة، ليشرف بنفحة من نفحاتك الإلهية، ولكنّ الشيء إذا وُضع في غير محلّه نَبا عنه فإنّ محلك أرفع وأسمى، (وفي مدح الله لك غنى عن مدح المادحين وتقريظِ الواصفين) فتفضّل يا سيّدي ومولاي بنظرةٍ منك إليه، وتكرّم بلمحة عطف منك عليه، فما سليمان بن داود بأكرمَ منك في قبوله الهديّة الحقيرة من النملة

عبد العظيم الربيعي

ملحوظة:
كتبت هذه الأسطر بقلم المؤلف
لتكون ذكرى لي ونموذجاً لقلمه،

صاحب سياسة الحسين

الحاج الشيخ عبد العظيم الربعي

لا يشكر الله من لم يشكر الناس

يفرض عليّ وجداني - وأنا أقدم كتابي إلى المطبعة ليكتسي حلة الطبع ويشرق في الأرض ويغرب - أن أقدم شكري الجزيل وثنائي الجميل لجميع الذوات الذين آزروني وشجعوني على طبعه وسعوا جهدهم في نشره من أهالي القصبة والمنيوحي وآبادان وضواحيها والفاو والكويت والبحرين والقطيف وأخص بالذكر منهم أدلاء المساعدة ودعاة التعاون على البر والتقوى، كابن العم الحاج الشيخ منصور الشيخ محمد، وابن العم الحاج الشيخ عبد المجيد الشيخ علي آل العلامة الشيخ جعفر والأخوال السادة الموسويين الحاج السيد سلمان والحاج السيد صالح وأخيه السيد ياسر والحاج السيد عبد الحافظ الموسوي، والحاج السيد وهب الموسوي، والحاج الملا عطية الجمري الشاعر الشهير، وتلميذه الملا محمد علي الناصري، والحاج الملا عبد الرحيم ابن الملا عبد الهادي وأضرابهم، والمرء كثير بإخوانه عزيز بأنصاره وأعوانه، فشكر الله سعيهم وأحسن جزاءهم عن المؤلف الداعي

لعظمتهم عبد الرحيم البري

المؤلف الرئيسي

والسبب الذي دعاه لتأليف الكتاب

قال الله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» فلم يرد تعالى أجراً لرسالة نبيه من أمته إلا مودة قرباه، لكن الأمة - ويا للأسف - عملوا بالعكس حتى لو سأل خذلانهم وبغضهم لم يجدوا مزيداً على ما فعلوا بهم، ناهيك ما صنعوا بسبطه الحسين الذي كان يحبه حباً شديداً من خذلانه وقتله بعد إعطائه من أنفسهم العهود الوثيقة، ثم قتلوه تزلفاً ليزيد وابن زياد «ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون»؟

ثم جاء طواغيت بني العباس - فندموا أن لا يكونوا اشتركوا في قتله فتتبعوا رمسه الشريف مع علمهم بأنه «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» فأرادوا هدمه وإعفاء أثره بحرثه وإجراء الماء عليه وزرعه، وأنى لهم بذلك وقد أذن الله أن يرفع، ومن يضع من رفعه الله

ثم جاء جيل من المهوسين(١) من الكتاب وحملة أقلام السوء الذين لا يزالون يبثون بذور الفتنة ويدسون التعاليم السيئة في الخلق، فجعلوا يعترضون على الحسين ع في تلك النهضة حتى حكي عن ابن العربي

(١) الهوس: الحيرة والاضطراب وخفة العقل والمهوسون جمع اسم الفاعل منه

مقدمة المؤلف

كلمته الخبيثة التي اجترأ بها على قدس سيد الشهداء وهي قوله «إن الحسين لما خرج عن حده قتل بسيف جده» وما زالت مثل هذه الشبه تربو في منابت الأذهان الضعيفة حيث تسقى بماء التعصب والعناد فأزرت(١) فروعها حتى عمت البلوى وبلغت الشبهة أذهان الضعفاء من الشيعة، وما أكثر أولئك الهمج الرعاع أتباع كل ناعق فما زلت تسمعهم لم يصالح الحسين يزيد، وكيف نهض لقتاله مع قلة العدد فألقى بيده الى التهلكة ولماذا، وكيف، وكيف، من أمثال هذا وقد نهض العلماء وحملة أقلام الأصلاح منا لمعارضتهم، فأوضحوا الأمر بعد التبيان وتركوا شبها القوم كسراب بقيعة؛

وإذ رأيت أن في الحالة نوع اختلال في الاستفادة كتبت هذه الكلمة وإن لم أعد من فرسان هذه الحلبة، ولا من ذوي الأنصباء في هذه القسمة، والله الهادي الموفق للصواب، فإن أصبت فقد شملتني نفحة قدسية من روحانية سيد الشهداء، وله الفضل والمنة، وإن أخطأت فما المعاتب غيري ولا الملوم سواي. ولكني أرجو من القارئ السماح ومن الله الغفران والتسديد؟

للمؤلف

عبد العظيم الربيعي

---

(١) أزرت: كثفت والتفت والمقصود الكثرة الهائلة من الاعتراضات

٭ كيفية الاعتراض بوجهين ومماشاة المعترضين ٭

يجري الكلام مع المعترض على وجهين [الاول] فرض الحسين (ع) - وهو الحق - إماماً معصوماً قائماً مقام جده ، لا ينطق عن الهوى ولا يسبق ربه بالقول ، وهو اعتقاد الشيعة كافة في الأنبياء وأوصيائهم ، ومع هذا الفرض تسقط الاعتراضات كلها دفعة واحدة ، حيث جعلنا الحسين مسدداً في جميع أموره ، وليس له حركة ولا سكون الا بأمر من الله عز وجل ، اما بطريق الوصية له من جده ؛ او رؤياه في الطيف ، او فتحه للصحيفة المختومة ، او الجفر والجامعة ، او غيرها من طرق علم الإمام التي ليس هذا محل ذكرها ، أجل فان كل اعتراض على المأمور يرجع بداهة العقل الى آمره ومسدده ، وتعالى الله عن فعل العبث علواً كبيراً . ويكفينا في مقام اثبات هذا الأمر للحسين دليل واحد هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتكفينا منه آية واحدة هي قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فقد اتفق المفسرون على نزولها في اهل العبا واذا كان الحسين يدعي الامامة - وحاشاه كاذبا لزم كذب القرآن في تطهيره من الرجس فان ادعاء الشخص مقاماً ليس من اهله (بجهل منه) كذب عظيم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فأين التطهير المذكور الثاني ان نفرض الحسين من سائر افراد الامة ، مجرداً - وحاشا مقامه الرفيع - عن وصف الامامة والعصمة فنحتاج حينذاك الى المشي مع المعترض على ما في سيرة الحسين ، لنقف معه على ما يتوهمه شللاً محتاجاً للشيء من الاصلاح والترميم :

٭ فكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم ٭

لماذا امتنع عن بيعة يزيد

علم يزيد من جاري سيرة الحسين، ومن وصية أبيه معاوية، ومن أمور كثيرة، أن بيعة الحسين له إحدى المستحيلات، فتوسل بلغط طلب البيعة منه لتعجيل الانتقام له وللأشياخ المقتولين بسيف علي بن أبي طالب من بني هاشم التي لعبت - بزعمه - بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل، فكانت سلامة الحسين لديه من القتل معلقة على أمر محال ولو قدر أن أخلفه يقينه فبايع الحسين وتركه يستبد بالخلافة، فإن سلفه معاوية قد عبد له الطريق في غيلة المسالم باللبن المسموم وملأ مسامعه بكلمته الجارية مجرى المثل «إن لله جنوداً من عسل» فافتتح التركتاب للوليد، مقترحاً عليه بعث رأس الحسين مع الجواب إذا امتنع عن بيعته، وامتناع الحسين عن بيعته أمر مفروغ منه في عقيدته

ولننظر ماذا صنع سفير يزيد الذي أسند إليه هذا الأمر الخطير، لعمري لقد صدق صاحب المثل إذ يقول: «الرسول عقل المرسل» فإن الوليد زاد في الطنبور نغمة، حيث لم يكتف بعرض كتاب يزيد على الحسين عليه السلام وكفى به منفراً لكل أحد لاشتماله على التهديد والتوعيد بالقتل، بل أضاف إليه إحضار مروان بن الحكم يستشيره ويستعين به في الأمر، كأنه لم يعلم من سيرته تترعه في إلقاح الفتنة، وإضرام نارها بين الناس، أم لم يدر أن عثمان إنما قتله حصائد لسان مروان،

وكم نزع الى غوائل بني هاشم ، واراد التشفي منهم لأبيه الوزغ طريد رسول الله ، مثل رميه لجنازة الحسن عليه السلام بالسهام حيث توهم ان سيدفن بجوار جده رسول الله ، ومن اراد نجاح مقصده واحتاج الى الواسطة اختار كاملا سهل الاعتذار يؤلف بين الماء والنار ، محبوباً لدى الطرفين ليكون مقبول الكلام عندهما ، غير متهم بشيء مما تنفر الطباع منه ولكن اختيار المرء دليل عقله ، فاختار الوليد لنجاح مهمته مروان ، و الطيور على اشباهها تقع ،

هذا ولكن الحسين لم يرتبه عرض كتاب يزيد عليه ، ولا توسيط مروان ، ولا احضاره لديهما ليلاً بل اجاب - مطمئن الجاش - بان امر الخلافة لعظمه وخطره يجب فيه التثبت ، ويلزم ان يكون حسمه بملأ من الناس وفيهم اهل الحل والعقد ، والبقية الباقية من المهاجرين والانصار ، و خيرة اصحاب رسول الله ،

وهذا اول ما ينكره المعترض على الحسين ، وليت شعري متى كان الجهر ببيعة الخلافة ، وبيان الحقيقة الراهنة في هذا الامر المهم من الامور المنكرة ، افي الشرع ام العرف ، اليست الخلافة عقد نظام الدين والدنيا ، أليست لا تكون إلا عن نص او اختيار ، فاين النص على يزيد ، واذا كانت عن اختيار فمن حضر في ذلك المجلس ليختار يزيد ، ام تقولون هو مروان بن الحكم والوليد ،

ثم هل يكون بدعاً اذا ظن الحسين انه اولى من يزيد بالخلافة ،

فاستمهل الوليد كي يصدع بحجته أمام أمة جادة لتنكشف الحقيقة ولا يكون أمر الخلق غمة ، فإنه وكل أحد يعتقد أنه أولى بالخلافة من كل أحد فضلا عن يزيد ، لقربه من رسول الله ، واستجماعه لصفات الكمال ، و لتقديم أصحاب النبي له ، ولكبر سنه - على الأقل - وهو أكبر حجة للسلف يزيدا الطالح على سلفه الصالح ، ولعدم استحقاق معاوية لها حتى يجعلها في يزيد ، ولو فرض أنه مستحق لها فقد كان من شروط الصلح بينه وبين الحسن أن لا يعقدها إلا للحسن ثم للحسين بعده ، ثم الخيار للأمة في اختيار الخليفة بعدهما ، وأن لا يعقدها لأحد من ذريته ،

وبعد فلو جعل المعترض امتناعه من البيعة لهذه الأمور موبقة قد ارتكبها الحسين فإنه قد تاب منها سريعا واستغفر ، حيث وعد الرجلين - وهو صادق الوعد - بقوله : « إن مثلي لا يبايع سرا ، ولا أظنكم ترضون بهذا ، ولكن إذا خرجت غدا ودعوت الناس فادعنا معهم ، وكنت أول مبايع » فكان الحزم للرجلين أن لا يجرحا عاطفته بشيء حتى يحضر بملأ من الناس ، فإذا هرع الناس لبيعة يزيد كما يظن الوليد ويعتقد مروان ساعدوهما على الحسين حتى يدخل فيما دخل فيه الناس ،

لكن هذا لا يروق في نظر مروان ، دون أن يخف لسجيته فيأمر الوليد بقتل الحسين ، ولا أراه يجهل أن مع الحسين رجالا من فتيانه يمنعونه من القتل وربما كانت الدائرة عليه وعلى صاحبه ، غير أن الرجل نزاع إلى إضرام نار الفتنة ، وإن أحرقته ومن يحب ، شروى ما عمل يوم الدار ، حيث قتل

بفتنة عثمان. وضُرِبَ هو على عُنُقِه قضاءً أصوَرَ ما نال العنق

وأمّا الحسين فقد تذكّر سوابق مروان مستشار بني أمية مع أهل بيته فنفر من الوليد وأخذ بالتدابير اللازمة لما فيه صلاح نفسه وإصلاح أمّة جدّه، فإنه عن وصول غائلتهما إليه امنع من عقاب الجوّ بفتيانه الصِّيد البواسل، وإذا بايع يزيد الكافر الفاجر - وهو على ما هو عليه من المنعة - فقد باع ضميره ووجدانه وباع أمّة جدّه التي ضحّى بمهجته لبناء كيانها على يزيد لينتقم منها ويثأر بها من نبيها،

وقد قرأ عامة الناس عن سيرة الوليد هذه الكلمة هكذا «وكان الوليد رجلاً يحب العافية» وظني أن هذا اشتباه من قراءة القلم الكوفي وصوابه يخشى العاقبة، فإنه لم يعص مروان في عدم معاجلة الحسين ع بالقتل إلا لعلمه أن الحسين قد أخذ منه الحذر بخلافه، فلو أطاع مروان وتعرّض للحسين بسوء لقضت عليهما سيوف بني هاشم في الحال، فكانا لهم لقمة سائغة ولكنه توارى بالتقوى وأظهر النسك، يخادع به نفسه وصاحبه

ومما يبرهن على ذلك أنه لمّا اجتمع شياطينه حوله، وثاب إليه أبالسته طلب قتل الحسين أشدّ الطلب ثلاث ليال سويّاً ولم تخطر له التقوى ببال، لكن منع منه الأجل، وقد صرّح بالحقيقة، حيث قال: «الحمد لله الذي أخرجه - أي الحسين - ولم يبتلني بدمه» وكان الحسين إذ ذاك يقلّب خدّه الشريف على ضريح جدّه رسول الله ويشكو له ما لاقى من أمّته قائلاً (ضمّني عندك يا جدّاه، في هذا الضريح) ع

لماذا يتعرض لقافلة تجارية بن يسان

لمّا هاجر الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن مكة وطنه العزيز ، لشدة أذى قريش له ولأصحابه الذين اعتنقوا دين الله معه ، وقد ظاهر قريشاً عليه كثير من العرب وغيرهم ، وقد بدت العداوة بين الحزبين كانت الغارات بينهما - كالحروب - سجالاً ، فربما ظفر الرسول أو بعض سراياه بقافلة أو سرح لمكة أو من ظاهرها من العرب ، وربما أغار هؤلاء على سرح المدينة فقتلوا من أصابوا من الرعاة واستاقوا النعم ، وقد ذكرت الرواية أن بعض سراياه - وهي سرية عبد الله ابن جحش - تعرضت بدون أمر الرسول لقافلة من قوافل قريش صادرة إلى مكة ، فقتلت عمرو بن الحضرمي ، وظفرت بالعير وأسرت أسيرين ، واعتصم الباقون بالفرار ، وكان ذلك في سلخ رجب الحرام ، فقال صلى الله عليه وآله « ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام » وأوقف العير والأسيرين ، واغتنم المشركون الفرصة في تعيير الرسول وأصحابه بأنهم استحلوا القتال في الشهر الحرام ، فسقط في أيدي السرية ، وأكل الهم قلوب أصحابها ، حتى فرج الله عنهم إذ فصل بينهم وبين خصومهم - وهو خير الفاصلين - بقوله تعالى « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله ، وكفر به ، والمسجد الحرام ، وإخراج

أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا »

فعلمتهم الآية الشريفة وجه الحجة على خصومهم والغلبة والاستظهار عليهم، بتسليم أن القتال في الشهر الحرام في حد ذاته يجب الكف عنه - ولكنكم أيها المشركون - نسيتم ما انتهكتم من الحرمات، من كفركم بالله وبالمسجد الحرام، وصدكم عن سبيل الله وتنمركم علينا، فعذبتمونا أشد العذاب حتى ألجأتمونا إلى الخروج عن حرم الله ومسقط رؤوسنا، وحتى فتنتم صاحب الإيمان المستودع عن دينه، فكفر بعد إسلامه إذ جرفه تيار تعذيبكم، ثم ها أنتم أولاء دائبون في قتالنا طلباً لغاية ردنا للكفران استطعتم أفتفعلون هذه الجرائم كلها ابتداء، ثم تعيروننا أن جازيناكم بواحدة منها « والبادي بالشر أظلم، وجزاء سيئة سيئة مثلها، وهل نجازي إلا الكفور ،

فهل يجوز في المنطق الصحيح - بعد هذا البيان - لأحد أن يعترض على الحسين حفيد الرسول بتعرضه لقافلة بحير بن ريسان عامل يزيد على اليمن في التنعيم خارج الحرم، وفيها الورس والحلل، قد بعث بها إلى يزيد، كلا فإن الحسين لم يخرج من مكة إلا وقد بدت العداوة والبغضاء بينه وبين حزب يزيد، أن بايعته الكوفة على العمل بكتاب الله وإحياء سنة رسول الله ولم يلق زمام الأمة

بيد يزيد يفعل بها ما شاء وشاء نزقه وخرقه ، فهو لعمري أكبر المجرمين في نظر يزيد وأتباع يزيد. وكان خروجه من الحرم - وهو ابنه - كرهاً وقهراً لأنه خاف أن تهتك حرمة الحرم بإلقاء القبض عليه فيه أو لقتله به. ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة أو بين الركن و المقام ، كما أوعز يزيد بذلك إلى شياطينه الثلاثين الذين دسّهم في الحاج ، كما أن سريّة يحيى بن سعيد أخي أمير الحاج عمرو الأشدق أرادت أن تردّه إلى القتل أو الكفر باتباع يزيد والرضوخ لمنكراته ، فامتنع الحسين أشدّ الامتناع حتى تضارب الفريقان بالسياط ، و كادوا يمتشقون الحسام ويشرعون الرماح ، وهذا كله في الشهر الحرام والبلد الحرام ، فيكون جوابنا عن الحسين حفيد المصطفى عين الجواب عن جدّه المصطفى ، ما أشبه النور بالنور والضوء بالضوء

مع أنّ الجواب الحقيقي أنّ له مقام جدّه المصطفى وقد جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم فضلاً عن أموالهم ، وهو الإمام الحق وله بيت المال دون يزيد شارب الخمور وراكب الفجور ، وخرج الحسين - بأبي أمي - منفياً من مكة وهو ابنها وأعاد تاريخ جدّه الأعظم في هجرته و مأساته الحزينة غير أنّ جدّه لم تروّع له في خروجه حرم ولا أطفال ، وحفيده يرى حرمه وأطفاله تكاد تخرج أرواحهم بخروجهم من الحرم في يوم تروية ، والناس تفد لم

وعادت الكعبة حتى اللقا ... ترفل في حدادها مطرفا
إذ ترك الحج لها عاملاً ... بمنسك من حجها أشرفا

لم لم يأخذ الحذر من العدو

قالوا إنّ مسلم بن عقيل رجل لم تحنّكه التجارب، ولم يأخذ بنصيب وافر من سياسة الأمور العامّة، فكيف أرسله الحسين للكوفة نائباً عنه وقائماً مقامه، ولو كان بارعاً في إدارة الشؤون المهمّة لأخرج النعمان بن بشير عامل يزيد على الكوفة من قصر الأمارة، لأنّه عشّ الظلم الذي أوى إليه ابن زياد عند دخوله الكوفة فأنّ مسلماً قطع ذنب الأفعى وترك رأسها، ولو كان حازماً لطوّق الكوفة بالمسالح(١) ونظّم العساكر الجوّالة في أفواه الطرق المفضية إليها حتّى يوصدها في وجه كلّ داخل فيها ومخوف عليها، وليستبرئوا له البرّ حتّى يسلّم الكوفة لمولاه الحسين بسلام، وقد كتب له بتعجيل القدوم، فلا يتسرّب من جرّاء هذا الأهمال دخول ابن زياد إليها فيأوي إلى قصر الأمارة وينظّم المسالح ويطوّق الكوفة بالطلايع والعساكر وينتهي الأمر بقتل مسلم على يده، ثمّ يلحق به سيّده الحسين،

هذا ويمكن الجواب عن الأعتراض الأوّل بأنّ مسلماً ليس رجلاً سياسيّاً فحسب بل هو ديني قبل كونه سياسيّاً، وقد قال عمّه أمير المؤمنين « قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله، فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين » أجل إنّ الكوفيين هم الذين قصّروا إذ خلفوا الحسين ما وعدوه

(١) المسالح : جمع مسلحة المرتّب ودخيلها في لغتنا (النقطه)

في كتبهم اليه ، فقد كتبوا اليه فيما كتبوا (انّ النعمان عندنا ضعيف لا نحضر معه جمعة ولا جماعة ، ولو اتيتنا لأخرجناه من بلادنا والحقناه بالشام فكان عليهم - وقد اجابهم الحسين - فبعث اليهم نائبا عنه ان ينجزوا له ما وعدوه ، فيخرجوا عامل بني امية صاغراً ذليلاً ، وينفوا كل من لف لفه في مناصرة بني امية ، ويحذوا كل من حذا حذوه ، ليصفو الجو فيها لعامل الحسين ، واذا خلا القصر احكموا امره ، وحصنوه من دخول ابن زياد ، وان لم ينزلوا فيه مسلما لانه ربيب مسجد النبي ، وقد رأى عمه الوصي لم يبن له قصر امارة ، بل كان مولده الكعبة وسط المسجد الحرام ، وسكناه مسجد الرسول ، ودكة قضائه في مسجد الكوفة ، و مقتله في محرابه ، ولكن اذا جاء القدر عمي البصر .

اما مسلم نفسه فانه لم يرسله الحسين ليشعل نار الفتنة قبل اوانها ، فيبدأ العدو بالقتال ، ويسارع لنشوب الحرب ، وانما ارسله الحسين ليسبر له رأي اهل الكوفة ، فان وجدهم صادقين فيما كتبوا اليه اخبره بذلك وقد قام في مهمته تلك احسن قيام ، فنصح لله ولرسوله ولخليفة زمانه واشار عليه بان يسرع اليهم بالقدوم ، لئلا يطول العهد وتلعب الأيدي الأثيمة في بغيه دودها ، فيقلبوا له ظهر المجن(١) لما يعهد فيهم من سرعة غدرهم ونكثهم البيعة ، وقد فعلوها والعهد قريب والجرح لما يندمل .

ونقول في الجواب عن الاعتراض الثاني وهو عدم ايصاد الطريق

(١) (المجن) الترس وهو مثل لتبدل الصداقة بالعداوة

في وجه العدو ، يا سبحان الله هكذا تخفى الأمور الواضحة ، وتنكر الأحوال الجلية ، فانه لا يمكن أن يغفل عن هذا الأمر من كان أقل تدبيرا من مسلم بمراتب كالمعترض ، فكيف يغفل مسلم عنه ، ولو غفل مسلم بالعبادة في المسجد ، أو بأحكام بيعة الحسين كما يظن أو تنظيم الجيش الذي سيقابل جيش الشام ، أو يعده للحسين ليسلمه اليه عند قدومه فان الكوفيين لا يغفلون عن ذلك ، بل لا بد أن يكونوا قد استعدوا للأمر عدته ، وطوقوا مدينتهم بالمسالح والطلايع ، من أول ما قرروا رفض بيعة يزيد ، وحصروا النعمان في قصره ، شأن كل حكومة موقتة ، لا سيما إذا كانت ترى الدولة القائمة تتربص بها الدوائر ، لتجازيها مغبة تمردها في رأيها دون سائر المملكة المترامية الأطراف ،

ولعل المعترض يقول ما بال التاريخ لم يذكر من ذلك شيئاً ولم يسم رؤساء الطلايع كما سمى الحصين بن نمير رئيس طلايع ابن زياد في القطقطانية ، وقبله الحر بن يزيد الرياحي في طريق المدينة في الثعلبية ، قرب ذي جشم ،

ولكنا نقول ان للتاريخ شغلاً بالأمور المهمة عن ذكر الأمور العادية لو انصف نفسه ، وقد ذكرلنا الطلايع والمسالح لو فطنا له وامعنا به النظر ، بل لو تأملناه أدنى تأمل ، أليس يقول ، كان دخول ابن زياد الى الكوفة مما يلي البر – اي من الطريق الذي يقدم منه الوارد من المدينة و

وعليه ثيابٌ بيضٌ وعمامةٌ سوداءُ مُلثَّماً كلثامِ الحسين ، وهو راكبٌ بغلةً شهباءَ ، وبيدِهِ قضيبٌ من خيزرانٍ ، وأصحابُه من خلفِه ، فلو لم تُوجَدِ الطلايعُ وتُوصَدْ في وجهِه الطُرقُ فلماذا يُغيِّرُ وِجهتَه في المسيرِ فيدخلُ الكوفةَ من طريقِ المدينةِ دُونَ البصرةِ وهو قادمٌ منها ولو لم تكنِ الكوفةُ مطوّقةً بالمسالحِ فلماذا يضطرُّ لتغييرِ زيِّهِ فيموّه على الناسِ أنّه الحسينُ فيسلّمون عليه ويُيَمّمونه ابنَ رسولِ اللهِ ويُرحِّبُون به لأنّهم بانتظارِ قدومِه صباحَ مساءَ ، قائلين له قدِمتَ يا ابنَ رسولِ اللهِ خيرَ مَقْدَمٍ .

حتى إذا بلغَ عدوُّ اللهِ مأمنَه وقاربَ قصرَ الأمارةِ حَسَرَ عن لثامِه وقال لهم وزيرُه مسلمُ بنُ عمروٍ الباهليُّ (تأخّروا يا ويلكم عن وجهِ الأميرِ ، فليس هو من طَلِبَتِكم ولا طَلِبَتِكُم) فبهتَ الذين اتّبعوه إلى القصرِ وسُقِطَ في أيديهم وعلتْهم الحيرةُ والوجومُ ، ثمّ رجعوا الخيزلى[1] ، وكانوا طبعاً من أذنابِ الناسِ وحُثالتِهم ومن الهمجِ الرعاعِ أتباعِ كلِّ ناعقٍ ، لأنّ قدومَه كان يومَ الجمعةِ ، وقد انصرفَ الناسُ عن الصلاةِ ، وظنّي أنّ الخبيثَ اختارَ لدخولِ البلدِ هذا الوقتَ ، لأنّ أشرافَ الناسِ وأوساطَهم في ذلك الوقتِ قد انصرفوا إلى رحالِهم ، واستقرّوا في بيوتِهم ، كما يقتضيه نظامُ البشرِ ، ولو حضروا لفطِنوا به وأخذوه قبلَ وصولِه مأمنَه ، فأشرفَ عليه النعمانُ من أعلى القصرِ ، وهو يظنُّ أنّه الحسينُ قد سبقَ إلى الكوفةِ ،

(١) الخيزلى والخيزلى : مشية فيها تفكّك وتثاقل

فكشف ابنُ زيادٍ عن لثامه وقال يا نعمانُ حصّنتَ قصرك وتركتَ مِصرك ، ثمّ دخل القصر وفكّر وقدّر ، فقُتل كيف قدّر ثمّ قُتل كيف قدّر ،

والخلاصة انّ الملومَ على اهمالِ قصرِ الامارة وتركه تحت سيطرةِ النّعمانِ بنِ بشيرٍ انّما هُم اهل الكوفة ، وامّا الكوفةُ نفسُها فلم يغفل عنها مسلمٌ ولا اهلُ الكوفة ولا التاريخُ وقد لوّح بأخذِهم الحذر ، ولم يدخلها ابنُ زيادٍ من ناحيةِ الاهمالِ بل تحيّز الى المكرِ والخديعةِ لما عَلم انّ ابوابَ البلدِ موصدةٌ في وجهِ كلّ داخلٍ الّا الحسينَ ، فانّه علم انّ الكوفةَ قد فتّحت له ابوابها فاشتبه وموّه على اوشابِ النّاسِ انّه الحسينُ سبق الى الكوفة

فيا خيبةَ آمالِ المحبّين ، ويا لإخفاقِ رجاءِ الشيعةِ المخلصين اذ انصبّ عليهم الشرّ من ناحيةِ الخيرِ الذى كانوا يترقّبون اليه ويعقدون امانيهم وآمالهم عليه ، وهكذا اخذت جذوةُ الحزنِ والشّجى تتقدُ في الصّدورِ ، وقبسُها تذكو في الافئدة ، ولكنّها بلغت اشُدّها وانفجرت براكينُها يومَ دخل الكوفةَ عليهم رأسُ الحسينِ نهاراً جهاراً محمولاً على رمحٍ طويلٍ بدلاً عن دخوله نفسه لواءً لموكبه الكريم الّذى كانوا يأملونه ، هذا ورأسه يرتّلُ آياتِ الكتابِ ترتيلاً ام حسبتَ انّ اصحاب الكهف والرّقيم كانوا من اٰياتنا عجبا ٭ بمجلمه فوق رأسِ الرّمحِ تاويلٌ مرتّلاً آيَ اهلِ الكهفِ متلوّها يتلوا الكتاب على السّنانِ وانّما رفعوا به فوق السّنانِ كتابا

لماذا صفح عن ابن زياد

ما أجمل قول القائل: «كل احد يرى الناس بعين طبعه» ومن هنا ترى الكثير من الناس يطرون سفير الحسين، وثقته من أهله مسلم بن عقيل بوابل الملام، ويسددون له سهام النقد والعتب اللاذع، ولا يجدون له عذراً ان لم يفتك بابن مرجانة، وقد سنحت له الفرصة على قتله اذ جاء لعيادة شريك بن الأعور الحارثي في رواية او هاني بن عروة في رواية اخرى، لأن كل احد منهم لو فرض نفسه مكان مسلم لم يضيع الفرصة الثمينة بزعمه بل كان يقتل ابن مرجانة، فيقطع رأس الفساد، ويقتلع دوحة البغي من جذورها فيستبد بالكوفة، حتى يسلمها لمولاه الحسين، من دون قتل ولا قتال.

هذا مبلغ علم النفوس الضعيفة، ومنتهى الارادة التي لم يسيطر عليها سلطان العقل، او يكبح جماحها بعنان الشرع والوجدان. اما مندوب الحسين ومصطفاه من حامته[1] الكريمة فحاشاه أن يحدثه ضميره أو يطالبه وجدانه بارتكاب هذه الشجية، ونفسه العصامية تربأ به أن يلوث قدسها بمثل هذه الامور الواطئة.

فأما إذا كان المريض الذي أقبل ابن زياد لعيادته هاني بن عروة - على الرواية غير الصحيحة - وأنه هو الذي أمر مسلماً بقتل عبيدالله فلم

(١) الحامة: خاصة الرجل من أهله وولده

فلم يفعل فنقول انه - أي مسلماً - قد اعتذر بالحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله « الايمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن » وهي السيرة المأثورة عن اساتذة مسلم محامد واهل بيته قولاً وفعلاً ، فما باله لا يتلقى دروسهم ويطبق عليها اعماله ، وهو تلميذ مدرستهم وخريج جامعتهم .

فان اراد اتباع المرشد الأعظم ص فقد سمعت استاذ مسلم لقوله ، وان اراد الاقتداء بوصيه والدخول من باب مدينة علمه ، فقد ملأت مسامعه كلمته الذهبية « كل غدرة فجرة » وما جاء مسلم إلا لقلع جراثيم الفجور دون غرس نواته ، وقوله عليه السلام ايضاً « قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين » وأما أفعاله فلا تزال نصب عيني ابن أخيه ، أليس هو الذي لم يجهز على طلحة بن أبي طلحة حامل لواء المشركين يوم أحد إذ انكشفت سوأته بغير اختياره ، وهو الذي كف عن قتل ابن العاص وابن ارطاة ، إذ انكشفت سوأتهما بسوء اختيارهما على انهما رأس البغي والفساد ، والشريعة لم تحظر عليه قتلهما ، وهو الذي أباح الماء لمعاوية وجيشه في يوم صفين ، ولم يأخذه من ايدي اهل الشام إلا بعد ملحمة شديدة طارت فيها الايدي والرؤوس ، فاشار عليه الكثير من عسكره ان يمنعهم وروده

جزاءً لفعلهم ، والبادئ بالشر أظلم ، فتكرم أبو الحسن وبعث إلى معاوية « إنا لا نكافيك بصنعك ، هلم إلى الماء ، فنحن وأنتم فيه سواءٌ » فأخذ كلٌّ منهما بالشريعة مما يليه ، وهو الذي يقول لابن ملجم : « أنت والله قاتلي لا محالة » فإذا قيل له ألا تقتله يا أمير المؤمنين قال : فمن يقتلني إذا قتلته ثم لا يزيده إلا إكراماً وعطفاً وهو ينشد :

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادي (١)

وإن أراد الاقتداء بحجة عصره ومرسله الحسين إذ الناس على دين ملوكهم والرسول عقل المرسل ، فإنا لا نشك أن الحسين لو حل محله لم يلوث قدسه بالفتك بعدو الله غدراً ، وما بالنا نشك في ذلك ونحن نراه يتكرم على الحر وعسكره ، فيرد عليهم الحياة بسقيهم الماء في ذلك المهمه القفر ، وقد أشفوا على الهلاك من شدة التعب واحتدام نار العطش ، ولو غالجهم بمن معه بالسيف - وهم على تلك الحالة - لكانوا لهم لقمة سائغة ، ثم كان الحسين حراً في رأيه يتوجه حيث أراد ، فما باله يسقيهم ويمسك عليهم حياتهم ، ثم يكونون مفتاحاً للشر ، فيأخذون بكظمه ، حتى ينزلوه كربلاء ، فيلحق بهم المدد الكثيف كالوابل الذي كانوا طله ، والنار التي كانوا قبستها ولكن صوت الضمير وقوة الإرادة وكرم العاطفة تهب بالصفوة من الصفوة ، والخيار من الخيار

(١) الحباء : العطاء وعذيرك منصوب بفعل مضمر أي هات من يعذرك

أن يرتفعوا بنفوسهم القدسية عن ارتكاب الدنية مهما كلفهم الأمر وإن عانقوا المنية . فالموت أولى من ركوب العار .
وإذا كانت النفوس كبارا تعبت بل قتلت في مرادها الأجسام

وأما على الرواية الصحيحة من أن المريض كان شريك بن الأعور الحارثي وأنه هو الذي أمر مسلما بالفتك بعبيدالله في دار صديقه هانئ وقد جاء في صحبة ابن زياد من البصرة ومرض في الطريق ، فإن الأمر يكون أوضح من نار على علم ، لأن مسلما لو فتك بابن مرجانة في دار هانئ - بدون خبره - يكون قد أخفر[1] جواره ، ولم يرع ذمته ، والعرب تعد وصل الحبل بحبلهم جوارا - فضلا عن دخول دارهم - ولكان طبيعيا أن تثور بهانئ نخوة العرب ، وكان الحق معه لأنه قتل جاره ، وبكت امرأته في وجه مسلم وقالت له لا تقتله في دارنا ، بل قال الخوارزمي إن صاحب البيت هانيا هو الذي منعه إذ قال له : « جعلت فداك إن في داري نسوة وصبية وإني لا آمن الحدثان[2] » فيخسر مسلم حينذاك صديقه الحميم وجاره الكريم وعشيرته الوافرة العدد ، ومن يؤمنه من انقلابهم عليه وقتالهم له ، فإن الشيم العربية وإن فارقت العرب في بعض الأوقات ، لكنهم يرضخون لحكمها في غالب الأزمان ، فهذا أبو سفيان يقول للحليس : « اكتمها فإنها زلة علي » حيث رآه يطعن شدق الحمزة بعد قتله يوم أحد ويشمت به قائلا له « ذق عقق »

(١) أخفره : لم يف بعهده (٢) الحدثان : عاقبة الأمر

***

وانظر سياسة ابن حريث اذ سكّن فورة غضب ابن زياد ، وامسك بقضيبه ، ولم يدعه يضرب زينب لمّا ذكرت امّه مرجانة في مجلسه الحاشد المنعقد لفخره وزهوه وتكبّره وخيلائه ، وما ذلك الّا لأنّ ابن حريث رأى وجوه العرب قد تنكّرت على ابن مرجانة إذ رأوه يرفع سوطه ويهمّ بضرب عقيلة بني هاشم وخفرة اميرهم بالامس علي بن أبي طالب .

وقد صحّ في الرواية انّ شريكاً هذا مات بعد ثلاث فصلّى عليه ابن زياد ودفن في الثويّة مقبرة الكوفة ، وقد دفن فيها زياد بن أبيه ، ثمّ اطّلع ابن زياد على جليّة الحال ، فحلف أن لا يصلّي على عراقيّ مات أبداً ، وقال لولا انّ زياداً فيهم لنبشت شريكاً .

فاذا كان ابن زياد يحترم شريكاً لدفنه في مقبرة دفن فيها ابوه زياد ، فما بال مسلم لا يترك الفتك بابن زياد احتراماً لصديقه وجاره هاني ، وقد دخل بيته ، ولعلّه تحرّم أيضاً في طعامه ، وما باله لا يخشى غضبة هاني ، صاحب العشيرة الوافرة العدد ، .

وامّا اختفاء مسلم في المخدع فلأنّه لم يشأ أن يجعل على صديقيه هاني أو شريك سبيلاً لابن مرجانة ، وليبرهن للعالم انّ الفرصة قد سنحت له ، على قتل عدوّه ، فخالف ما تقتضيه طبيعتهم من الفتك برالى ما هو اجلّ واعلى وارفع واسمى ، إذ العفو بعد المقدرة ، و

التصفح بعد تمام التمكن ، وكانت له بذلك اليد البيضاء على جاره هانئ اذ لم يخفر جواره ، وكان نتيجة امره ان جزاه هانئ احسن الجزاء حيث امتنع عن تسليمه لابن زياد ، حتى لقد بقي تحت نير[1] اسره ، وصبر على ذلة تقريعه وتهديده وكابد ضربه وسجنه ، بل وطن نفسه على القتل والتمثيل بجثمانه على رؤوس الأشهاد .

فليعش ابن عقيل مثالاً للعفو والوفاء لجاره هانئ ، وليبق اسمه في صحيفة الخلود رمزاً للفضيلة والشمم ، وعنواناً لمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وليموتوا بغيظهم من ارادوا ان يزاحم البراض في غدره وفتكه ليكون مضرب المثل في الغدر دونه ، فكلٌ يعمل على شاكلته . وكلٌ ميسر لما خلق له ، والله يهدي من يشاء الى سواء السبيل .

هذا وقد قال اهل العلم والأدراك : « النقض لا يرفع الأشكال بل يزيده » ونحن اذ نقضنا على المعترض بأفعال امير المؤمنين ، وسليله الحسين ، وذكرنا ان مسلماً اقتدى بهما نبهناه للأعتراض عليهما كما اعترض على مسلم .

ولكنا نقول في جوابه اما ترك امير المؤمنين للأجهاز على كبش كتيبة المشركين ، فقد اعتذر لما قيل له : « هلا ذففت عليه »[2] بقوله : « انه لما صرع استقبلني بعورته فعطفتني عليه الرحم ، وقد علمت ان الله سيقتله هو كبش الكتيبة » يشير الى تأويل رؤيا الرسول .

(١) النير خشبة تقرن بين ثورين في الحرث (٢) التذفيف الاجهاز على الجريح واتمام قتله

وأمّا انصرافه عن ابن العاص وابن أرطاة ، اذا ستقبلاه بسوئتيهما فانّه كان أشدّ عليهما من قتلهما لأنهما اكتسبا العار في الدنيا حتى صارا مضرب الأمثال . كما قال ابو فراس الحمداني :

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردّها يوما بسوئته عمرو

وصارا أضحوكة في النوادي والمجالس لمعاوية وأصحابه ومن بلغه خبرهما « والموت خير من ركوب العار » وليزدادا اثما ونارا في الآخرة « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لأنفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » .

وأمّا اباحته الماء لمعاوية فاستمع لما يقوله عنه ابن ابي الحديد لعلك تجد فيه بلّ الصدى قال : « لما ملك عسكر معاوية عليه الماء وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقالت رؤساء الشام له اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا سألهم عليّ وأصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء فقالوا لا والله ولا قطرة ، حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفان ، فلما رأى أن الموت لا محالة تقدم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم ، بعد قتل ذريع سقطت منه الرؤوس والأيدي ، وملكوا عليهم الماء ، وصار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم ، فقال له أصحابه وشيعته امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ، ولا تسقهم منه قطرة واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضا بالأيدي ، فلا حاجة لك الى الحرب ،

فـ

فقال «لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم ، إفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي السيف ما يغني عن ذلك» على أن عاطفة ابن العاص لم ترض بمنع معاوية الماء خوفاً من سوء العاقبة ، وجاء صديقه المعري بن الأقبل الهمداني فقال لمعاوية : «يا معاوية سبحان الله ان سبقتم القوم الى الفرات فغلبتموهم عليه تمنعونهم عنه ، أما والله لو سبقوكم اليه لسقوكم منه ، أما تعلمون ان فيهم العبد والأمة والأجير والضعيف ومن لا ذنب له ، هذا والله أول الجور ، لقد شجعت الجبان وبصرت المرتاب وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك» ثم كان عاقبة أمر هذا الرجل أن التحق بعسكر امير المؤمنين إذ لم يصغ معاوية لنصيحته تبعاً للرأي العام عند رؤساء عسكره .

فهل يريد المعترض ان تكون عاطفة ابن العاص أجل واسمى من عاطفة أمير المؤمنين على بني آدم المكرمين ، أم يريد أن يكون هذا الهمداني أتقى من سيد المتقين إذ منعه نسكه وتقواه ان يمنعوهم الماء وفيهم الأمة والأجير والضعيف والطفل الصغير ومن لا ذنب له ، ولما أنكر المنكر فلم يصغ له معاوية تبصر طريق رشده وعلم ان مانع الماء ليس معه الحق بل منعه جور عظيم وظلم كبير .

على ان أدنى تأمل في كلام أمير المؤمنين المؤكد بالقسم اذ يقول لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم ، ويقول (ففي حد السيف ما يغني عن ذلك) يرشدنا الى ان الشريعة الأسلامية تحظر قتال العدو بسلاح

العطش ، بل ينبغي قتاله بالطريقة المألوفة دون الغدر والعطش وما اشبههما ، ومنه يظهر الوجه في الجواب عن فعل مسلم اذ لم يغدر بابن زياد في دار هاني ، واصرح من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله : « المكر والخديعة في النار » وعن الحسين اذ لم يقتل الحر وعسكره بسيوف العطش ، او لم يعالجهم بالسيف وهم في أشد العطش ، اذ ليست هذه طريقة سلف الحسين في قتال اعدائهم بل لا بد ان يبتدئهم عدوهم في القتال ، وربما اصاب من عسكرهم كيوم بدر ويوم الجمل ويوم صفين ، واذ جاءت السهام تترى من عسكر ابن سعد حتى اصابت مضارب الحسين ولم يبق احد من اصحابه الا اصابه سهم من سهامهم ، فعندها اذن لأصحابه بالقتال قائلاً : « قوموا رحمكم الله الى الموت الذي لا بد منه ، فان هذه السهام رسل القوم اليكم » .

فاما اذا ادعى المعترض انا اعلم باحكام الشريعة من امير المؤمنين فان الله بريء من المشركين ورسوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين وأما تركه لقتل ابن ملجم مع علمه بانه قاتله فقد اعتذر عن ذلك طوراً بانه لا يجوز القصاص قبل الجناية ، وطوراً بقوله : « اذا قتلته فمن يقتلني » قال بعض الفضلاء من المعاصرين ، وقد اقتدى به مسلم في ترك قتل ابن زياد حيث وطن نفسه لقتلها على يد هذا الخائن الذي عفا عن قتله ، كما وطن عمه نفسه لقتلها قرباناً لله

بسيف ذلك المرادي الذي أكرمه وربّاه وآواه مع علمه بأنه قاتله لا محالة. (أقول) هذا صحيح ولكنه يحتاج إلى نظر عميق كما عبّر هو عنه بأنه سر دقيق في الأصل فضلاً عن الفرع ، وفيما ذكرنا كفاية لمن استبصر ، .

هذا وللمعترض أن يعترض علينا بل نحن نعترض قبله على نفسنا فنقول لعلّ المتتبع والملم بالتاريخ إلماماً تاماً يجد في مطاويه الكثير مما يصلح لأن ينقض به علينا ، حيث حققنا كليّاً أن الغدر والخداع لا يصدر عن أهل البيت الطاهر ومن حذا حذوهم ، والسلب الكلي ينتقض بالإيجاب الجزئي ، ولو تحقق في فرد واحد فضلاً عن الأفراد الكثيرة ، ولكن موضوع كتابنا لا يتحمل الاستقصاء في النقض والإبرام ، غير أنا نستطرد في ذكر فرد من هاتيك الأفراد ، واعتراض من تلك الاعتراضات اتفق في حديث المبارزة التي دارت بين عمرو بن عبد ودّ العامري القرشي وبين مناجزه بطل الإسلام بل بطل العالم ومفخرة بني آدم علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولعلّ المتأمل في الجواب عنه لا يعسر عليه الجواب عن إخوانه ومشابهاته .

تقول الرواية لما برز علي لعمرو بن عبد ودّ وتواقف القرنان دفع عمرو سيفه فضرب به رأس علي ، فراغ عنه علي واتّقى السيف بحجفته فقطعها ، ووقع السيف على رأسه ، فجرحه جرحاً خفيفاً .

ثم قال له يا عمرو أما كفاك أنك فارس العرب أو فارس يليل، وقد بارزتك حتى استعنت على بظهير ، فالتفت عمرو الى ورائه - وكأنه أنف من ذلك - فانتهز علي الفرصة وعاجله بالضربة فقطع ساقه وساقيه معاً ، ثم أجهز عليه فقطع رأسه وجاء به الى النبي صلى الله عليه وآله فقال له خدعته يا علي فقال نعم (الحرب خدعة يا رسول الله)

هكذا روي ، وقد سمعت الجواب وأن ليس هذا من الغدر الذي تبرأ منه ساحة أرباب العصمة ، بل الخدعة في الحرب بعد أن يبرز القرن الى قرينه وينا جزه القتال تعد من أسلحة القتال وأدوات الحرب ، فلا غضاضة[1] فيها على المقاتل ألطا فيها ، كطول القناة وحدة زجها[2] ومضاء حد السيف وقوة الساعد وشدة بطش المحارب ، فإنك كثيراً ما تسمع تمدح الأبطال بطول رماحهم ومضاء سيوفهم وشدة عدو خيلهم ، وربما قيل أنه عليه السلام ورّى بظهير لأنه كان سهم سيف عمرو ، أو عن الشيطان لأنه جاره وظهيره لدعاة الشرك والالحاد (ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) ولا أرى هذين الجوابين يبعدان شيئاً عن الجواب الأول المثبت في متن الرواية ، بل هما محققان للخدعة .

وأنا أقول ذكر ابن أبي الحديد وغيره أن عمرو بن عبد ود خاف وحذر من مبارزة علي بن أبي طالب له ، واستحيا أن يرجع منهزماً

(١) الغضاضة : المنقصة (٢) زج القناة : نصلها هنا لا بمعنى الحديدة المقابلة لسنانها

كما انهزم بعد قتله اصحابه الذين عبروا معه الخندق ، فكأنه - تبت يداه - لم يؤمن بكلمة ارباب الشجاعة « الفرار عار الا من سيف علي بن ابي طالب » فتوارى بالنصح له والاشفاق عليه حيث يقول له : « اني لا احب ان اقتلك لان اباك كان نديما لي » واوضح من هذا قوله : « اما راى ابن عمك من يبعثه لي غيرك اما يخاف ان اختطفك برمحي فادعك شائلا بين السماء والارض » فان كل قرن يسره ان يقتل مناجزه ويستطيل بقتله ولا ينصحه ويحذره من القتل ، وهل سمع عمرو بان واحدا من الشجعان ناجز الآخر وهو واثق بسلامته واستظهاره على قرينه ، ولقد اصاب ابن ابي الحديد واجاد فان شجاعة علي الكامنة فيه كون النار في الزند قد ظهرت في مسمع عمرو ومشهده لما كان طفلا في مكة ، وظهر بطشه وفتكه في هجرته من مكة الى المدينة ، اذ خرج بالظعن نهارا جهارا ، وجدل الابطال ونكصت من هيبته الرجال على اعقابها .

ومهما ينس عمرو من فتك قرينه الذي تمنى ان يكون غيره مكانه فلا ينسى وقعة بدر التي جرح فيها جراحا اثبتته سنتين ، وما صنع فيها هذا البطل المناجز له الآن من قتله صناديد العرب فتكه بابطال قريش امثال سعيد بن العاص وحنظلة بن ابي سفيان وعتبة وابنه الوليد واخيه شيبة ، حتى لقد صح في الرواية انه قتل خمسة وثلاثين بطلا وحده وقتل الملائكة وسائر الاصحاب مثلهم وهو شريكهم فيهم ،

ولا بُدَّ أن يكونَ قد سمِع عمرو - كما سمِع ابنُ جريرٍ فحدّثنا - بأنَّ عليّاً قتل أصحابَ الألويةِ يومَ أُحُدٍ كلَّهم، وهمُ الأبطالُ الأشدّاءُ من بني عبدِ الدارِ، وكانوا تسعةً عاشرُهم عبدُهم صُؤابُ، حتّى انهزمَ المشركون بقتلِهم وسقوطِ اللواءِ - وهل الجيشُ إلّا باللواءِ - ثمّ لمّا وقعتِ الدَّبرةُ في جيشِ المسلمينَ وبذلَ المشركون جُهْدَهم في إطفاءِ نورِ اللهِ بقتلِ رسولِ اللهِ، أخذ أبو الحسنِ يصرعُ كباشَ الكتائبِ ويجُذُّ عرانينَها بصارمِهِ فيهزمُ الجمعُ ويولّون الدُّبرَ.

ولا نريدُ أن نطيلَ على القارئ بتفصيلِ مَبيتِ هذا البطلِ على فراشِ الرسولِ، وقد طوّقَ الدارَ عليه الأشدّاءُ المنتخبون من جميعِ قبائلِ قريشٍ، إذ كان كلُّ واحدٍ منهم مُمثِّلاً لعشيرتِهِ، وكانت مكّةُ عاصمةَ الشركِ المطبقِ لجزيرةِ العربِ، فيكونُ بطلُنا قد قابلَ العربَ كلَّها، فلم يأبَه بها، ونامَ سُخريّةً بجمهرتِها وعدمَ اكتراثٍ بتظاهرِها عليه، فصدّقَ بفعلِهِ هذا قولَه: «لو تظاهرتِ العربُ على قتالي لما ولّيتُ عنها الدُّبرَ».

فحقَّ لعمرو أن يفرَقَ منه ويخافَ شدّةَ بأسِهِ وقوّةَ مِراسِهِ، إذ لا يعرفُ الفضلَ إلّا أهلُه والشجاعةَ إلّا أربابُها، ولا بُدَّ أن يكونَ أبو الحسنِ أحسَّ بخوفِ عمرو منه، ولذا اقترحَ عليه النزولَ من فرسِهِ وخافَ أن يطيرَ عنه بجناحي الرُّعبِ والهَلَعِ، ولا يثقّله الحياءُ وخوفُ العارِ، كما فعل أصحابُه الذين قدِموا وكلُّهم زهوٌ وخُيَلاءُ، وانصرفوا منه

قتيلاً وكلّهم جزعٌ وهلعٌ وخوفٌ وفرقٌ .

فبالله عليك لو كنتَ انت المُناجز لعمرو ، واحسستَ بخوفه منك بعد ان ظهرت فيك الشجاعة مرّةً واحدة ، هل كنت تحتاجُ بعدها لخداعه ومماكرته ثم تعتذر بأنّ الحرب خُدعة يا رسول الله ، كلّا وربّك ، إنّه لم يحتج ابو الحسن لإرتكاب الخديعة ، ولو دعت الحاجةُ اليها لم يفعلها ، وإن انجرّ الأمرُ الى قتله . فالموتُ خيرٌ من ركوب العار ، وتبعه ابنُ اخيه مسلمٌ فلم يغدر بابن زياد ، وإن كان عاقبة صفحه عنه ان شتمه وامر بان يصعدوا به اعلى القصر فيذبحوه ويُلقوا جثّته من اعلى القصر ، فألقوه حتى تكسّرت عظامه ؟

- واسيّداه -

اَيُّها القصرُ مِلْ وتعطّف اوترقّ للقصرِ يا غبراء

✵ كيف ركن إلى الكوفة ✵

علم الحسين أنه إذا بقي في المدينة قُتِل وأهل بيته لا محالة ، فكان أول انتهاك لحرم رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل ذرية رسول الله فلم يجد بُدًّا من مغادرة المدينة ، وإذا خرج فإلى أي بلاد يتوجه ؟ إلى اليمن - ولا منعة فيه - أم إلى الكوفة وهو يعهدها بالخيانة ، ولم تتبدل حالها في نظره ، بل كان الحزم له أن يتوجه إلى مكة ، لأنه لم يسبق لأحد انتهاك حرمتها في جاهلية ولا إسلام ، وبعد فإنه سوف يجتمع هناك وفود المسلمين ، وفيهم أهل الحل والعقد ، فيتمكن أن يصدع بحججه ، ويدعم براهينه أمام الرأي العام ، وهناك يصفو جو الخلافة وتسكن زوابعه .

لكن بني أمية أخلفوا ظنه وخالفوا شرائع الإسلام والقواعد العربية ، فاجتهد عمرو بن سعيد أمير الحاج بالقبض عليه ، وأمده يزيد فدس في الحاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أمية ، وأمرهم بالفتك بالحسين ع ولو وجدوه متعلقا بأستار الكعبة بين الركن والمقام ، الأمر الذي اضطر الحسين أن يخرج من مكة قبل إكمال حجه ، لئلا تنتهك بقتله حرمة الحرم ، ويعم الخوف والقتل وفود بيت الله ، ولعل له في خروجه حينذاك مآرب أخرى منها أن يعلن للرأي العام من أمة جده أن بني أمية لاحظ لهم في الإسلام

حيثُ أخافوه وأخرجوه من البيتِ وقد جعله الله حرماً آمِناً ولا يَمُتّون للنّواميسِ العربيّةِ بِصِلةٍ ، فقد كان عاراً في الجاهليّةِ أن يتعرّضَ أحدُهم في الحرمِ لقاتلِ أخيه أو أبيه ، والحمامُ في الحرمِ آمِنٌ لا يَهيجُه أحدٌ بسوءٍ ومَن كان هذا شأنُه كيف يجوزُ للحسينِ مُبايعتُه ، وتسليمُ أزِمّةِ الخلافةِ بيدِه ، وهو لا يؤمَنُ على حمامةٍ ،

وقد ألحّ الكثيرُ من مُحِبّي الحسينِ ونُصَحائِه أن لا يتّخذَ الكوفةَ دارَ هِجرةٍ له ، إذ لم يعهدْ لها سابقةٌ جميلةٌ مع أهلِ البيتِ ، وكان رأيُ الحسينِ عليه السّلامُ في بادئِ الأمرِ أن يلحقَ بالشِّعابِ والرِّمالِ ، إن لم تطمئنَّ به الدّارُ في مكّةَ ، حتى تُسفِرَ له الأيّامُ عن نتيجةٍ صالحةٍ يمشي على خُطّتِها ؟ (١)

لكنّ أهلَ الكوفةِ سادتَهم وسوادَهم نقضوا عزيمتَه بما أرسلوا إليه من كُتُبِهم المملوّةِ بالعهودِ والمواثيقِ التي لا تقومُ لها السّمواتُ والأرضُ ، والمشتملةِ على فنونِ الاستغاثةِ والطّلبِ ، فيمّمَ الكوفةَ بخروجِه من مكّةَ ، وهذا من الأمورِ التي يعترضُ بها القومُ على الحسينِ ولا يرون له فيها عُذراً لأنّه جرّبَ المجرّبَ وائتمنَ الخائنَ ، وذلك نتيجةُ النّظرِ في التاريخِ سطحيّاً ، ومفاسدُ قلّةِ التّأمّلِ ممّا يضيقُ عنها نطاقُ البيانِ

---

(١) لا يذهب عليك أنّ هذا الكلام إنّما يجري على فرضِ الحسين من سائر أفراد الأمّة تماشاةً مع الخصم أمّا مع فرضه إماماً معصوماً مرضيّاً لإطلاعه على الغيب كما هو الحق فكيف يجهل - وحاشاه - امورَ نفسه .

ونظرةٌ اجماليةٌ في تاريخ الكوفةِ مع اهلِ بيتٍ ليُزيلَ الستارَ عن وجهِ الحقيقةِ وتقصيرِ الخطأ، وانّ التقصيرَ كلّه لأهلِ الكوفةِ دونَ الحسين، فهلمَّ معي لننظرَ في تاريخها نظرةً عابرةً، إذ لا يسعُنا طولُ المكثِ والوقوفِ في تلك العرصة.

نعم لقد كَبا تاريخُ الكوفةِ كبوتَه العظيمةَ، حيثُ خدعهم ابنُ العاصِ برفعِ المصاحفِ يومَ صِفّين، فخالفوا المرتضى في وضعِ اوزارِ الحربِ، وقد بلغَ الحقُّ مقطعَه، وخفقت على جيشِهم الويةُ النصرِ، ولاحت لهم مخايلُ الظفرِ.

ثمّ سقط تاريخُهم بجروحِه، إذ غدروا بالمجتبى، وكتبوا المعاويةَ بما كتبوا، حتى الجأوا الحسنَ لصلحِ معاويةَ، وصفا له الملكُ، فهنالك دارت عليهم دوائرُه، فولّى عليهم عمّالَه الجفاةَ الشدادَ، مثلَ المغيرةِ بنِ شعبةَ وزيادِ بنِ أبيه، وسمرةَ بنِ جندبٍ، يجرّعونهم الغصصَ، ويسيغونهم الرنقَ، فقتلوا خيارَهم واستبقوا شرارَهم، وسملوا أعينَهم، وقطعوا ايديَهم وارجلَهم، تشفّياً من عليٍّ بشيعتِه، وطلباً بأوتارِ آبائهم المقتولين بسيفِه عند تأسيسِ قواعدِ الأسلامِ، وانْ اظهروا بذلك الطلبَ بدمِ عثمانَ، وكيف يطوي معاويةُ وعمّالُه صحيفةَ الطلبِ بدمِ عثمانَ من عليٍّ وشيعتِه، وما قام ولا استقام ملكُهم الّا بنشرِ تلك الصحيفةِ، وقد قال الحكماءُ علّةُ الحدوثِ هي علّةُ البقاءِ.

فندم أهل الكوفة - طبعاً - على ما فرطوا في جنب أهل البيت ع ندامة ما عليها مزيد ، وطلبوا منهم غير مرة أن ينهضوا بهم لمعارضة هذا الحكم الغاشم ، لكن سبطي رسول الله أنفا أن يعلق بهما وصمة الغدر ، وإن لم يكن عليهما لوم بذلك لأن معاوية لم يستقم لهما ولم يف بشيء من شروط الصلح ، لكن « كل إناء بالذي فيه ينضح » ، فلبث العراق لأنه عاصمة الشيعة يرزح في العذاب بطيلة عشرين سنة مدة ملك معاوية المعدود من رجال الحلم والدهاء ، ثم استخلف على الأمة ولده يزيد ، ولا يشك أحد أن جوره وعتوه على أبيه يزيد ، وقد تحقق أهل العراق أن صلح الحسن إنما كان لمعاوية وأن ليس له أن يستخلف يزيداً وغيره ، إذن فليس ليزيد المترقب ظلمه وتهتكه في الدين شيء في أعناق أهل البيت ، فحفوا البيعة للحسين - على بكرة أبيهم - عن شوق ورغبة ، وطاروا بأجابته لهم فرحاً وسروراً ، هذا مع أن الحسين عليه السلام لم يكتف بكتبهم ورسلهم بل أرسل أماماً رائداً من أهله وثقة من بيته مسلم بن عقيل ، فألفاهم فوق ما يظن من تفانيهم في حب أهل البيت وإسراعهم لنصرهم وبيعتهم ، فكتب اليه يبشره بما لاقى منهم من الحفاوة ويستحثه على القدوم اليهم .

فلعمري إنه لا يتصور عاقل بعد هذا البيان غدر أهل الكوفة برجل من سائر بني هاشم ، يثورهم في وجه أمية ليصدهم عن منكراتهم

في الشرع والوجدان ، فضلاً عن ان يكون سيد بني هاشم الذي انتهت اليه مواريث النبوة ورجعت اليه امور الامامة ، ولكن له أسوة بجده مع اليهود اذ كانوا ينتظرونه اشد الانتظار « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » من اليهود ومن اهل الكوفة الذين خسروا حظوظهم فلم يستضيئوا بنور النبوة والامامة ، ولا لوم على ابن المصطفى لانه سلك الطريقة العقلائية والسيرة المألوفة ، « ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيماً » .

هذا ولكني لا اظن المعترض يرى ان الحسين تبدل اعتقاده في اهل الكوفة ولو جئته بكل آية ، بل يحتم على الحسين استصحاب حالتهم مهما طالت المدة وتوفرت الطوارئ والتطورات ،

فلنسلم له دعواه ونتنازل معه على ارادته ثم علينا ان نسأله اين يتوجه الحسين ، واي ارض تمنعه من القتل ولم يمنعه حرم الله وحرم رسوله ، اذن هو مقتول على كل حال ولا مزية للمقتول في الارض التي يقتل فيها ليمكث في الحجاز ، او يسير الى اليمن فيقتل هناك .

على ان الذي عرفناه في اختيار ارض العراق امور :

(الأول) أن المدد في الحجاز منقطع عنه ، إذ ليس في المدينة بيتان من محبّي أهل البيت ، بخلاف الكوفة فإنها عاصمة شيعتهم الذين أبرمهم ظلم بني أمية ، وقد استغاثوا به ولاحت له مخايل صدقهم ، فيكون إمدادهم له معلوماً في سيرة العقلاء ومظنوناً - على الأقل - في رأي المعترض .

(الثاني) إقامة الحجة عليهم بين يدي الله تعالى فإنهم دعوه ليوازروه على العمل فيهم بكتاب الله ويسير فيهم بسيرة جده رسول الله والحجة الشرعية مبنية على ما يظهر للمرء في عقيدته ، فإن خيانتهم بأبيه وأخيه قبل عشرين سنة لا تكون له عذراً في ترك ألوف النفوس من المسلمين في استبداد منكرات بني امية و مبتدعاتهم في الدين ، والله تعالى يقول : ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً﴾ .

(الثالث) أنه بقدومه العراق كان السبب العظيم لكثير منهم أدركوا به السعادة ، وشملتهم نفحات ألطافه وبركاته ، وهم طوائف كثيرة وإليك المهم منها «١» أنصاره الذين قتلوا معه فإنهم كلهم - غير ما شذ وغير الهاشميين - من أهل الكوفة ، مثل حبيب بن مظاهر ، والحر الرياحي ، وثلاثين رجلاً انسلوا من عسكر ابن زياد ليلة عاشوراء «٢» الذين قتلهم ابن زياد قبل وصوله كربلاء ، وكان من نيابتهم نصرته كميثم التمار وغيره «٣» الذين حال ابن زياد بينهم

وبين نصرته حيث زجهم في أعماق السجون وغيابات المطامير ، وهم الكثير من أهل الكوفة كالمختار بن ابي عبيدة ، والتوابين وعلى رأسهم سليمان بن صرد الخزاعي «٤» من تهيأوا لنصرته أو سار دوا فلم يدركوها لمعاجلة ابن زياد له بالقتل ، كابن مسعود النهشلي في جيشه الكثيف من أهل البصرة «٥» من هذا هم راسه الشريف وحرمه المسبيات معه الى دين الاسلام وستأتي الاشارة الى هذا انشاء الله تعالى «٦» الباكون والمتباكون عليه وهم الكثير من الناس .

وأين يقع أهل الكوفة - لو نصروه فلم يقتل - من انصاره برثائه والبكاء والتباكي عليه ، جعلنا الله منهم وكافة اخواننا المؤمنين

أمين امين لا أرضى بواحدة حتى أضيف اليها ألف أمينا

ولكني أرى المعترض وإن كف لسانه عن الحسين ما دام لم يسمع بقتل مسلم بن عقيل وانقلاب حالة الكوفة ، أما بعد أن سمع بذلك ، حتى لقد قام في أصحابه خطيبا وأخبرهم بتبدل الحالة ، فتفرقوا عنه ذات اليمين وذات الشمال ، فبقي في أصحابه المخلصين ، وهم جماعة قليلة لا تقوم لاجناد الكوفة فضلا عن أمدادهم من جنود الشام ، فانه لم تبق في رأي المعترضين حجة يتعلل بها الحسين في تصميمه على قصد الكوفة ، وقد صرح له المخض عن الزبد ، وتفرى له الصبح عن بلجه ، والذي اعرفه أنا من وجوه العذر هنا ثلاثة :

(الأول) أنّ الفوائد التي كان يتوخاها الحسين من الكوفة - وقد ذكرناها - لا يختلف عليها الأمر، فإنّه لم ينقطع حينذاك أمله من أهل الكوفة بتاتاً، كيف وقد كان أول القوم لحوقاً به منهم عند ملاقاته للحرّ، ثم اتصلت عناية الله بهداية من أراد الله هدايته الى ما بعد مقتل الحرّ بين يديه:

(الثاني) أنّ الركبان قد بشروه بأنّ عامة أهل الكوفة قلوبهم معك (وعلى ما في القلوب المعوّل) وإن كانت سيوفهم بحسب الحالة الحاضرة مع بني أمية، فلا جرم أنّه طمع بإفاقة أهل الكوفة من سكرتهم عندما يحضر لديهم شخصاً فيجتهد في تنبيههم من رقدة الغفلة وسنة الضلال في اتباعهم ليزيد، لا سيّما إذا انضمّ لتلك البشارة أنّه قد سبر أهل الكوفة كأصحاب موسى لا يصبرون على طعام واحد، بل سرعان ما يسأمون الوالي لقدمه ويزفون للجديد بأجنحة خوافيها الرغبة وقوادمها الترحيب، كما صنعوا أخيراً إذ تركوا بني أمية لقدوم المختار ثم هجروه لورود مصعب عليهم، ثم تتلوه لمجيء عبد الملك بن مروان، وكم فعلوا مثل هذه الأفعال أولاً وأخيراً، فكان من الجائز في نظر العقلاء أن سيتركون بني أمية ويفيئون للحسين، كما تركوا بيعته لقدوم ابن زياد، لكنّ القوم عثر جدّهم فلم يسيروا هذه المرّة على جاري عادتهم.

(الثالث) أن قتل مسلم وابن يقطر وانقلاب حالة الكوفة لم تبلغ الحسين إلا بطريق الآحاد، من رواة لا يعرفون بالصدق ولا بالكذب «وما آفة الأخبار إلا رواتها».

وأما خطبته في أصحابه فإنها مبنية على ما أخبر به الركبان، على أن فيها فائدة تمييز الخبيث من الطيب، وهو أمر مرغوب اليه في كل حال.

هذا كله قبل ملاقاته للحر، أما بعد ذلك فقد دام تبعًا لرأي المعترض أن يرجع إلى المدينة، ولو سفك دمه على قبر جده، أو أريق على شاذروان[1] بيت ربه أو على غيرهما من البقاع، فإنه يعلم أن بني أمية لا يتركونه حتى يستخرجوا علقة جوفه، لكن الحر ومن معه جعجعوا به وقطعوا عليه خط الرجوع، بل أرادوا إلجاءه أن يستأسر معهم حتى يدخلوا به على ابن زياد فيرى فيه رأيه، وبعد هن وهنات أنزلوه أرض كربلاء فأحاط به الكرب والبلاء، واقبلت لقتاله الرايات، المواكب والخيل والرجال، الكتائب تقفوها الكتائب تتلوها المواكب

مِلأ القفار على ابن فاطمة جندٌ وملأ صدورهم دَخَلُ
بعساكر بالطف أولها وأخيرها بالشام متصل

* * *

(١) الشاذروان من جدار البيت الحرام وهو الذي ترك من عرض الأساس خارجًا كالإزار

ومماشاته لأهل الكوفة

خاطب الله هذه الأمة مبشراً لهم بما لرسوله من كرم الأخلاق معهم فقال — وله المنة والطول — (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم)

ولقد ورثه ولده أبو عبد الله بهذه الصفات وغيرها من كريم الصفات، فاجتهد أن لا يتعجل القوم له بالقتال حرصاً على هدايتهم ورجوعهم إلى الحق، كلما جادلهم بالتي هي أحسن، ورأفة عليهم من عذاب الله، ولقد عز عليه أن يشقى بقتله هذا الجم الغفير من أمة جده فيكون مصيرهم النار، ولاعنت أعظم من دخول جهنم، حتى أنه إذا أيس من هداية الرجل من أمة جده إلى الفوز بنصرته أشار عليه أن يبعد فلا يسمع واعية أهل البيت، علماً منه أن من سمع واعيتهم ولم يجبهم أكبه الله على منخريه في النار، كما أشار على ابن الحر الجعفي وساكني كربلاء من بني أسد، وقد ناقضه في رأيه ابن زياد الشقي، فكان يستحث ابن سعد في المناجزة انتهازاً لفرصة ميل الكوفة إليه، وعلماً منه بأنهم لا يقيمون على رأي واحد، ولاسيما إذا طالبهم الحسين بحقوقه عليهم قديماً وحديثاً، وخوفاً أن يلحق به المدد من البلاد البعيدة كابن مسعود وجيشه البصري، فلما طلعت الشمس يوم عاشوراء

بحرش ابن سعد فأطلق سهمه من قوسه ، والتفت الى رؤساء جيشه قائلاً إشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى الحسين (٤) بسهم وتبعه رؤساء القوم وقبائلهم ، فاستحرّ القتل واصطلى الفريقان نار الحرب ، حملةً وحملةً وصولةً وصولةً ، حتى استشهد معظم أصحاب الحسين ، ثم جعل يخرج لهم الواحد والأثنين ، وقد أمر الخطباء منهم قبل الحرب ، وفي إبانها ان يذكروا القوم بأيام الله ، وينذرهم بطش الله ، فذهبت خطب اولئك البلغاء المصاقع كصرخة في بلاقع ، ولم ينتفع بخطبه وخطب اصحابه إلا القليل ، وما زاد اكثرهم غير تتبيب وقد قال الله تعالى لجده من قبل (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) .

أجل إن جهد الحسين في إنقاذ متجدها من هوة الباطل لقد تجاوز حدود العادة ، فقد توصل الى تنبيههم من غفلتهم بشتى الوسائل ، وجاءهم من مختلف الطرق ، حيث قام فيهم - موقفاً بعد موقف - سبط من اوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب وسليل من سن في الخلق نهج البلاغة في كل باب ، فطالبهم بما كتبوا إليه من نصرته ، والحافهم عليه في إجابته ، وبقربه من رسول الله ، وليس فيهم أحد من غير أمته ، وبالكلمات المأثورة عنه فيه وفي ذويه ، وبما لأبيه من السوابق الكريمة في رفع قواعد الاسلام ، وبمحيط نسبه الوضاح الذي هو مركز دائرته ، بل حتى بلباسه ومركبه و

وسلاحه، فإنها كانت من مواريث النبوة، وقد أعاد لهم إذ تخلى بها الذكريات العظيمة ذكريات حامل الرسالة السماوية الخالدة وبغير ما ذكرنا من الآيات البينات فما أجدت أن يجادلهم

لقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ثم ترك حقوقه الخاصة به ورجع إلى الحقوق العامة للإسلام، فإنه مسلم دمه وماله حرام، ولم يأت بما يوجب سفك دمه، ثم عرج على الحقوق العامة بين المسلم وغيره، بل بين الناطق والصامت من الحيوان، كالماء فقد جعل الله منه كل شيء حي، والأحياء فيه شرع سواء، ثم تنازل عن ذلك لأنه استحق منعه بزعمهم إذ ترك بيعتهم، فطلبه لطفله الذي لا أسوة له بكل هذه الأمور، وقد نهى الإسلام عن قتل أطفال المشركين، لكن القوم طبع على قلوبهم فتركوا شرائع الإسلام والشيم العربية، بل العادات الجارية بين نوع الإنسان.

ولكن هل تدري ماذا كان جواب الكوفة له بعد هذا الأعذار والأنذار، نعم وربك لو لم ينزل القرآن ببلاغته الخارجة عن طوق البشر على السفهاء من قريش وغيرهم، لأكبرنا الحسين ونزهناه عن تضييع جواهر البلاغة وعرضها على من لا يعرف قدرها من سفهاء أهل الكوفة، فذهبت خطبه أدراج الرياح وعاملوه معاملة من جعلوا القرآن عضين، فجعلوا بعضه شعراً، والآخر سحراً، ورموا قسماً منه بالكهانة، وقسماً بالأساطير، وما هو إلا وحي يوحى،

هكذا كان جواب أهل الكوفة مرة بالسكوت ، ومرة أبرمنا بكثرة كلامك ، وطوراً بالاتهام ، وطوراً لا نفهم ما تقول ، و قد ذهب على القوم أنه أراد بهم نصحاً وإعذاراً فيما بينه وبينهم ، وأخيراً اقترحوا عليه النزول على حكم يزيد وابن زياد ، حين طلب منهم أن يخيروه بين ثلاثة أمور ، إما أن يرجع من حيث أتى ، أو يسيراً إلى ثغر من ثغور المسلمين يكون له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو يأتي يزيد فيضع يده في يده[1] ، وظني أنهم لو أجابوه إلى ذلك لاختار المسير إلى ثغر من ثغور المسلمين ، لأنه ترك الفتنة قائمة في المدينة وعلى رأسها مروان بن الحكم مستشار بني أمية ، وأما وضع يده في يد يزيد فستعرف أن دونه من مثل الحسين خرط القتاد ، ولذلك صمم عليه القوم به بل بالنزول على حكم يزيد طلباً لقتله ، مع علمهم بأنه لو رجع إلى المدينة أو سار إلى ثغر من ثغور المسلمين لا ينفتق عليهم منه ما لا يستطيعون سده ، لأنهم قد جربوه فألفوه صابراً على الأذى ، محتملاً للصبر ، وافياً بالعهد أكثر من عشرين سنة ، وهو اليوم صاحبهم بالأمس .

هذا ولا يتوهم المعترض في الحسين تناقض الأقوال والأفعال في تنازله هذا لبني أمية أو ما يجري مجراه ، فإن ابن رسول الله لم يزل متمسكاً بمبدئه المقدس في الدفاع عن ناموس الإسلام ، بنفسه وما ملكت يمينه لا يلوي على غيره ولا يعرج على سواه ،

(١) وإن صح أن هذا الشق افتراه ابن سعد كما يخبرنا به عقبة بن سمعان

لكنه في اكثر هذه المواردِ يُبالغ في تسجيل الحجة على خصومه ، حيث ينقطعُ رجاؤه من اجابتهم طاعته ، ولئلا يقولَ المعترضون وغيرهم هلا تنازل مع مُناوئيه بعضَ التنازل ، ليستدرجهم الى استغلال بعض أمانيه .

وان ضايقَ المعترضُ وزعم من أمثالِ هذه المواردِ الأرادةَ الجدِّيةَ منه قلنا أن نقولَ وأيُّ غضاضةٍ على نصيرِ الحق وسيدِ المجاهدين اذا سايرَ الوضعَ الحاضرَ ، وتحيّزَ الى جانبٍ آخرَ من جوانبِ الدفاع ، وشرعَ خطةً غيرَ التي كانَ عليها ، هي بحسبِ الظروفِ الحاضرةِ أهمُّ من الأولى ، ومن قرأ سيرة جدِّهِ ومصالحته مع المشركين ، حتى محا اسمَهُ الشريفَ من الرسالةِ باصبع نفسه ، ورجع عن مكة متربصًا سنوحَ فرصةٍ أخرى ، أذعن بانّ سبطَه متمّمٌ لسيرتِهِ ومُبتلىً بكلِّ ما ابتُلِيَ به من سلفِ يزيدَ سُنّةً بسنةٍ ومثلاً بمثلٍ ، لكنّ رسولَ الله أوتيَ سُؤلَهُ ، فصالحَ ورجعَ إلى مدينتِهِ المنوّرةِ بجيشِهِ واصحابهِ ، وسبطه لم يرجعْ الى المدينةِ الا نساؤُهُ الأيامى وأطفالُهُ اليتامى ، وبقيَ هو شِلوًا في عرصةِ كربلاءَ مكبوبًا على وجههِ ، واصحابُهُ مجزّرين حولَهُ كالأضاحي تصهرُهُم الشمسُ ، وتجولُ عليهم خيولُ الأعداءِ .

صرعى تُقلِّبهم أيدي الجيادِ وما ... لهم بغيرِ وشيجِ السمرِ تظليلُ

❊ ❊ ❊

لم لم ينزل على حكم يزيد

إن الوتر الذي يضرب عليه المعترضون ، والأمر الذي يطبلون به ويزمرون من أول قدوم كتاب يزيد الى حين قتل الحسين هو عدم اجابته لبني أمية في إعطائهم سؤلهم ، ونحن قد بينا العذر في امتناعه من بيعتهم اول الأمر ، فقد كان يظن في امة جده الخير فيعاونونه على نصرة الحق وخذلان الباطل ، وقد أكد ذلك في رأيه مكاتبة أهل الكوفة له وابتداؤهم اياه ان يوازروه على اقامة كتاب الله ، واحياء سنة رسول الله ، أما الآن وقد أخذوا بكظمه وانقطع عنه المدد ، فقد غرهم كثرة جنودهم وقوة عدتهم ، ولم يستمعوا لنداء الحق «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله» وقوله تعالى «قل لن تغني عنكم فئتكم ولو كثرت» لذلك اعرضوا عن ذكر البيعة ، وترقوا الى طلب نزول الحسين على حكم يزيد وابن زياد .

ونحن نقول لهم لأمكم الهبل - اذا كان الحسين لم يصالح معاوية فكيف يبايع يزيد ، واذا لم يدر في خلده ان يبايع يزيد فكيف ينزل على حكمه(1) ، ألكثرة جنودكم ، فإن جنود معاوية اكثر ، وعزمه يغنيه عن العدد والعدة ، واعتماده على الله وحده ، ومن أشد من الله قوة ، ومن اعظم منه محاولة ، ومن اكثر

(1) سنعود ونتحدث في هذا الموضوع للمرة الثانية باوفى من هذا الشرح

منه جنوداً واستمعوا له ينشدكم بلسان حاله ،

رأيت الله أكبر كل شيء محاولة وأكثرهم جنوداً إذن

لا تفخروا بجنود لا عداد لها إن الفخار بغير السيف لم يكن

وليت شعري هل يعلم المعترضون تفسير هذه الكلمة ومغزى هذه العبارة فيحتموا على الحسين إجابة القوم أليها ،

نعم معناها سلب اختيار الحسين بالكلية ، وعدم معارضته ليزيد وابن زياد في أمر من أموره ، وها نحن نذكر ما نعرفه من وجوه العذر ضمن كلماتنا الآتية ، ولعل هناك وجوهاً قد رآها الحاضر ولم يرها الغائب ، (١) لا يلقي الحسين بيده إلى التهلكة

قد عرفت أن السبب الوحيد في نزول البلاء من معاوية وعماله على العراق هو ميلهم لأهل البيت ، حتى كتب معاوية لعماله أن اقتلوا على الظنة واحبسوا على التهمة ، ناسخاً لقوله أولاً من قامت عليه البينة أنه يحب علياً فاقتلوه ، وهو الذي لم يسغ له في دينه أن يتمتع حجر وأصحابه بالحياة ، ما لم يتبرأوا من خصمه علي بن أبي طالب المولود على الفطرة والذي لم يقم بناء الإسلام إلا بسيفه ، على أن معاوية هو الموسوم عند القوم برجل الحلم والدهاء .

فليت شعري هل يتصور عاقل أن يكف يزيد غضبه عن الحسين بن علي خصمه وخصم أبيه بعد ما جاهره بالعداوة وأعلن معه القتال فيعفو عنه ولا يقتله ، وقد شق عصا المسلمين بزعمه ونازعه

سلطانَ جدّهِ محمدٍ ، ويزيدُ أولى بهِ من كلِّ أحدٍ فيما يظنّ .

كلّا ثمّ كلّا وان تبرّأ الحسينُ من أبيهِ أبي ترابٍ سبعين مرّة وما أدري مَن الذي يمضي من هؤلاءِ المعترضين مع ابنِ رسولِ الله خفيرًا له من فتكِ ابنِ مرجانةَ وابنِ هندٍ ، أم يريدونَ الحسينَ يمدُّ عنقَه لخصمِهِ الألدِّ وهو ممتلئٌ عليه غيظاً وحنقاً ، ثملٌ بسكراتهِ التي لم يعرفِ الصحوَ منها طرفةَ عينٍ ، فيقتلُه انتقامًا له (من بني أحمدَ ما كان فعل) فيسجّلون عليه - لا محالةَ - أنّه ألقى بيدهِ الى التهلكةِ ، ويلزمونهُ أنّه أعان على نفسهِ إلزامًا لا يفلتُ منه ، ولا يمكنُ أحدًا الاعتذارُ عنه .

كلّا فقد قرأ سيّدُ بني هاشمٍ من اقتراحهما النزولَ على حكمهم ومن نظرهِ في سيرةِ أميّةَ القاسيةِ مع أهلِ البيتِ وأشياعهم أنّه مخيّرٌ بين أن يقتلَ في خطّةِ الحربِ عزيزًا ، مدافعًا عن شرفِ نفسهِ ، ذائدًا بسلاحهِ عن حوضِ مجدهِ ، أو يقتلَ في مجلسِ أميّةَ ذليلًا على النطعِ الذي قتل عليه خيارُ أصحابِ أبيهِ أيامَ صلحِ معاويةَ وقد رجع تراثاً ليزيدَ ، فايُّ القتلتين أولى لو انصفَ الحكم

(٢) يجب النهي عن المنكر

لم يسوّغ لأهلِ المدينةِ دينهم ووجدانهم البقاءَ تحت حكمِ يزيد ، والخضوع لسلطانِ شهواتهِ ، لما ظهر منه من المنكراتِ في الشرعِ والعقلِ ، وعدمِ مبالاتهِ في انتهاكِ الحرماتِ حتى قال بعضهم وهو عبدُالله بن حنظلةَ غسيلِ الملائكةِ رضي الله

ما خرجنا على يزيد، حتى خفنا ان نُرمى بالحجارة من السماء، وخفنا إنّ رجلاً ينكح الأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ، ويشربُ الخمرَ ويدعُ الصلاةَ فخرجوا عليه مُوطِّنين أنفسَهم على ما حلّ بهم من شدّة الانتقام في واقعة الحرّة الغنيّ عن البيانِ، لكنّهم صبرُوا على عذابِ يزيدَ فِرارًا من عذابِ اللهِ، وعذابُ الله شديدٌ.

فماذا خاف اهلُ المدينةِ - وهم من سوادِ الامّة - انْ يرميَهمُ اللهُ بالحجارةِ ويُعجّلَ لهم العذابَ في الدّنيا قبلَ الآخرةِ لسكوتِهم عن يزيدَ (والسّاكتُ عن الحقّ شيطانٌ اخرسُ) حتّى وطّنوا انفسَهم على القتلِ ومن سَلِم من القتلِ فقد لاقى أعظمَ من القتلِ، فكيف يجوزُ للحسينِ - وهو سيّدُ الأمّةِ ومطمحُ أنظارِها - انْ ينزلَ على حكمِ يزيدَ، ويدعَه ونُهمتَه في ارتكابِ المحرّماتِ، وتلاعُبَه في الدّينِ حتى تعفوَ معالمُه، وتندرسَ آثارُه، كلّ ذلك حبًّا للسّلامةِ الموهومةِ، وطمعًا بعيشةِ ايّامٍ قليلةٍ مُنكّدةٍ من هذه الدّنيا الفانيةِ..

(٣) وَلِلّهِ العزّةُ وَلِرسولِهِ ولِلمؤمنينَ

يقولُ سيّدُ أُباةِ الضيمِ في خُطبتِه يومَ عاشوراءَ (الا وإنّ الدّعيّ ابنَ الدّعيّ قد ركزَ بين اثنتين بينَ السِّلّةِ والذِّلّةِ، وهيهاتَ منّا الذِّلّةُ، يأبى الله ذلك لنا ورسولُه والمؤمنون وحُجورٌ طابتْ، وجُدودٌ طهرت، وأُنوفٌ حميّةٌ، ونفوسٌ أبيّةٌ، من أن نُؤثِرَ طاعةَ

للنائم على مصارع الكرام)

هلمّ ايها المعترض لفهم هذه الجملة وسرّح النظر في رياضها عسى الله ان يشرح لك صدرًا ، وان خفت ان لا تصل الى سبر اغوارها فانّ الشمس تعرف بعينها وآثارها ، وها انا مبيّن لك منها ما يحتمله فهمي القاصر ، .

يقول عليه السلام انّ دعيّ آل ابي سفيان وابن دعيّهم عبيد الله بن زياد قد خيّرني بين الحرب والنزول على حكمه وحكم يزيد ، وهو غاية الذلّة ، وهيهات ان انزل على حكمهما لانّ الله لا يرضى ان القي بيدي الى التهلكة فامدّ عنقي لسيفيهما ، ولو نجوت من السيف كنت ساكتًا عن الحقّ والله لا يرضى بهما لا قرار الظالم ، ولو جاز لي في الشرع والعقل غضّ النظر عن منكرات يزيد وابن زياد لم يجز لي النزول على حكمهما لانّه غاية الخضوع والذلّة فكأني تركت عبادة الله وملت لعبادتهما ، وكيف اعصي الله بركوني لهذين الظالمين واخالف رسول الله وكلّ مؤمن يبلغه ذلك الى يوم القيٰمة ، فانّ العزّة لهما بعد الله بنصّ الآية الشريفة ، والعزيز لا يرضى بذلّة عزيز مثلي قد حاز تليد المجد بكرم آبائه ونجابة امّهاته ، وضمّ اليه طريفه بعزّة النفس وشمم الانف ، فانّي لم ابايع من كان اعظم باسًا من يزيد ، فما لي ابايع يزيد حبًّا للحياة وفرارًا من الموت ، ايرضى قلّ الغيار بي ان احمل

لواء الأذلاء بعد ان کنت علم العز ومنارا الفخر والعلاء ، و بعد ان لقبت سید اباة الضیم حیث عانقت مصرعًا طالما حن له الکرام وتمناه اعاظم الأمجاد ، الیس ابی القائل (لألف ضربة بالسیف خیر من میتة علی فراش) الیس انصاری تمنوا القتل دونی مرارًا عدیدة وانا سیدهم ومرشدهم الذی یقتفون آثاری و یقتبسون من انواری .

هل کفی المعترض ما جری ام هو لا یرضی بحکم الکتاب ، و لا سنة الرسول ، ولا طریقة المؤمنین ، وشرف العاطفة فیحتم علی الحسین النزول علی حکم یزید طلبًا للسلامة الموهومة هذا وقد علم من تاریخ یزید انه لما ظفر جیشه باهل المدینة لم یرض امیر ذلک الجیش الا بان یبایعوه لیزید ، علی انهم عبید له ان شاء باع وان شاء اعتق ، فذکر له بعضهم البیعة علی کتاب الله وسنة رسول الله فضرب عنقه ، فلیت شعری أعلی هذا الحکم ینزل ابن امیر المؤمنین ، فیکون مضرب المثل فی الذل ، وحاشا سید اباة الضیم - کلا فان سلامته من سیف یزید بهذه الذلة اسوء وانکی لعاطفة الحر من سلامة ابن مطیع العدوی من سیف المختار ، حیث ترک زی الرجال وهرب منه بزی النساء وکیف یمد الحسین یده لیزید بالبیعة وهو الحسین بن علی فی انفته عن الضیم وارتکاب الدنیة ، ولماذا یسالم یزید ، وهو هو الحسین بن علی

في قوة ارادته ومضاء عزيمته ، وما باله ينزل على حكم يزيد ، وهو هو الحسين بن علي في كبر نفسه وعظمته ، ولم يلقي زمام الأمة بيد ابن ميسون ، وهو هو الحسين بن علي في صلابة دينه ومتانة ايمانه ، وكيف يلقي حبل الأمة على غاربها ، وهو هو الحسين بن علي حفيد محمد القائل (والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر لم اتركه حتى يظهره الله او اموت دونه) ولأي شيء يهين عجزا او يستكين ذلا وهو هو الحسين بن علي الذي يصرخ في مسمع الدهر (لو تظاهرت العرب والعجم على قتالي ما وليت عنها الدبر)

كيف يلوي على الدنية جيدا ... لسوى الله ما لواه الخضوع
فأبى ان يعيش الا عزيزا ... او تجلى الكفاح وهو صريع

واذ لم يرض الحسين بخطة الخسف ، والنزول على حكم امية بل شر بني امية يزيد نبزوه - بالخارجي - وهو والله من الاسلام في صميمه ، ومن دين الحق والهدى في السنام دون الغارب .

ولقد خالف بنو امية ولا يزالون مخالفين لحكم الكتاب العزيز اذ نهى عن التنابز بالالقاب ، فنبزوا - باسم الخارجي - من لقبه النبي بسيد شباب اهل الجنة حيث خرج بزعمهم على خليفة زمانه يزيد ، وهو الامر الذي حاول بنو امية و

واتباعهم من المعترضين إثباته ففشلوا وردّ الله كيدهم في نحورهم .

وليتهم اذ وسموه بالخارجي عاملوه معاملة الخوارج بل المشركين فقد علمت أحكامهم في الشرع من باب مدينة علم النبي ، والمجبو من قبله بمحضر المهاجرين والأنصار بقوله (أقضاكم عليٌّ) فقد أوصى جيشه قبل التحام القتال بصفين قائلاً ، (فاذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا معوراً ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم ، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول ، وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية ، بالفهر أو الهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده) .

فما بال جيش يزيد قد أتى مع خوارجه بتلك الأمور الفظيعة التي تحمرّ وجنة تاريخ الإسلام والعرب عند ذكرها خجلاً ، ويتصبب عند سماعها عرقاً ، من منع الماء حتى على الأطفال والنساء وهو مباح للكلاب والخنازير ، وقتل الأطفال سواء استسقى لهم الحسين أم لا ، والمثلة بالأجساد بعد الموت ، وسلبها ورضها بالخيل ، . واحراق خيام النساء عليها ، و شتمها وضربها وسلبها وسبيها من بلد إلى آخر ، إلى غير ذلك

مِن الأمورِ التي يُنكرُها الشرعُ والوجدانُ .

فهل كان يزيدُ وعمّالُه أعلمَ بأحكامِ الخوارج من أقضى الأمّةِ بعد نبيِّها بتقريرِ الخلفاءِ السابقين ، كلّا ثم كلّا ، فرويدًا أيُّها المعترضون ، فإنّ الأمرَ ليس كما تظنّون ، بل هو فوق ما تتوهّمونَ ، وقد نصعت لكم الآياتُ ، فأيّ آياتِ اللهِ تُنكرونَ ، وإنّما هي أحقادٌ بدريّة ، وأضغانٌ أُحُديّةٌ ، أصحرَ بها يزيدُ عندما بدت له الرؤوسُ على رُبى جيرونَ ، وعندما نكتَ ثنايا أبي عبدِ الله عليهِ السلامُ بمخصرتِهِ[1] فتمنّى حضورَ أشياخِه ببدرٍ ، قائلًا .

لَيتَ أشياخي ببدرٍ شَهِدوا — جزعَ الخزرجِ مِن وقعِ الأسَل
لأهلّوا واستهلّوا فرحًا — ثمّ قالوا يا يزيدُ لا تُشَل
قد قتلنا القرمَ مِن ساداتِهم — وعدلناه ببدرٍ فاعتدَل

أتضربُها شُلّت يمينُك إنّها — وجوهٌ لوجهِ اللهِ طالَ سجودُها

(١) المِخصَرة : شيءٌ يأخذهُ الملوكُ بأيديهم كالعصا ليشيروا به إلى غيرهم

والتعليق على اقتراحه

لا إخال أحدًا يشك أن معاوية عاش حتى مات ثائرًا من النبي طالبًا منه - بقتل ذريته ومن انضوى إليهم - بذحول[1] رهطه المقتولين في بدر وأخواتها ، وأما عثمان فقد نصبه حبالة[2] يقتنص بها بقرا لشام ، ليقدمهم ضحية آماله وغاياته التي يهدف إليها ، وقد نهج نهجه - بل زاد في الطين بلة - نغله يزيد ، منذ بوأه أبوه عرش الخلافة ، وقد تمكنت عداوة أهل البيت في نفسه من أمور كثيرة ، كان شقيًا في ذاته وطينته ، وكان مشوهًا في نطفته المختلطة بسم العقرب ، وكان شقيًا في إرثه العداوة من بني أمية لبني هاشم ، وكان عقربًا تزداد سمًا إذا وصى إليه أبو معاوية بأن لا يبقي لهذا البيت شعرة واحدة ، ولم يكن ذلك منه سرًا بين سمع الأرض وبصرها ، بل هو ذا يصرح أمام المغيرة ابن شعبة - وقد سمع اسم محمد يهتف به المؤذن - فيفصح عن مكنون غيظه ، ويعرب عن مخبئات حقده قائلًا ، (لا خير في الحياة لا أم لك إلا دفنًا دفنًا) إذن فلا تخلنا مبالغين إذا اعتقدنا أن يزيد إنما اقترح نزول الحسين وأصحابه على حكمه لحاجة في نفسه أراد قضاءها ، وهي التشفي والانتقام

(١) الذحول : الأوتار والأحقاد (٢) حبالة : مصيدة

لحلفاء جده ابي سفيان يهود بني قريظة في قتل الحسين و اصحابه على الشاكلة التي قتل عليها اولئك الرهط المطلولة دماؤهم ، وقد كانوا العامل القوي في وقعة الاحزاب ، وهم الذين فتّوا في اعضاد المسلمين ، ومكّنوا الخوف والرعب من قلوبهم ، عندما ترامت اليهم الانباء انهم قد نقضوا ما بينهم وبين النبي من العهود ، ونشط بهم المنافقون المختلطون بالمسلمين وما اكثرهم ، فاخذوا يجهرون باصواتهم قائلين (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) فهم يرجفون بالمسلمين ما قدروا ، ويثبطون المجاهدين ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، هنالك زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، واستولى الخوف على المسلمين وتمكن الفزع والهلع من قلوبهم ، واستمع الى قوله تعالى في تلخيص القصة (اذ جاؤوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ، ثم قال تعالى في المؤمنين ، وهم علي امير المؤمنين وحمزة عم امير المؤمنين ، (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا

تبديلا ، ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم وكان الله غفورا رحيما ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا

نعم كفى الله المؤمنين القتال أن صرع عمرو بن عبد ود بطل الشرك الأحزاب بسيف علي بن أبي طالب بطل الإسلام ، ورد الله كيدهم في نحورهم لم ينالوا خيرا ، وعندها دارت الدائرة على المشركين وجناحهم من المنافقين والغدرة من اليهود وكانت عليهم الدبرة ، واستولى عليهم الخوف والوجل ، وأدال الله المسلمين منهم ، أما المشركون فأرسل الله عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، فارتحلوا على خوف ورعب ، ولم يصبح منهم حول المدينة نافخ ضرمة ، وأما المنافقون فتواروا في صفوف المسلمين وخفتت أصواتهم التي كانوا يجهرون بها في الأرجاف وسفي على وجوههم الرماد ، والله منجز وعده ومتم نوره ولو كره المشركون ، وأما اليهود فلم يأذن الله لنبيه أن يضع السلاح حتى يحاذي بني قريظة مغبة فعلهم بما أخلفوا الله ورسوله ما وعدوهما من عدم مظاهرتهم لأحد من أعداء المسلمين ، فسار النبي والمسلمون ، وراية الإسلام تخفق على رأس قاتل بطل الأحزاب ، فذعر لذلك أعداء الله ، وعلا

الهتافُ بينهم (جاءكم قاتل عمرو ، جاءكم قاتل عمرو) وعضّوا أناملهم ندامةً وأسفًا ، ولاتَ ساعةَ مندمٍ ٥ و بعدَ حصارٍ طويلٍ وتكرارِ أخذٍ وردٍّ نزلوا على حكمِ المسدَّدِ الرشيد سعدِ بن معاذٍ رئيسِ الأوسِ ، وظنّوا أنّ أصرةَ[1] الحِلفِ بينهم وبينَ الأوسِ ستُجدي بهم نفعًا ، فخيّبَ اللهُ ظنونهم وآمالهم وحكمَ عليهم سعدٌ بقتلِ الرجالِ ـ ما لم يُسلموا ـ ونهبِ الأموالِ ، واسترقاقِ النساءِ والذَّراري ، ودفعِ المساكنِ لمن لا دورَ لهم من المهاجرين ، فقال له النبيُّ (لقد حكمتَ فيهم بحكمِ اللهِ من فوقِ سبعةِ أرقعةٍ) وهكذا فُعِلَ بهم فأخذوا يُساقون إلى حفائرِ القتلِ زرافاتٍ ووُحدانًا ليعمَلَ فيهم سيفُ عليِّ بنِ أبي طالب فكانت أعظمَ مجزرةٍ بسيفِ الحقِّ والعدلِ ، وقُطِعَ دابرُ الكافرين بسيفِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ أميرِ المؤمنين ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

وما لام كعبٌ في العداوةِ نفسَه ولكنه من يخذلِ اللهُ يُخذَلِ ، فوُفِّقَ سعدٌ في حكمِه ، وتطوّلَ الرسولُ الأعظمُ على الجامعةِ البشريّةِ في إزاحةِ حجرِ العثرةِ عن طريقِ سيرِها إلى خيرِها وصلاحِها ، وقلعِ الجراثيمِ الفتّاكةِ في جسدِها ٥

وسوءةٌ لعبدِ اللهِ بنِ أُبَيِّ ابنِ سلول[2] رأسِ المنافقين إذ حال بين الرسولِ الأقدسِ وبين تنفيذِ إرادتِه القدسيّةِ في سلفِهم من بني النضير ، فقد أراد تطهيرَ الأرضِ منهم بقطعِ شأفتهم

(١) الأصرة : ما عطفك على غيرك من قرابةٍ أو معروف (٢) سلول أمّ هذا المنافق

لمّا نقضوا العهد كَوَلاءِ ، وارادوا قتلَه ، وهو في دارهم ، فلم يرعوا النزيلهم جوارًا ولم يروا لأنفسهم حرمةً ، ولكنّ رأسَ النفاقِ . وكانَ في ظهيرهِ الخزرجُ بل الأنصار كلُّها – ألجأه ان يُجليهم عن المدينةِ ، ولهم من الأموالِ ما حملَه الظهرُ عدا الحلقةِ ، فجلوا الى نواحي الشام .

ومن يُدرينا انّ ذراريهم هم الذين استفحل أمرُهم الآنَ ، فصاروا مِطرقةً بعد أن كانوا سِندانًا[1] ، حتى قابلوا المسلمينَ بما مُنوا به في فلسطينَ وما والاها ، وكبّدوا العربَ والمسلمينَ ما كبّدوهم من المعاركِ الدّاميةِ والفتكِ الذريعِ وأسرِ العيالِ وشقِّ بطونِ الحبالى والأطفالِ الأبرياءِ ، فإنّ حاملَ الرسالةِ السماويّةِ الخالدةِ ينظُرُ الى مَن في الأصلابِ من أُمّتهِ في مستقبلها السّعيدِ كنظرهِ الى حاضرها النّبيلِ المجيدِ ، فارادَ أن يُزيلَ عنها كابوسَ[2] الشقاءِ ، ويُريحهم من شدّةِ العناءِ الّذي لاقتهُ الأمّةُ من ذراري تلكَ الشّرذمةِ الوبيئةِ ، وخبّأته الأيّامُ للمسلمينَ على يدِ شرِّ خلقِ اللهِ ، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون .

والخلاصةُ أنّا لانزالُ نعتقدُ من اقتراحِ يزيدَ أن ينزلَ الحسينُ على حكمِه ، مع هذهِ الطوارئِ والأحوالِ أنّ يزيدَ ظنّ أنّ الفرصةَ سنحت له في أخذِ ثأرِ حلفاءِ جدّهِ أبي سفيانَ

(١) مثل يضرب للذليل يكون عزيزا (٢) ما يتراآى للنائم كأنه يخنقه ودخيله (الجيثوم)

فأخذ يضرب أخماسًا لأسداس ، وقال في نفسه لا يضيع حقٌّ وراءه طالب ، وتوهّم أنّ الحسين وأصحابه سينزلون على حكمه ، ويساقون إلى حفائر القتل زرافات[1] ووحدانًا[2] صدمة بصدمة وقتلة بقتلة (وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد) وأنّى ينزل إمام الأباة على حكمه وحكم عامله ابن مرجانة ليثأر منه ، لأنهما زندان في وعاء ، وهذا صوته يدوّي في مسامع الدهر (والله لا أعطي الدنيّة من نفسي وإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برمًا) ويكفينا شهادة عدوّه ابن سعد إذ يقول (والله لا يستسلم حسين فإنّ نفس أبيه بين جنبيه) .

ومناقب شهد العدوّ بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

إي والله لا يستسلم حسين لإرادة يزيد ، وإن اعتقد أن سيمنّ عليه بالحياة ، فيكون بذلك طليق عفوه ، ألا تسمع إليه يقول (لا أرى الحياة مع الظالمين إلا برمًا) ولأنه بذلك يسترجع مكرمة جدّه منقذ البشر ، حيث عفا عن سلف يزيد في فتح مكة عفوًا عامًا فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فذهبت هذه الكلمة منه ﷺ مذهب المثل وصارت علمًا عليهم ووسام ذلّ وعار لهم ولأعقابهم وكان من أشهرهم أبو سفيان وعقبه

(١) زرافات : جماعة من الناس نحو العشرة والعشرين (٢) وحدانًا : آحادًا

فكيف وهو يعتقد ، وكل ذي لب يعتقد أنه يريد قتله إذا نزل على حكمه ، ليثأر بقتله لخلفاء جده ولأشياخه المقتولين في بدر الذين هتف بهم في جلسته العامة لعيد الظفر ، وليكيل الجزاء للنبي صاعاً بصاع ، بقتل الحسين وأهل بيته من ذرية رسول الله وأصحابه أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار الإسلام ، ولكن عدو الله (اجتهد ففشل ، وشاور فخذل) ولله در عقيلة بني هاشم وخفرة آل علي زينب الكبرى سلام الله عليها ، إذ صبت عليه سياط زواجرها ، وردت كيده في نحره وأعادت تاريخ أمها في خطبتها السالفة ، حيث افتتحت خطبتها الكريمة بقوله تعالى (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون)

ثم قالت (أمن العدل يا ابن (الطلقاء) تخديرك إماءك وحرائرك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا على أقتاب المطايا ؛ ليس معهن من حماتهن حمي ولا من رجالهن ولي) الخ

لماذا أذن لأنصاره بالانصراف عنه

القرآنُ الكريمُ - وهو كتابُ اللهِ الصّامتُ - لا تحيطُ عقولُنا هذه المحدودةُ بكُنهِ معرفتِه، بل تأخذُ منه بمقدارِ قابلياتِها واستعدادِها (اللهُ الّذي أنزلَ مِنَ السّماءِ ماءً فسالتْ أوديةٌ بقدرِها) فالحسينُ - وهو كتابُ اللهِ النّاطقُ - أولى بهذهِ المرتبةِ، وأجدرُ أن ترجعَ العقولُ أمامَ عظمتِه حسيرةً عن كُنهِ معرفتِه، متضائلةً إزاءَ شأنِه الرّفيعِ ومقامِه الّذي يقولُ فيه جدُّه الأعظمُ صلّى اللهُ عليه وآله «حُسَيْنٌ مِنّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ» وجدُّه هو الّذي يقولُ فيه الخلّاقُ العليمُ - ولا يعرفُ حقائقَ الأشياءِ إلّا خالقُها، (فكانَ قابَ قوسَينِ أو أدنى) وله أيضاً منزلةُ أبيه المرتضى الّذي يقولُ فيه جدُّه المصطفى (يا عليُّ ما عرفكَ إلّا اللهُ وأنا)، فإنْ فتحَ اللهُ لأفهامِنا سبيلاً من أسرارِ نهضتِه فذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاءُ، وإلّا تحيّزنا إلى هذا الوجهِ فإنّه خيرُ ملجأٍ، واعتصمنا بالتّسليمِ للهِ ولرسولِه وخليفتِه لأنّه خيرُ معتصَمٍ، امتثالاً لأمرِ نبيِّنا ومرشدِنا الأعظمِ إذ يقولُ لجابرِ بنِ عبدِ اللهِ: (يا جابرُ ألم أقلْ لكَ في أمرِ الحسنِ قبلَ الحسينِ لا تكونُ مؤمناً حتّى تكونَ لِولاتِك مُسلِّماً، ولا تكونُ معترضاً)

ولعلك تعد من هذا القبيل مبالغة الحسين طورًا في دعاء الناس لنصرته عمومًا كأهل البصرة وخصوصًا كابن الحر الجعفي وعمر بن سعد ، وتحليل أنصاره – طورًا آخر – من بيعته وإذنه لهم بالانصراف عنه ليلة عاشوراء وقد ضاقت حلقتا البطان وبلغ الحزام الطبيين(١)، وكيف جاز له أن يحلهم من بيعته ، ويسوغ لهم الفرار عن الجهاد . وهو القائل : ((من سمع واعيتنا ولم يجبنا أكبه الله على منخريه في النار)).

ولكنا نقول أما حديث الواعية فلا مسرح له هنا لأنها ذر قرنها عندما ذر قرن الشمس يوم عاشوراء ، وقبلت السهام ملضادب الحسين من قبل عسكر ابن سعد كأنها شآبيب المطر ، وأما دعاؤه الناس لنصرته فقد دعا لها رسول الله قبل هبوط حفيده هذا من عالم الأنوار إلى عالم الحس والمادة ، ودونك بيعة العقبة والغدير وغيرهما ، والقرآن فوق الكل ينادي بأعلى صوته ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾ .

وأما خطبته في أنصاره التي يقول فيها : ((ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا وإني قد أذنت لكم ، فانطلقوا جميعًا في حل ليس عليكم مني ذمام ، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا ، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ،

(١) الطبيين حلمتا الضرع : وهذان مثلان يضربان لاشتداد الأمر وصعوبته

يجزاكم الله جميعاً خيراً ، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم ، فان القوم انما يطلبونني ، ولواصابوني لذهلوا عن غيري) فان الذي يحتملها هي القاصر اربعة وجوه .

الاول ، الامتحان واختبار مقدار نيات اصحابه ليكون واثقاً من وجود العدة التي يجب على الامام ان ينهض بها في وجه تيار الظلم والجور وهي اربعون رجلاً فما زاد ، كما يرشدنا الى ذلك خبر تطواف امير المؤمنين على منازل المهاجرين والانصار ليلاً ، ومعه الزهراء ، فاذا وجد العدة امرهم بان يغدوا عليه محلقين رؤوسهم ، وايديهم على مقابض سيوفهم ثم لا يفي له - بابي ونفسي - الا اربعة من اولئك الاربعين او قل من اولئك السبعين الف رجل[1] وكل زمان بالكرام بخيل) فصبر - روحي فداه - (وفي العين قذى وفي الحلق شجا) خوفاً على دوحة الاسلام النضرة الغضة ان تذبل بسموم الحروب والفتن او تقتلعها اعاصير الاختلاف والفرقة ، عملاً بعهد رسول الله اليه ، ورسول الله اعلم بما عهد ، والا فانه يعرف اخاه ابا الحسن يغنيه حزمه عن الانصار وبأسه عن الاعوان ، ولو تظاهرت العرب والعجم على قتاله - وكم تظاهرت - فلم يول عنها الدبر .

(١) وهم الذين بايعوه يوم الغدير على اقل رواية وفي اعلاها مائة وعشرون الفاً

وقد جرى على نسقه سليله الحسن المجتبى، كما في حديث شكايته عند جده المصطفى في الرجعة من أنه لو وجد اربعين رجلا لما صالح معاوية وسلم له الامر، ولكنه لما لم يجدهم بل اطلع على كتب رؤساء الكوفة لمعاوية في وعدهم اياه ان يسلموا له الحسن واخوته صالحه على مضض وعلى شروط كثيرة فيها صلاح حاضر الأمة ومستقبلها، وضنا باخوته و حامته على القتل ولغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا).

والتكاليف الأمتحانية للأختبار تجد كثيرة في الشريعة الأسلامية (ليبلوكم أيكم احسن عملا) ويشهد لما أقول جوابه ع لشقيقته العقيلة زينب الكبرى حيث قالت له: (هل استعلمت من اصحابك نياتهم فاني اخشى ان يسلموك عند الوثبة) فيجيبها - رابطا على قلبها - (والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الاشوس الاقعس، يستأنسون بالمنية دوني استيناس الطفل الى محالب امه).

ولعل المعترض يزعم من باب الإفتراض ان هذا الوجه لا يقاوم محذورا انتهاز هم الفرصة، وتعلقهم بالمعاذير، واستغلالهم رخصته فيتفرقوا عنه كما امرهم،

فنقول في جوابه حاشا أولئك الصفوة الكرام أن يعلق بهم هذا الوهم، أو يمر بخيال سيدهم فيهم هذا الاحتمال، لأننا نعرف بنفسياتهم منهم، ولقد عبّروا عن تفانيهم في سبيل نصرته بأوسع ما تحتمله الألفاظ، وإن ضاقت عن مكنون خواطرهم، ويكفيك شاهداً أن مسلم بن عوسجة يقول: ((والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق ثم أحيا ثم أذرى يفعل بي ذلك سبعين مرة لما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك)) وجاء زهير بعده فانتهى إلى الألف وما ذاك إلا لأن السبعين والألف هما الغاية في المبالغة في عرف العرب.

على أنا لو فرضنا من باب المحال - وفرض المحال ليس بمحال - أنه مرّ بهاجس الحسين ما ذكره المعترض في أنصاره - وحاشاهم - لوجب عليه أن يخطب فيهم خطبته ويجعلهم في حل من بيعته، كما خطب في الطريق بأوشاب الناس وذوي الأطماع وبيّن لهم صراح الأمر، فتفرقوا عنه ذات اليمين وذات الشمال وميّز الله الخبيث من الطيب، إذ لو حذا هؤلاء الصفوة والبقية الباقية حذو أولئك كان الأولى بهم أن يتخلى منهم كما فارق سلفهم، ثم كان على يقين من وجهة أمره مع القوم، وإذا استغلّوا رخصته وتعلّقوا بالأعذار كما فرضه فيهم المعترض

فهم من السيف انجزوا عجز ، وفرارهم غداً من لقاء ها تيك الاهوال اولى واجدر ، فلا يغامر فيهم سيد الشهداء ويقابل فيهم جموع الاعداء ، ولكن فرض المحال ليس بمحال ولا ينتج الا المحال :

الثاني انه عليه السلام قد شحذ عزائمهم بخطبته ، وصقل هممهم بهذه الرخصة ، على حد قول الشاعر (دع عنك لومي فان اللوم اغراء) الم تر انهم قد شاع السرور في نفوسهم بعدها ، وبدا الفرح على اسارير وجوههم ، وخرجوا من طورهم المعهود فيهم من الرزانة والوقار الى حيث اخذ يضاحك بعضهم بعضاً ويهازل بعضهم بعضاً وخف بهم الشوق الى مصافحة السيوف ومعانقة الحتوف دون مهجة المرتضى ووديعة المصطفى ، حتى طالت عليهم ليلة عاشوراء فما اجدرهم بقول ما دحهم ورائيهم :

إن دعوا خفّوا الى داعي الوغى   واذا النادي حبى كانوا ثقالا

الثالث ، انه اراد ارتفاع منزلتهم عند الله ، لان درجات اهل الجنان متفاوتة جداً كما يقول تعالى (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) فلعله علم - والله ورسوله ووليه اعلم - ان درجاتهم في الجنة بعد رخصته لهم وامتناعهم عن فراقه تعلقاً بالمعاذير ترتفع عند الله ، وانهم سيبلغون

معه إلى درجة (ورضوان من الله أكبر) ولقد قسنا ما هناك على ما هنا (وقسنا الآخر على الأول) فقد رأينا أنهم استحقوا بعد تطوعهم بنفوسهم على القتل دون حبيب الله وابن حبيبه أن يكشف عن بصائرهم فيروا منازلهم في الجنة بأبصارهم، وهم في قيد الحياة. فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً،

(الرابع) لعل بين أبي السبطين وولديه الريحانتين فرقاً في تكليفهم الخاص بهم عند الله والذي قد تنكشف لنا بعض وجوهه من آثاره، وهو حفظ المرتضى لبيضة الإسلام وتربيته لدوحة الدين بصبره وترك حقه ما لم تكمل له العدة، وزاد عليه سليله المجتبى بضنه بإخوته وحامته على القتل ما لم يستكملها علماً منه بأنه إذا نهض قبل استكمالها استأصل معاوية وأهل الغدر من الكوفة شأفتهم وانقطع نسل رسول الله ص، وهناك المصيبة والبلاء، وأما شهيد الإباء والعظمة فإنه ضن أيضاً بإخوته وحامته وصفوة أنصاره على القتل، بعد أن علم صدق نياتهم وعزم أن يقف في وجه تيار الأهوال بنفسه، ويحطم كيان دولة الجور والظلم بهمته التي لا يثنيها القضاء ولا يصرفها القدر، فقتله وحده أهون على نفسه من قتلهم معه ما لم يمتنعوا عن ذلك أشد الامتناع فلا يضن عليهم بالفوز معه

بدُجتِه المغشّاة بالنور ،

بو بك أيها المعترض هلمّ لتسبح معي في فضاء الفكر الواسع فإن شئت فصوّب النظر إلى الحضيض الأسفل ، وقل إنّ الحسين أراد أن يفرّق أصحابه وحاميته في المدائن والسواد حتى إذا أصبح الله الصّباح ورآه بنوا ميّة قد فرّق عسكره ولم يتأهّب لقتالهم أدركتهم الرأفة به ورضوا منه بدون النزول على حكمهم ، بل أذنوا له أن ينصرف بنسائه وأطفاله إلى أيّ ثغر من ثغور المسلمين فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم وإن شئت - وكان الأولى أن تشاء ذلك - فصعّد النظر إلى الذروة العالية ، لترى الحسين كيف يحلّق وحده في جوّ الإباء والعظمة ، فيريد أن يتجرّد من الأعوان مع وجود الأعوان ، ويتخلّى من الأنصار مع وجود الأنصار ، ليكون إمام الأباة غير مدافع ، وواحد أبطال العظمة بلا استثناء وإن ذكرت له امتيازاً بينه وبين أبيه تبعاً لغيري فقلت ،

لم يتّفق لشجاع مثل موقفه مذ ها هنا فانظر التاريخ للقدم
لأنّ خمسين من جند ومن محن فكان بينهما أرسى من العلم

لكنّ هذا الفارق أعظم ، بل هو في نظري أعظم وسام للعزّ ادّخره الله لحبيب رسول الله ، وأشرف خاصة

قرن الله بها في دنيا العظمة والإباء اسم الحسين .

ودع ما كان بين الحسين وبين ربه ، فليس لنا ان نتداخل بين العاشق ومعشوقه ، حيث أراد أن يمثل بين يديه متجردًا عن جميع علائق الدنيا ، حتى لتكاد نفسه تفارق مركز بدنها شوقاً للقائه ، مترفعًا بحبه الحقيقي الصادق عن درجة قول القائل :

تركت الخلق طرًا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا

ومن يدرينا لعله لذلك استحق أن يخاطبه مولاه ويخلع عليه حلة ندائه « يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي » ولكن ما ادري يا أبا عبد الله دخلت جنة ربك وهي بأية حالة ، هل كانت فرحة بمقدمات المقدى مرجعة مصرع عليك ، الفظيع

هل زرت جنة عدن وهي في جزع عليك ام بك طرف الخلد مكحول

ام هز عطفك بشرى النعيم وفي خبا النساء ضرام النار مشعول

٭ ٭
٭

كيف برزوا للجيش آحاداً

الشجاعة قوة ارادة في القلب ، ومضاء عزيمة في النفس تبعث صاحبها على تحريك عضلاته(١) على الأقدام على المخاطر وترباً به عن الأحجام وتولية الدبر ، وقد تكون غريزية في النفس ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقد تكون موروثة من العنصر ، وللعناصر اثرها العجيب وعملها القوي في تركيز الملكات في محالها المستعدة لقبولها ولكنها في الغالب تكتسب من التدريب والتمرن ، فان العادات قهارة ولكل امرئ من دهره ما تعودا ، وللبيئة(٢) التي يعيش بها الأنسان عاملها الفعال حيث يتحقق عنده ان الأقدام مكرمة وفخار ، والجبن منقصة وذلة وعار للشخص الجبان وسبة خالدة في اعقابه فيضحي ببدنه دون سمعته وبحياته الفانية امام ذكره وصيته والذكر للأنسان عمر ثاني .

اما القتال الذي يراد به وجه الله سبحانه فيكون مبعث الشجاعة فيه - علاوة على ما ذكرنا - قوة الأيمان في النفس ورسوخ العقيدة في القلب ، لذلك تقدر بمقياس تعلقه وشدة ارتباطه بمبادئه المقدسة ومبلغ

(١) جمع عضلة : كل عصبة يجتمع معها لحم (٢) البيئة : الحالة

أخذه بنصيبه منها ،

وقد اختار الله لحبيبه الحسين أنصاراً توفرت فيهم بواعث الشجاعة وتكاثرت فيهم دواعي البسالة ، كانوا شجعاناً في طبايعهم وغرائزهم وكانوا فرسان المصر وأهل البصائر وقوماً مستميتين ، كما شهد لهم عدوّهم ، وقد لمس الإيمان قرارة نفوسهم ، فأحبوا الحسين لذاته ومعناه وتسابقوا للموت دونه متأسين بما ستيئناس الطفل لمحالب أمه ، وخلفوا به جدّه رسول الله لما وعوا قوله (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما) وحفظوا به بيضة الأسلام لأنه يتجلى لأعينهم بشخصه الرباني ، ونصروا المثل العليا لأنها تتمثل بأسمى معانيها في نفسه الكريمة ، وذادوا عن حوض العدل وشريعة الأنصاف وردعوا الظلم ووقفوا سداً منيعاً في وجه تياره ، والأخذ بيد المظلوم غريزة النفوس البشرية السليمة فضلاً عن كبرائها من عظماء الرجال ، فقد دعاه أهل الكوفة ليحملهم على المحجة البيضاء والطريق اللاحب ، وينقذهم من مخالب أمية السبعية التي عاثت فساداً بدينهم ودنياهم ، ولا كما عاث فرعون فساداً في بني إسرائيل وبلادهم ، فلما لبى دعوتهم عدوا عليه

يقتلونه ومن معه من أنصاره وأطفاله تلبيةً لدعوة أُميّة من غير ما رأفةٍ ولا رحمة ،

ولقد ضاعف قوّتهم المعنوية وزادها سببٌ هو أعظمُ الأسباب وأقواها ألا وهو اتّصالهم بالحسين ، فأسرتهم أخلاقه وسرت إليهم طباعه وجذبت قلوبهم ونفسياتهم نفسيّته العظيمة ، كما يجذب الحديدَ المغناطيسُ فكأنّ الله خلقهم له عن جديدٍ على مثاله وطبعهم على غراره ٠ (١)

هذا بَلْه ما يرجونه - كما بشّرهم - من دخول الجنّة ومعانقة الحور العين على حدّ قول بعضهم (والله ما بيننا وبين الحور العين الّا أن يميل علينا هؤلاء بأسيافهم)

بل رُوي أنّه أراهم منازلهم وهم في قيد الحياة ، فلا تعجب إذا لاقى كلّ واحدٍ منهم بمفرده جيشَ الكوفة بقضّه وقضيضه وعدده وعُدّته ، ونقل لك التاريخ أنّه ضاق بقتال أشدّائهم ذرعًا واعتصم مُقاتلته عنهم بالفرار والهزيمة فانّ الأرادة إذا عظمت صغر لديها كلّ كبير ، والبواعث النفسيّة إذا توفّرت تضاءَل (٢) في جانبها كلّ عدد ، فكأنّما خلقت هذه البواعث في نفس كلّ واحدٍ عزائم لا منتهى لها مُدّةً وشدّةً وعِدّةً ، فتراه إذا برز وحده للجيش

(١) بَلْه : اسم فعلٍ بمعنى دع واترك (٢) تضاءَل : صغر وضعف

بأسره .

يصول فرداً بجيشٍ من عزائمه   وتراً ولكنه للجمع قد وترا

بشمم الحسين وإبائه وصلابة الإيمان الذي خامر نفسه يحيي الهيجاء بثغره الباسم وقد قطبت في وجهه وكشرت عن أنيابها ، ويخمد لهبها المحتدم غيظاً وغضباً بوجهه الوضيء الوضاح ، فكانوا من أظهر مصاديق قول أمير المؤمنين (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم) ولست أحابيهم الثناء ، أو أكيل لهم المدح جزافاً فهذا العدو يعترف لهم بذلك ، حيث لام العذول بعض من حضر منهم وقعة الطف ، فقال فيما قال (ثارت علينا عصابة أيديها على مقابض سيوفها كالأسود الضارية ، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً ، تلقي نفسها على الموت ، لا تقبل الأمان ولا ترغب في المال ولا يحول بينها وبين حياض المنية) وهذا أعرف الناس بنفسياتهم سيدهم الحسين يشهد لهم بكلمته الثمينة الخالدة (أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي) أجل والله لم يسجل التاريخ منذ بزوغ فجره إلى يوم الناس هذا لواحد من بني الإنسان لاقى بمفرده جيشاً

برمته ، فلم يهن عجزاً ولم يستكن ذلاً ، ولم تخر عزيمته جبناً ، اللهم الا ما كان ممن عجبت من حملاته ملائكة السموات يوم احد (إذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم) ويوم حنين (إذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) وعلي يذود بهم المشركين ويردّ كتائبهم عن وجه سيد المرسلين ، يحصد الرؤوس حصداً ويقدّ الابدان بسيفه قدّاً ، وجبرئيل يشيد بذكره وينوه بمدحه منادياً بين السماء والارض .

لا سيف الا ذو الفقار ❊ ولا فتى الا علي

اذاً فلا تحسبنا مبالغين في مدحهم ومغرقين في وصفهم اذا قلنا فيهم ،

فان لم يكن فيهم علي فكلهم ❊ علي أمير المؤمنين إذا كرّا

لقد تضاحكوا للقاء الموت جذلاً واجنهم حب الحسين فرحاً حتى نضوا الدروع عن اجسادهم واصحروا بها لسيوف الاعداء ورماحهم ، ودعوا على انفسهم ان تأكلهم السباع احياء ان هم تركوه وحده وانصرفوا عنه ولم ينصروه ، وتمنوا ان يقتلوا دونه ثم يحيوا ثم يحرقوا يفعل ذلك بهم مراراً ، وقد صدقوا الله ما عاهدوه ، فقد روي انه لما وقف بينهم

يندبهم ويرثيهم ويدعوهم لنصرته وحماية حرمه (وهم جثث فوق الصعيد هوامد). قد فرق بين رؤوسهم وأجسادهم ذبابة تلك الأماني الحلوة بذل الأرواح، ونهضت بهم عزائمهم بعدما سرت في عروقهم وشرايينهم عوض الدماء، فأخذت جثثهم تضطرب على وجه الأرض كأنها تستأذنه بالقيام ولقاء الأعداء كما استأذنوه في حياتهم بالبراز غير آبهين بتفريق رؤوسهم عن أجسادهم ولا محتفين بفراق أرواحهم، وايم الله لو أذن لهم بالقيام لقاموا، وبرازًا للأعداء لبارزوهم أشد من البراز الأول، لكنه أومى إليهم بالسكون وأشار إليهم أن يعودوا كما كانوا، فسكنوا امتثال أمره، وعادوا إلى نومتهم طواعية رأيه، وإذا كان هذا سيرهم معه في حياتهم ودأبهم بعد مماتهم فلا نرى صاحب الرواية مبالغًا في وصفه إذ يقول وقف الحسين على أصحابه كالطير المتكسرة أجنحتهم، وأخذ يدعوهم بأسمائهم واحدًا واحدًا، يا مسلم بن عقيل، ويا هاني بن عروة، ويا حبيب بن مظاهر، ويا زهير بن القين، ويا فلان ويا فلان، يا أبطال الصفا ويا ليوث الهيجا، مالي أناديكم فلا تجيبون وأدعوكم فلا تسمعون، أنتم نيام أرجوكم تنتبهون أم حالت مودتكم عن إمامكم فلا تنصروه، هذه نساء الرسول لفقدكم قد علاهن النحول، ولكن صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون ✻ أحبّاي لو غير الحمام أصابكم ✻ عتبت ولكن ما على الموت معتب ✻ إلى الله أشكو لا إلى الناس شكتي ✻ أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

لماذا بشّر وحده أباه بالرّواء

في ظنّي أنّ المعترض سيقول ، أيّة خصوصية لعليّ بن الحسين الأكبر ، دون أصحاب أبيه من صاغيته[1] وأنصاره ، فيدعو أباه وهو في دور الاحتضار (يا أبتاه هذا جدّي رسول الله قد سقاني بكأسه الأوفى شربة لا أظمأ بعدها أبدًا وهو يقول العجل العجل فإنّ لك كأسًا مذخورة حتى تشربها الساعة) فإنّه إن كان قد زاول الحرب عطشانًا ، فمن الذي زاولها منهم وهو ريّان ، وإن كان أمسّهم بالحسين رحمًا فإنّ الأجنبيّ أولى بتوفير الأجر لأنّه كالمتطوّع السابق بالجميل والإحسان ، وأمّا مثل الأكبر فهو قائم بواجبه ، وقد سار في الأمثال لا شكر على واجب) فخير علاج لهذا الخبر أن نعتبره من الموضوعات ، شأن غيره من الأخبار فهي كثيرة جدًّا .

قلنا أمّا كون الواجب لا شكر فيه بل كون المتطوّع أفضل منه فغير تامّ ، بل قد تقرّر في علم الفقه ، أنّ الواجب أفضل من المستحبّ ، على أنّ جهاد أنصار الحسين وأولاده وإخوته على شاكلة واحدة إن واجبًا وإن مستحبًّا ، ولو لم يكن في الواجب شكر لما أثاب الله المجاهدين بل الأنبياء و

(١) صاغية الرجل : قومه الذين يميلون اليه

المرسلين .

فاما كون اجرهم بالاستحقاق او بالتفضل من الله سبحانه فلا يدخل في غرضنا ، ولا يدور عليه محور بحثنا ، ولكننا نرى الله سبحانه يقول لنبيه ، بانى كيان الاسلام ودافع قواعد الدين وسيد المجاهدين في سبيله ، (وكان فضل الله عليك عظيما) وفي موضع آخر (وكان فضل الله عليك كبيرا) واما الالتجاء للاعتقاد بوضع الخبر وتكذيبه لأدنى شبهة تعرض في الذهن وقبل علاجه بوجه مقبول في العقل فبعيد عن مساق العرف وساحة الاصول الخطابية عند كافة الناس ، نعم يلتجأ الى ذلك اذا خالف ضرورة الشرع او صادم بداهة العقل والوجدان ، او عارض على الأقل ما هو اشهر منه متنا واصح منه سندا .

فنقول في الجواب ان حديث هتاف الأكبر بابيه ليس فيه اي اختصاص للأكبر ، ولا يمنع من ان غيره سقاه الرسول ماء وهو في قيد الحياة ، فبشر بذلك غيره ، فلا نحتاج للبحث عن هذا الاختصاص ، او رد الحديث اذا فقد الوجه ، الا اذا قلنا بحجية مفهوم اللقب[1] ، والتاريخ لم يضمن لنا نقل كل حادثة تقع فيه ، فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود ، ولو سلمنا ان الأكبر (٤)

(١) مثال عدم حجية مفهوم اللقب ان تقول محمد رسول الله فانه لا تنتفي رسالة غيره كموسى

اختصّ بأن ينطلق لسانه فيبشّر اباه دون بقية انصاره ، فيمكن أن نتصوّر لذلك وجوهًا .

الأوّل لعلّه كان أشدّ من غيره عطشا ، إلّا أباه (ع) أرواحنا فداه ، ألا تراه لمّا رجع من الحرب شاكيًا له العطش لم يُحوِّله على غيره في إقناعه بأنّ هناك من هو أشدّ منه عطشًا ليسلو عن عطشه ، لأنّ المصاب إذا نظر لمصاب غيره المساوي لمصابه والأشدّ ، تسلّى عن مصيبته ، ولهذا قصّ الله على نبيّنا اخبارًا لأمم السالفة في تكذيبهم أنبياءهم ورسلهم ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر ،

ولولا كثرة الباكين حولي على قتلاهم لقتلت نفسي

فتسلّى الأكبر عن عطشه ، بل نسي تلك النار الملتهبة بين أضلاعه لمّا وضع أبوه لسانه في فمه ، فأحسّ من يبوسة اللسان ، شدّة أوار العطش ، في الجنان (١) ومن بعد عهده بالريق أنّ القلب لا يدور فيه دم الحياة ، وسوف تسكن عروقه وشرايينه (٢) ولا تنبض في آخر الأرماق إذ اللسان دليل القلب ، والعنوان حاك عن المعنون ، فطبيعيّ و هو الذي يتفانى في سبيل حياة أبيه لأنّها حياة مبدئه المقدّس ودينه الحقّ أن ينسى عطش قلبه ، ولا يحسّ منه

(١) الجنان : القلب (٢) الشرايين : جمع شريان : العرق النابض الذي يجري فيه الدم

بشيء ، ويديهي ان تتضاعف قوته المعنوية فينشط على جهاد العدو ، ولا بدع فقد سمعنا بالكثير من العشاق لم يحسوا بوقع السلاح ولا الم النار ان سمعوا أنين معشوقهم ، فأي عاشق أصدق عشقاً من الأكبر ، وأي معشوق أولى بالحب الصادق والعشق الحقيقي من ريحانة الرسول وقرة عين الزهراء البتول .

وسبب آخر لشدة عطش الأكبر وهو طول مزاولته للحرب فقد ضج العسكر من كثرة من قتل منهم وغبر في وجوه القوم ، حتى ظنوا ان حيدراً الكرار قد شق ضريحه وجاء لنصرة ولده ، و عندها حمي بعض ابطال الجيش ، وهم طارق واخوه وابنه فحاربوه مبارزة واحداً بعد واحد ، فكانوا بين يديه وشدته بأسه كالعصافير في مخالب الصقر ، ثم رماه ابن سعد بذخيرته من الجيش وبطله الذي اعده للشدائد بكر بن غانم فأمر الحسين أم ليلى ان تدعو لولدها الوحيد ثقة بحديث النبي صلى الله عليه وآله (دعاء الوالدة في ولدها مستجاب) فنصر الله علياً على قرينه بكر بحديث النبي ص كما نصر جده علياً على مناجزه بطل الأحزاب بدعاء النبي ص ، وبعد قتله وقف يتحداهم للمبارزة ويدعوهم للمناجزة ، فلم يبرز اليه احد ، فرجع الى ابيه يطلب الجائزة شربة ماء يتقوى بها

على القوم الظالمين - يا لفظاعة الخطب عند الحسين ؏ يا لعظم مصيبة الوالد إذا لم يجد ما يسعف به الوليد بشيء يطلبه منه وقد مست له الحاجة، عزيز علينا والله أن يطلب الينا ابناؤنا شيئاً عزيزاً وجوده، ثم لا نقدر على إسعافهم به، فكيف إذا كان مبذولاً لكل أحد كالماء

فرده بأبي وأمي إلى الميدان رداً جميلاً، بعد أن دفع لسانه في فمه، ليكون على اطمئنان أن أباه أشد منه عطشاً، وإن لم يزاول الحرب والقتال، فلو كان هناك ماء لآثره بر كما آثره بريقه، بناء على استمرار بقائه في حلقه.

فانصاع يؤثره عليه بريقه لو كان ثمة ريقه لم يجمد

كل حشاشته كصالية الغضا ولسانه ظمأ كشقة مبرد

وسبب ثالث لشدة عطش الأكبر كأبيه الحسين، أن جسديهما لم يستطع أحد حملهما بغير وسيلة تجمع أوصالهما، من كثرة الجروح التي أصابتهما، فجسد الحسين رفعه ؏ زين العابدين لقبره ببارية أتابها بنو أسد، والأكبر جمع أبوه الحسين أوصال جسده بردائه لما أراد حمله إلى الخيام، ولا شك أن كثرة الجراح توجب شدة استعار نار العطش واللواح "(١)".

(١) اعلم ان العطش والظماء واللواح والأوام والصدى كلها مترادفة أو متقاربة

نقول وإذا ثبت أن الحسين وولده الأكبر كانا أشد عطشاً من كل من عداهما لزم بنبي الرحمة أن يختصهما بكأسه ويسقيهما وهما في دور الاحتضار .

الثاني أن الحسين قارن تسليته ولده بين دفع لسانه في فمه وبين قوله « يا بني قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً » فأراد الله أن يعجل البشارة لحبيبه وابن حبيبه بأنه قد أنجزله وعده ، ولم يخلف له ظنه وثقته به ، فسقى مهجة قلبه بحوض نبيه من كأس وليه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ، والحسين وإن اعتقد ذلك في أنصاره كلهم ، بل اعتقده لهم الأعداء ، ولكن للتصريح لذة كما جاء في الأمثال ، فما ألذ وقع هذه البشارة في مسامع الحسين ، إني أظن أن الأكبر مضى الى ربه وهو مطمئن أن سرور الحسين بهذه البشارة سيندك فيه حزنه بمصاب ولده البار الحبيب ،

الثالث لقد صح في الروايات أن الأكبر كان يشبه رسول الله خلقاً وخلقاً ومنطقاً ، ولقد كانت مصيبة أهل البيت برسول الله عظيمة جداً ، وشوقهم لرؤية(١) وجهه المبارك وخلقه العظيم ومنطقه العذب الفصيح

(١) الخلق والخلق : السجية والطبع والمروءة والعادة

لایزال یزید و ینمو علی توالی الشھور والایام ، فلما ولد الاکبر فاشبھہ بھذہ الصفات خفف بعض وجدھم واخذوا یشبعون نھمتھم لرؤیتہ وجبر الرسول بالنظر لوجہ شبیہہ الرسول ، وربما قیل انہ کان یأمرہ بالاذان قبالۃ وجھہ لیسمع اسم الرسول بنغمۃ صوت الرسول المنبعثۃ عن شمائل الرسول فلما برز الاکبر وحدہ للقاء جیش الکوفۃ بکاملہ ،

فتلقی الجموع فرداً ولکن کل عضو فی الروع منہ جموع

اتبعہ ابوہ بصرہ ، وکلہ وجد علیہ وھیام ، وقیل اخذ یھرول خلفہ لانہ سلب فؤادہ ولبہ حیث اصطرع فیہ الامل والیأس فالامل برجوعہ یحیا ویعیش اخلاداً لشجاعتہ التی یعھدھا فی ولدہ ، فقد جاءتہ جذوۃ من جدہ حیدر الکرار والیأس یعظم ویشتد لانہ رآہ مشتاقاً للشھادۃ و جوار الملک الجبار ، الم تستمع الی قولہ للنساء ولقد تعلقن بہ لما ھم بالرجوع (دعنہ فقد اشتاق الحبیب الی حبیبہ) لذلک ارسلھا زفرۃ من قرارۃ نفسہ ورفع سبابتہ الی السماء شاکیا لإلہ الارض والسماء قائلاً فیما قال (اللّٰھم اشھد علی ھؤلاء القوم فقد برز الیھم غلاماً اشبہ الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولک ، وکنا اذا اشتقنا الی نبیک نظرنا الی وجھہ) فالآن ـ وقد ایسنا منہ ـ الی ای وجہ نتوجہ

فطبيعي والحال هذه أن أمل الحسين عليه السلام قد ذوى بموت الأكبر من جده رسول الله وسلوته عن رسول الله ، فأين الوجه الذي ينظره إذا اشتاق و كله شوق للنظر إلى جده ، وأين الصوت الذي يملأ مسمعًا بأنغام صوت جده ، لذلك أخذ الأكبر يدور يسليه عن نفسه بنفسه ، قائلًا له هذا جدي فكأنه يقول له إذا انقطع أملك من رسول الله وذوى أرجاؤك من شبهه و عوضه وبديله وعجل اللحاق به ، فها هو عندي حاضر ، ولقدومك منتظر ، فتحظى حينئذ برؤية الأصل وفرعه ، و المعوض وعوضه (الرابع) لقد ترك الأكبر والده الحسين ع يتلهف للقاء رسول الله هو في رغبة شديدة لرؤيته حبًا لذاته ، وهو في شوق عظيم للمثول بين يديه ، ليتمتع من رؤية وجهه ويسرح نظره في رياض قسماته ، وهو في حنين للاتصال به ليبثّ له ما يكنّ ضميره من شكاته ، وربما سمعه الأكبر يوصي بذلك بعض أنصاره وحماته ، وفي ظني أن أحرّ شكوى يبثها لرسول الله إذا اتصل به منع أمته ولده ومهجة قلبه من ورود الماء على شدة حاجته إليه ، وهو ميسور تحت أيديهم ، تتمرغ فيه الكلاب والخنازير ، فما إن مثل الأكبر بين يدي جده رسول الله

حتى هتف بالحسين (هذا جدي قد سقاني شربة فلا أظمأ بعدها أبدًا) فكأنه يقول له لقيت جدي ومت مقامك بالشكاية لديه، ونبئت ما بك في التظلم بمجرد أن مثلت بين يديه، فاعدك في الشكوى وسقاني شربة لا أظمأ بعدها أبدًا (وما عند الله خير وأبقى، وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى)

(الخامس) أنك سمعت ما جاء في الرواية في مسير الحسين، حيث هومت عيناه بالنوم ساعة، وانتبه وهو يقول إنا لله وإنا إليه راجعون، فأقبل عليه ولده علي الأكبر، وقال له يا أبت لما استرجعت لا أراك الله سوء، فقال يا ولدي خفقت خفقة، فرأيت فارسًا وهو يقول القوم يسيرون والمنايا تسير بهم، فقال له ابنه علي يا أبه أفلسنا على الحق، فقال بلى يا بني والذي إليه مرجع العباد، فقال يا أبه إذًا لا نبالي بالموت، فقال له الحسين جزاك الله خير ما جزى ولدًا عن والده - فيستفاد من هذه الرواية أن عليًا الأكبر تجلى بأجلى مظاهر الحرص في حب الجهاد في سبيل الله نصرة للحق وإذهاقًا للباطل

وذياداً عن شريعةِ العدلِ والهدىٰ الىٰ آخرِ نفسٍ يلفظهُ
من انفاسِ حياتِهِ ، واذ قد صُرِعَ عن جوادِهِ ۔ ولا
تَسَلْ عمّا اصابهُ مِنَ الجراحاتِ التي لا تعدُّ ولا تحصىٰ ۔
اَراد اَن يُوصي لمن خلفهُ من انصارِ ابيهِ اَن لا يكلّوا عن
الجهادِ اجلْ (حُبَّ لاخيكَ المؤمنِ ما تُحبُّ لنفسِكَ)
كما اوصىٰ سعدُ بنُ الرّبيع لأخوانهِ الأنصارِ بنُصرةِ رسولِ اللّٰهِ
بعدَاَن صُرِعَ في واقعةِ اُحُدٍ اذ قالَ لمن جاءَ ينظرهُ كأمرِ الرّسولِ
اَفي الأحياءِ هو اَمْ في الاَمْواتِ ۔ وكانَ منَ الانصارِ ۔
(اَبلغ قومكَ عنّي السّلامَ وقل لهم اِنّ سعدَ بنَ الرّبيع
يقولُ لكم انّهُ لا عُذرَ لكم اِن خُلِصَ الى نبيّكم وَفيكم عينٌ
تَطرِفُ) فقالَ الرّسولُ تعليقاً علىٰ وصيّتهِ واشادةً بأيمانهِ
المتينِ (رحِمَ اللّٰه سعداً نصرنا حيًّا واوصىٰ بنا ميّتاً)
وكذلكَ حبيبٌ لمّا استعدّ لقبولِ وصيّةِ مسلمِ بنِ عوسجةَ
لولا قربُ منيّتهِ ومصرعهِ من مصرعِ مسلمٍ اَوصاهُ مسلمٌ
بنصرةِ الحسينِ الغريبِ ، ولكنّ وصيّةَ الأكبرِ كانت
اَبلغَ اَثراً مِن وصيّةِ سعدٍ وابنِ عوسجةَ ، لاَنّ وصيّتهما
مجرّدةٌ عن المصلحةِ المُرتّبةِ على الجهادِ ، فقد جاءَ ا
بالوصيّةِ على حقيقتِها ، والاكبرُ كنّىٰ عنها بذكرِ المصلحةِ
وهُوَ الأستقاءُ بعدَ شدّةِ ذلكَ العطشِ مِن حوضِ الرّسولِ

بكأسه الأوفى ، والمجاهد بعد في قيد الحياة الدنيا فما بالك به إذا انتقل إلى الحياة الدائمية الأبدية نعم (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) وقد ذكر علماء البيان أن الكناية أبلغ من التصريح ، لاقترانها بالدليل والبرهان ، ألا ترى شهداء بئر معونة وأحد لما رأوا جزاءهم عند الله جزاء موفورا ، تمنوا أن يجدوا لهم رسولا يبلغ من خلفهم بما لقوا عند الله وبما أعد الله للمجاهدين لئلا ينكلوا عن الجهاد ، فقال لهم الله أنا أبلغهم عنكم وأوحى إلى نبيه الصادق المصدق ، (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)

(السادس) لقد رجع علي بن الحسين إلى الميدان ناسيا عطشه ، أن رأى التفاوت عظيما في المقياس بين عطشه وعطش أبيه ، وإذا كان أبوه أشد منه عطشا فينبغي أن يسقى قبله بكأس الرسول الأوفى ، وإذا لم تأت

نوبته بعد فی السقیا لأنه لم یدخل فی دور الاحتضار ، فاللازم الانتقال الی البشارة لأن ذکر العیش نصف العیش فانْ رأی الأکبر الکأسین بید جده المصطفی یتلقی بهما الأشدین عطشاً ، حتی هتف بأبیه یبشره بهما ، ولکنه رأی قصاری مقصد الحسین سقیا ولده وکان قصاری مناه سقیا أبیه ، لأنه أشد منه عطشاً ، وهو له أشد من نفسه حباً ، لذلك آثر قصد أبیه علی قصده کما آثره الأب البار الرحیم بریقه ، فبدأ بذکر منی أبیه قبل منی نفسه ، فقال (هذا جدی رسول الله سقانی بکأسه الأوفی شربة لا أظمأ بعدها أبداً ، وهو یقول لك عجل فان لك کأساً مذخورة) وإذا جاءت الروایة أن الحسین لما ألقی نفسه علی ولده دخل فی دور الاحتضار فلا أری سببه إلا الاشدة منی الأکبر وحرصه أن تأتی نوبته أبیه ، فیسقیه جده تلك الکأس المذخورة ، وقد أعطی الله الأکبر ما تمنی ، لولا أن عمته العقیلة حالت دون مناه ، إذ خرجت من الخیمة تؤم الشلو المبضع ، ویراها حمید بن مسلم ، وهی تنادی وا ابن أخاه ، فشغلت أخاها غیرة الله بأمر الناموس ، والعرض مقدم علی الأولاد والنفوس ، فترك ابنه لفتیانه یحملون أخاهم إلی الخیمة

بعد ان جمع بیده اوصاله المبعثرة برداته وردّ اخته الی الخيمة حذراً من شماتة الاعداء .

(السابع) يقول في الأكبر واصفه ومطريه ، وإن شئت قل مقرظه وناعيه .

جمع الصفات الغرّ وهي تراثه عن كل غطريف وشهم صيّد

فمن الذين ورثهم في صفاتهم الغرّاء ونعوتهم العليا . الخمسة الأشباح عليهم السلام ، فكان يشبه المصطفى خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ، وكان يشبه المرتضى شجاعة واسماً (والأسماء تنزل من السماء) واشبه عمّه الحسن الزكيّ جوداً وكرماً ، وجدّته الزهراء قصر عمر ، وعدم مبالاة بالسلطة القائمة ، و قلة اكتراث بالقوة الغاشمة ، فإنّ جدّته الزهراء لم تبال باوّل سلطة اسّست اساس الظلم والجور ، إذ صبّت عليها حاصباً من زواجرها ، وقرعتها بسياط مواعظها في خطبتها البليغة المرتجلة ، في حشد من المهاجرين والأنصار وجاء حفيدها يعيد بدوره العهد المجيد الفاطمي ، غير هيّاب من تجمهرهم ، ولا محتفٍ بكثرتهم ، ولم يحسب أيّ حساب لتحفّزهم وتحرّقهم .

انا عليّ بن الحسين بن علي نحن وبيت الله اولى بالنبي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

اضربكم بالسيف احمي عن ابي ضرب غلام هاشمي علوي

وقد ورث بطل روايتنا اباه الحسين بالإباء عن الضيم و الانفة عن ارتكاب الدنية ومسالمة الاعداء فدون ذلك ارتكاب المنية ، ولسانُ حاله يهتف صادحاً في مسمع الدهر مدوياً في اذن العدو المتجبر المختال .

لا تسقني كأس المدام بذلة　　بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ففت في عضده وانفلت زمام الصبر من يده ان سمع اعداء أبيه يُنادونه بلسان الشماتة والظفر (يا حسين اما ترى الماء يلوح كأنه كبد السماء ، والله لن تذوق منه قطرة واحدة حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها) فلم يرما يكبح به جماحهم ويخفض من غلوائهم الا ان يظهر في جهادهم ظهور من لم يبال بالعطش ، مفنداً لزعمهم ان سوف يقتلونهم بسلاح العطش واعظم من ذلك قولهم للحسين ستردُ الحامية وتسقى من حميمها ، فكذب زعمهم وهتف في متوسطهم (هذا جدي رسول الله سقاني شربة لا أظمأ بعدها ابداً) كما وعدهم بذلك ابوه الحسين حيث قال في رد قولهم هذا (بل ارد على جدي فيسقيني من حوض الكوثر) فكأن الاكبر يقول للاعداء لا حاجة لنا بفراتكم ، وان كان ميراثنا من جدتنا الزهراء ، فانظروا ما فعلنا بكم في الحرب على شدة عطشنا ، هذا في الحياة الدنيا فاقصروا عن الشماتة

أيها اللئام ، وأما في الآخرة فهذا جزاؤنا عند الله لا كما زعمتم يا أعداء الله وأعداء الإنسانية .

وأما الحسين فقد علّق على كلمة ولده هذه مصدقاً له فيما قال (ولدي علي قتلوك ومن شرب الماء منعوك تشفياً مني وشماتة بي ألم يعلموا أنك لا تبالي بمنعهم ، ولا تكترث بفراتهم فقد غبّرت على عطشك بجيشهم ، وكأنهم ما عرفوك) أنك وارث الزهراء ، والفرات بعض صداقها (ولا عرفوا من جدك وأبوك) أليس جدك رسول الله الذي طوّق رقاب العالمين بمنته وفضله أن جاءهم بدين فيه سعادة دنياهم وآخرتهم وقد قال المرء يحفظ في بنيه ، فما بالهم لم يحفظوه فيك وأبوك علي بن أبي طالب الذي بايعوه عموماً على يد رسول الله يوم الغدير بالولاية على الأحمر والأسود إلى يوم القيامة ، وقد بايع هؤلاء على الخصوص أباك الحسين على أن ينصروه ولا يخذلوه ، لا على أن يقاتلوا مهجة قلبه على شدة عطشه ثم يتعطفوا عليه من كل جانب ويقتلوه ، ثم ودع الحياة الدنيا إذ ودعه بكله تصاعدت معها شظايا قلبه بزفراته الحادة المتصاعدة من صميم فؤاده وأعماق ضمائره

(على الدّنيا بعدك العفا) لأنك كنت زهرتها وقد ذهبت، ونضرتها وقد محت، فعادت دوحة الآمال أغصانها يابسة، وبسمة المنى مقطبة عابسة فأين ذلك الوجه الذي أشبع فيه نهمتي من النظر لوجه جدّي المصطفى، وأين تلك الفروسيّة التي جدّدت ذكريات شجاعة أبي المرتضى، وأين تلك السماحة التي أحيت جود أخي الحسن المجتبى، اليوم مات الخمسة أصحاب الكساء، اليوم حرمت على مصاب غيرك البكا، ولدي علي، ولدي علي، ولدي علي.

بنيّ أجبني فقد أوشكت تفارق روحي جثمانيه
بنيّ الآن قطعت الرجا ألم تك غاية آماليه
الآن فقدت مثال النبي وسلواي عن كل أسلافيه

فلتذهب الدّنيا على الدّنيا العفا
ما بعد يومك من زمان أرغد

*

كيف رمى الغرفة من يده

ألحبُّ ينمو في القلبِ ويشتدُّ ، حتى يتمكّنَ من القلبِ ويتملّكه ، وله مراتبُ متعدّدةٌ ، ولتلكَ المراتبِ آثارٌ وخواصٌ ، واعلاها فناءُ العاشقِ في ذاتِ المعشوقِ ، فيسيطرُ الحبُّ فيها على القلبِ ، ولا شكَّ انّ الجوارحَ تابعةٌ للقلبِ تبعَ الرعيّةِ للسُّلطانِ ، وخصوصيّةُ هذهِ المرتبةِ ان تطغى الجوارحُ على الطبيعةِ وتخرجَ عن احكامِها ، فلا تعودُ تحسُّ بالآلامِ التي تحسُّ بها لو خُلّيتْ وطبعَها ، ولا تدركُ اللذّاتِ التي تدركُها لولا تمكّنُ الهوى منَ القلبِ ، وَرُبّما كانتْ لها آثارٌ وانفعالاتٌ لم تكنْ لولا بلوغ هذهِ المرتبةِ من العشقِ والهيامِ ، حتى كأنَّ الله ركّبَ فيهم طبيعةً اُخرى تخالفُ طباعَ البشرِ ، يسوطُ احدُهم القِدْرَ بيدِهِ فينتثرُ لحمُه في مرقِها وهو لا يجدُ للحرارةِ ايَّ ألمٍ ، وتأمُرُ امرأةُ العزيزِ بضربِ يوسفَ سبعينَ سوطاً - وبينَهُ وبينَها حجابٌ - فتضربُ الأرضَ قبلَ تمامِ السّبعينَ ضرباً شديداً ، ثُمّ يُضربُ هو تمامَ السّبعينَ سوطاً واحداً ضربةً خفيفةً فتؤذيها هذهِ الضربةُ ، وتحسُّ انّ السّوطَ

وقع على فؤادها ، فتفزع لذلك فزعاً عظيماً ، و تفتصد فيجري دمها على الأرض ، وهو يكتب ، يوسف يوسف ، ويدفن عاشق إلى جنب معشوقته فتنبت على قبريهما شجرتان تتقاربان وتتعانقان تعانق العاشق والمعشوق ، ويخبر النجاشي بسقوط رباعية رسول الله فتسقط رباعيته ، ثم يخبر بموته فيموت لوقته و ساعته .

والعباس في عشق أخيه الحسين لابدّ أن يكون قد بلغ الذروة العالية ، والمرتبة القصوى التي يضيق عنها نطاق البيان ، والتي لا يعلم مداها إلا الله خالق حقائق الأشياء ، فقد توافرت عليه دواعي حبه وهواه ، وعاد لا يرى في الوجود غيره ولا يبصر سواه ، أحبه لله في الله ، وأحبه لذاته ومعناه ، وأحبه لأنه كان أخاه ، بل سيده ومولاه ، وأحبه لشدة حب الحسين إياه ، وأحبه حبّاً جمّاً ، لغير ما ذكرنا فلا بدع ولا عجب إذا رمى الغرفة من يده بعد أن ذكر عطش أخيه الحسين ولم يحس للعطش ألماً ، علماً منه أن الماء سيذكي جذوة الظمأ في فؤاده الذي ملكه حب الحسين ، فليس لحب الماء فيه مكان ،

و

ولا عجب لو اكل الندم اصابعه وجرت دموع الأسف على وجنتيه ، حيث هم بشرب الماء من قبله ، وقرع باب التوبة في عتاب نفسه الكريمة بقوله .

يا نفس من بعد الحسين هوني ... فبعده لا كان ان تكوني
هذا الحسين شارب المنون ... وتشربين بارد المعين
يا نفس ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين

فهل في هذا الدليل مقنع لمن يتحذلقون[1] في عذله ، ويتحكمون في وجوب شربه الماء ، ليقوى به على الجهاد ويبلغ الغاية التي توخاها ، من ايصال الماء الى الحسين ثم يزيد بعضهم في الطين بلة وفي الطنبور نغمة ، فيقول انه بترك شرب الماء جنى على نفسه وقتلها ، وبعضهم يسترسل في عذره عن مقارفة هذا الذنب ، بان العباس غير معصوم ، كانه لم يعلم ان قاتل نفسه في النار ، وليس هو ذنبا من صغار الذنوب التي قد تصدر من غير المعصوم .

هذا ولنا في الجواب عن هذه الاعتراضات علاوة على الوجه الآنف اجوبة اخرى واليك تفصيلها .

---

(١) التحذلق : ادعاء الحذق والكياسة والتظرف في الكلام

(الأول) أن فعل العباس لابد أن يحمل على الصحة، لأنه مسلم، واحمل فعل أخيك المسلم على أحسنه، - أستغفر الله - بل فعله حجة لأنه معصوم من الزلل مفطوم من الخلل، أليس هو تلميذ مدرسة أبيه المرتضى باب مدينة علم المصطفى، وخريج جامعة أخويه السبطين الإمامين إن قاما وإن قعدا، وقد شهد له الإمام بأنه قد تلبس بالملكة النفسانية التي تشدد صاحبها عن اقتراف المآثم والانحراف عن الطريق المستقيم، إذ يقول (كان عمنا العباس (ع) صلب الأيمان، نافذ البصيرة)

وفي رأيي أن للعصمة مرتبتين (الأولى) التي يتلبس بها حملة عهد الله الذي لا ينال الظالمين، وهم الأنبياء والأئمة، وهي المشار إليها بقوله تع (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وهذه المرتبة لا يتنا ولها موضوع بحثنا لأن واحدا من الشيعة لم يدع أن العباس إمام ثالث عشر (الثانية) ما ذكرنا من الملكة النفسانية التي تمنع صاحبها عن ارتكاب صغير الذنوب وكبيرها، وهي فوق ملكة العدالة، وهي مطلوبة من الأمة بأسرها لقوله تعالى

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فنقول هل مثقال الذرة من الشر من صغار الذنوب ام من كبارها ، واذا كان من صغارها فهل نهانا الله عن ارتكابه ام لا ، واذا كان الله نهانا عنه فهل هو تحت قدرتنا واستطاعتنا ام لا ، لابد ان تكون الأجوبة كلها ايجابية ، فان مقدار الذرة كحبة الخردل في غير موضع تمثيل لصغير الذنوب ، ولابد ان يكون العبد منهياً عنه والا لم يكن ذنباً ، ولم ير الانسان له جزاء شراً ، ولابد ان يكون تركه مقدوراً لنا ، لأن الله لم يكلف الطاعة الا دون الوسع والطاقة .

والعباس - وحاشاه - اذا سلمنا معهم جدلاً بانه قارف هذا الذنب لم يكف الاعتذار عنه بانه غير معصوم ، فارتكب ذنباً صغيراً ، لأنه قاتل نفسه ، وقاتل نفسه من اهل النار ، فيكون ذنبه اكبر من الجبال والأرض والسماوات ، وليس اكبر منه الا عفو الله ، وقد ادعيت هذه المرتبة من العصمة للكثير من الناس ، فكيف يخلو منها مثل ابي الفضل العباس .

ثُمّ لم يكن لتقاريضِ المعصومِ عليه وجهٌ مقبولٌ ،
هل جاءَ في التاريخ أنّ أحدًا الصالحينَ - فضلًا عن
النبيينَ - قتلَ نفسه ، ليقولَ له الأمامُ ، (اشهدُ
أنّكَ مضيتَ على بصيرةٍ من أمركَ مقتديًا بالصالحين
ومُتبعًا للنبيينَ) .

ثمّ ارجع البصرَ واعدِا النظرَ لترى عظمةَ الثناءِ
عليه مِنَ الأمامِ - ولا يعرِفُ الفضلَ الّا اهلُه -
اذ يقولُ له (أشهدُ أنّكَ مضيتَ على ما مضى عليهِ
البدريّونَ والمجاهدونَ في سبيلِ اللهِ المبالغونَ في
نصرةِ أوليائهِ الذابّونَ عن احبائهِ) ، فمَنْ هُم البدريّون
الذين شبّه الامامُ موقِفَ العبّاسِ بموقِفهم ، هل هوَ
عُمَيرُ بن الحمامِ الانصاريُّ الّذي رمى التمراتِ من يدِه ،
حيث سمِع النبيَّ يحُضُّ على الجهادِ ، ويرغِّبُ في دخولِ
الجنّةِ قالَ (فما بيني وبينَ دُخولِ الجنّةِ الّا انْ ارمِيَ
هذه التمراتِ من يدي) ثمّ ألقى بنفسِه في وطيسِ
المعركةِ واستُشهِدَ ، ولم يَقُل له حاملُ الرسالةِ الخالدةِ
كُلْ تمراتِكَ أوّلًا لتقوى بها على الجهادِ ، والّا كنتَ قاتلًا
لنفسِكَ ، أمْ هو سيّدُهم ومُمثِّلهم اميرُ المؤمنينَ الّذي
نُفسِّر فيه قولَه تعالى (يا أيّها النبيُّ حسبُكَ اللهُ

وَمَن اتبعك مِن المؤمنين) وامير المؤمنين معصوم من اللمم ، ومتبع للنبي الأعظم ، أفيكون تابعهما مرتكباً لخطيئة ليحتاج للاعتذار عنه بأنه غير معصوم .

وليت شعري ما وجه المبالغة في نصرة العباس للحسين المشار إليها في قول الإمام (المبالغون في نصرة أوليائه الذابون عن أحبائه) ونحو هذه العبارة مما يوجد في غير هذه الزيارة هل يريد قطع يديه فقد قطعت يدا غيره كوهب بن حباب الكلبي ، أم غير هذه من الملكات والحالات التي حازها العباس ، مما لا يعلمه الا الله والراسخون في العلم ، إني أظن ، (وظن الالمعي يقين) ان الإمام أراد اختصاص العباس بأنه قدر على شرب الماء فهتف به وجدانه ونادى به ضميره .

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كان ان تكوني

فالإمام يقرض عليه من أجلها هذا التقريض لعظيم الحالة والمعترض يجعله أكبر ذنب للعباس ، فانظر مقدار المسافة بين المذهبين ، والبون الشاسع بين القولين ثم اختر لنفسك ما يحلو واتبع أيهما شئت

(الثاني) قد تبلغ قوة الإرادة وصدق العزيمة إن يسيطر الإنسان على نفسه فيقسرها عن تناول ما تحب ويوطنها على التلبس بما تكره ، وذلك رياضة النفس حتى تهش لما تبغضه لولا هذه الرياضة ، ومن ذلك ان النفس تحب نفسها وتحب آثارها تبعًا لها واذا كبح جماحها بعنان الرياضة عادت تبذل نفسها للمحبوب وهي أعلى مراتب الإيثار وقد تفسر بالمفاداة وبعدها مرتبة الإيثار فقط ، وهي تقديم المحبوب على نفسها بتخصيصه بما تحب ، واختصاصها دونه بما تكره .

والعباس فرع تلك الدوحة الكريمة وشبل فادي النبي العظيم الذي انزل الله فيه (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي أي يبيع نفسه ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ) لما امره النبي ان ينام على فراشه فاديًا له بنفسه من الاعداء، فوطن نفسه على القتل واجاب ولم يتلكأ في المبيت ، وبقاء النفس للنفس محبوب ، ألا ترى الله يباهي به ملائكته جبرئيل وميكائيل ، حيث أوحى اليهما ، (إني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بطول الحياة) فاختار كل منهما طول الحياة ، فأوحى اليهما (الا كنتما كولي علي آخيت بينه و

وبين محمد نبيي فآثره بالحياة على نفسه وقد في فراشه يقيه بمهجته ، اهبطا الى الارض جميعا فاحفظاه من عدوه) فهبط جبرئيل فجلس عند راسه وميكائيل عند رجليه ، يقول (بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب ، والله عز وجل يباهي بك الملائكة)

والعباس هو ابن الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) .

طبيعيّ لهؤلاء المعترضين ان ينكروا حديث هذه الواقعة لو لم ينطق بها القرآن ويأتي التفسير شيعيه وسنيه ، بأن عليًا وفاطمة والحسن والحسين وجاريتهم فضة قد اطعموا قوتهم كله ، وهو خمسة أقراص من الشعير مسكينًا في اليوم الاول ، ويتيماً في اليوم الثاني ، وأسيرًا في اليوم الثالث ، وصاموا ثلاثة ايام لم يطعموا في لياليها إلا الماء القراح ، ولولا ورود القرآن والتفسير لسجلوا عليهم بأنهم قاتلون لأنفسهم ، وللحسن والحسين - على أقل تقدير - لأنهما حينذاك طفلان لا يتحملان هذا الجوع كله إذا

قسّناهما على أطفالنا ، وخمسة الاقراص في اليوم الثالث كلّها تزيد على قوت الأسير ليومه ، وقد أشرف الطفلان على الموت ، فهلّا دفع أبواهما نصف قرصيهما للأسير وتركا النصف الآخر ليمسكا به رمقهما .

ثمّ ما الذي أمسك حياتهما - وإن عادا يرتعشان كالفراخ - لولا قوة إرادتهما ومضاء عزيمتهما ، وليت شعري فهل يمكن الإعتذار عنهم بعد الأذعان بحدوث هذه الواقعة بأنّ أهل البيت غير معصومين وإذن فما وجه مدح الله لهم وثنائه عليهم في قرآن يتلى إلى يوم القيامة ، والعبّاس ممّن يتلوه حقّ تلاوته .

(الثالث) لقد ورد الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله (أحبّ من دنياكم ثلاثاً النّساء والطيب وقرّة عيني الصّلاة) وقد علّق عليه الحكماء أنّه لمّا ذكر النّساء والطيب ، وقد صدّر الحديث بأنّ هذه المحبوبات من الدّنيا كان سبب ذكر هذه المحبّة لأنّه بشر مثلنا ، ولكنّ جنبة تعلّقه بالدّنيا جدّ ضعيفة ، فكأنّها معدومة لديه ، فكان حبّه للنّساء ليس

لِقضاءِ الشهوةِ ، بل لِتكثيرِ النسلِ فيبا هي بأمتهِ التي هدّاها الله به سائرَ الأمم ، وهكذا حبُّه للطيبِ لأنّ الملائكة تحبّه وتنفرُ من الأقذارِ ، وصلاةُ المتطيّبِ تعدِلُ سبعين صلاةً ، غيرَ أنّهما من الموادِّ الدنيويّةِ التي لم تتمحّض للآخرةِ ، وأمّا جنبةٌ تعلّقِه بالآخرةِ فانّها جدُّ قويّةٍ وكأنْ لم يكنْ له سواها ، لذلك جذبتْه سريعًا إلى اللذّةِ الروحيّةِ لِتمحّضِها للآخرةِ ، وليست هي محبوبته فقط كغيرِها من المحبوباتِ ، بل هي قرّةُ عينِهِ الصلاةُ .

والعبّاسُ لمّا اغترفَ غرفةً من الماءِ وقرّبها الى فمِه وهمّ انْ يشربها كان ذلك منه جهادًا ممزوجًا بالموادِّ الدنيويّةِ ، فانّه بشرٌ مثلُنا وله جنبةُ تعلّقٍ بالدنيا ثمّ جذبتْه سريعًا جنبةُ تعلّقِه بالآخرةِ إلى اللذّةِ الروحيّةِ والجهادِ المتمحّضِ للآخرةِ ، وعدمِ إعطاءِ النفسِ البشريّةِ ما تمسّكُ به حياتَها ، فإنّ النفسَ المطمئنّةَ أولى بأنْ تُعطى مرادَها ، لترجعَ الى ربّها راضيةً مرضيّةً ، لم تتعلّقْ بشيءٍ من شوائبِ الدنيا ، وبكاءُ العبّاسِ وعتابُ نفسِهِ البشريّةِ بعدَ أنْ رمى الماءَ من يدِهِ معناه الأسفُ والندمُ على اغترافِه الماءَ وتقريبِه إلى فمِه و

وهمّه بان يشرب ، لأنّه اعتبرها ذنوباً من مثله، حيث كان جهاداً مشوباً بالموادِ الدّنيويّةِ ، وقد ورد اَنَّ حسناتِ الابرارِ سيّئاتُ المقرّبين .

(الرابع) جاء في بعض الرّواياتِ المرسلةِ اَنَّ اَباه اميرَ المؤمنين اَوصاه عِندَ احتضارِه بانَ لا يشرب الماءَ اِذا ملكَ الشّريعةَ يومَ الطّفّ - قبلَ اخيه الحسينِ - فاَرادَ العبّاسُ بامتناعِه من الشّربِ تنفيذَ وصيّةِ ابيه وامير المؤمنين اَعلمُ بوجهِ الحكمةِ حين اَوصى بذلك ولدَه الحبيب ، وقد قال لاخيه محمّدٍ من قبلِه انتَ ولدي وهذان ولدا رسولِ اللهِ ﷺ وانا اجعلُ ولدي فِداءً لولدِ رسولِ اللهِ ، اَمّا اِذا شاء المعترِضُ اَن يُنكرَ وجودَ هذه الوصيّةِ لاَنَّ رِوايتَها مرسلةٌ فليُنكرْ رِوايةَ رَميِ العبّاسِ لِلماءِ من يده لاَنَّ رِوايتَها مرسلةٌ ايضًا وحكمُ الامثالِ فيما يجوزُ وما لايجوزُ واحدٌ .

(الخامس) لقد كانَ الحسينُ ضنينًا باَخيه العبّاسِ فلمّا جاء يطلبُ الاِذنَ منه للبرازِ شقّ على الحسينِ اَن ياذنَ له ، فلم يجدِ العبّاسُ ذريعةً يحظى بها على حصولِ الاِذنِ من اَخيهِ الحسينِ اِلّا اَن يُبيّنَ له اَنّه

لا صبرَ له أن يجلسَ في الخيمةِ ، وهو يسمعُ بكاءَ الأطفالِ من العطشِ ، ويراهم يتلوّون من الظمأ ، ويدُه تملكُ قائمَ سيفهِ ، فأجازهُ الحسينُ عليه السلام بأن يطلبَ لهؤلاءِ الأطفالِ قليلاً من الماءِ .

نقولُ : إذا كانَ الإنسانُ يسعى في مهمّة ، ولم يكن كالعباسِ كِبَرَ نفسٍ وعلوَّ همّة فإنّ أمانتَه السعيِ تحولُ بينه وبينَ أيّةِ غايةٍ سواها ، ونفسُه العصاميةُ تَرْبأُ به أن يقضيَ لها معها لُبانةً ، وضميرُه الحرُّ ينازِعه أن لا يشوبَ بغرضِه الأسمى غرضاً آخرَ ، ولو كانَ سامياً وإلاّ لم يجدْ نفسَهُ وافياً بأمانتِه ولا صادِقاً في دعوى هواهُ ومحبّتِه ، فصاحبُ الحاجةِ لا يرى إلاّ قضاها .

والمرءُ أعمالُه تتلو مقاصِدَه   لِذاكَ قبلَ أخيه الماءَ لم يذُقِ

ولعلَّ هذا هو الجوابُ الحقيقيُّ عن أميرِ المؤمنينَ حيث قتلَ بطلَ الأحزابِ عمرَو بنَ عبدِ ودٍّ ، فاعترضَ عليه بعضُ المهاجرِينَ قائلاً له ، هلّا سلبتَه دِرعَه ، فإنّها داوُديّةٌ ، وليسَ للعربِ مثلُها ، فإنّ أميرَ المؤمنينَ عليه السّلامُ حاشاه أن يحبطَ سعيَه الكريمَ بأن يُشرِكَ غرضاً بغرضِه الأسمى في إزالةِ حجَرِ العثرةِ

عن طريق المسلمين ، بل يكشف العار عنهم ويرفع الذل الذي شملهم من جرّاء(١) نداء عمرو الذي أعجب بنفسه و هجم على المسلمين يتحداهم في عقر دارهم ، منادياً فيهم بملأ فيه .

ولقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز

فبرز الأيمان كله إلى الشرك كله كما لخص لنا أمرها رسول الله الذي أوتي جوامع الكلم ، نعم برز الأيمان كله وقد تجسّم بشخصية بطل الأسلام مجيباً صوت عمرو و قد تجسّم الشرك كله في شخصيته ، فلم يلبث أن صرعه الله بسيف ولي الله بضربة لم يعرف قدرها ولم يزن ثقل أجرها إلّا النبي الأعظم - ولا يعرف الذهب إلا ناقده - حيث قال (ضربة علي لعمرو بن عبد ود تعدل أعمال الثقلين إلى يوم القيامة) فلم يشأ له إيمانه المتين وفناؤه في ذات الله أن يشرك بغرضه الأسمى ومقصده الأعلى طمعاً في حطام الدنيا ، ولو كانت درعاً داودية ليس للعرب مثلها ، وإن لم يكن عليه في سلبها أية غضاضة وحرج من عرف أو شرع ، فقد قال المشرع الأعظم (من قتل قتيلاً فله سلبه) وقال أمير المؤمنين بعد هذه الواقعة

(١) من جراك ومن جرائك : أي من أجلك

نصرَ الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربّ محمد بصواب
وعففت عن أثوابه ولو انني كنت المقطّر بزّني أثوابي

فلولم يكن سلب الأثواب بعد القتل معروفاً عندهم لما همّ به عمرو الباسل السري لو كان - لا قدّر الله - هو القاتل لمناجزه علي .

ونحن نقول - لهذا المعترض أو المشير على أمير المؤمنين مناصحاً له كما يتراءى من كلامه - لأمّك الهبل ، إنك ترى علياً قد صبر على ذبحه مدة طويلة أجابت فيها عن الأسدين المتصاولين ملاءة[1] القسطل التي نسجتها شدة مصاولة البطلين المتناجزين لأن علياً لما جثا على صدره شتم عرضه ، والعرض أعز من النفس فخاف أن يعاجله بالذبح فيكون قد أشرك في غرضه التشفي جزاء شتم عرضه ، فصبر عليه طويلاً حتى سكن غضبه لنفسه ثم ذبحه قربة إلى الله ، ونصرة لدينه ، فكيف يشوب بالقربة الطمع بالحطام الزائل ، ويدسه في غرضه العظيم ومقصده الكريم ، لا ها الله لا يمكن أن يصدر ذلك أبداً من أمير المؤمنين وسيد العارفين ، ولله در عبد الباقي العمري حيث يخاطبه و يقول .

(١) الملاءة : الريطة الكبيرة ودخيلها أوفاديها - برده

وانتَ انتَ الذي لِلّهِ ما فعلا   وَانتَ انتَ الذي لِلّهِ ما صنعا

(السادس) قال الله تعالى (ولمّا فصل طالوت

بالجنود قال إنَّ الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه

فليس منّي ومن لم يطعمه فإنّه منّي إلا من اغترف غرفة

بيده فشربوا منه إلا قليلا) فقد كانوا ثمانين او سبعين

الفا وكلٌّ منهم يدّعي الرغبة في الجهاد وقالوا ما لنا

ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا

فامتحنهم الله اي اختبرهم - ولله ان يختبر عباده

وليس لعباده ان يختبروه - بأن من كان صادقا في

نية الجهاد فلا يكرع من النهر الذي سيعترضهم ،

ومن كان كاذبا في دعواه فإنه لا يدع فرصة اعتراض

النهر ويكتفي منه بالغرفة الواحدة ، واين من يكف نفسه

عن الظلم ما لم توجد علة لتركه وهي عدم القدرة على ارتكابه

نعم والله إن الامر كما قال المتنبي حكيم الشعراء

اَلظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم

فشربوا منه إلا قليلا قيل كانوا عدة اصحاب بدر ثلثمائة

وثلاثة عشر رجلا .

نقول صحيح ان الله قد اختبرهم وابتلاهم ليميز الخبيث

من الطيب ، ولكن لا يحتمل انه اراد ان لا يشقلوا بشرب الماء

فيمنع من الخفة في الحرب ، كما كان مالك يطوي ثلاثاً إذا اشتغل في الحرب ، لئلا يثقله الأكل عن الجهاد ، والشرب والأكل كلاهما من مقومات حياة الإنسان ، ولكن إذا رآهما المجاهد الصادق في نية الجهاد يشغلانه ويثقلانه عن مهمته أمسك عنهما إلا من اغترف غرفة بيده كأصحاب طالوت ، بل أمسك عنهما بتاتاً ، كمالك الاشتر عن الطعام وبطل روايتنا العباس عن الطعام والشراب ، ولعل استثناء الغرفة كان لهم على طريق الرخصة ولو تركوها لكان أحسن ، والعباس بهمته القعساء حرم على نفسه الماء قبل أخيه الحسين الغرفة فما فوقها ، لئلا يثقل في الجهاد و ليعلم الله منه صدق النية وحسن الطوية ، ولأن الغرفة وحدها تزيد نار عطشه اتقاداً وما زاد عليها يثقله عن الجهاد ، وأما اكتفاء أصحاب طالوت بالغرفة حتى روي من اغترف بيده وظمئ من كرع في النهر فمن باب المعجزة وخرق العادة وعقوبة من الله للظالمين على سوء نيتهم ، فكرعوا ليرتووا فزادهم ظمأ ولواحاً ، بخلاف المطيعين له .

(السابع) تقديمُ الأهمِّ على المهمِّ من سيرة العقلاء التي أقرّتهم عليها الشرايع السماوية ، و يُعدُّ خلافُ ذلك تقديماً المرجوح على الراجح ، وهو باطلٌ شرعاً وعرفاً ، فنقول لاشكّ أنّ حفظ مهجة الأمام مهجة العصر أهمّ من حفظ مهجة الأنسان نفسه ، فكيف يسوغ للعبّاس أن يشرب غرفة ماء ليحفظ مهجته وحشى أخيه الحسين تلتهب أواماً وتشبُّ ضراماً ، كلّا لعمري .

فأبت نقيبته الزكيّة ريَّها　　وحشى ابن فاطمة يشبُّ ضرامها

أليس هو ابن القائل جلوسي في المسجد أحبُّ إليّ من جلوسي في الجنّة لأنّ جلوسي في المسجد فيه رضا ربّي وجلوسي في الجنّة فيه رضا نفسي ، وإنّي أقدّم رضا ربّي على رضا نفسي ، وذلك لأنّ رضا ربّه كان أهمّ في نفسه من رضا نفسه ، بل هو لا يرى لنفسه وجوداً أمام واجب الوجود ،

وهذا أبو ذرّ يحمل الماء إلى الرسول وهو عطشان تقديماً للأهمّ على المهمّ ، فكيف يحمل العبّاس الماء لأخيه الحسين وهو ريّان .

وهل ترى صادقاً دعوى أخوّته　　روّى حشى وأخوه في الهجير ظمي

ومهما تبعد بك الأمثال فلا تنس الحسين حين نزل الى المشرعة واغترف - بأبي وأمي - غرفة بيده ليشربها ، فصاح عليه صائح من القوم (يا حسين أتلتذ بشرب الماء ، وقد هتكت حرمك) هذا ولم يبلغ الماء إلا بعد جهد وعناء ، وقد خلا ظهره من جميع أنصاره وحماته ، وطمع القوم في قتاله فضلاً عن منعه الماء ، وقد بلغ العطش منه غايته ، وأخذت الحرب والتعب منه مأخذاً عظيماً ، وبعد هذا كله يرمي الماء من يده ان سمع تلك الصيحة المشومة ، حيث كان حفظ عرضه أهم عليه من نفسه ، ثم رأى الخيمة سالمة ، فعلم انها حيلة من القوم ومكيدة (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) أم يستطيع احد هؤلاء ان يعتذر عن الحسين كما اعتذر عن العباس بأنه غير معصوم ، وغير المعصوم قد يقارف الذنب - الله اكبر - لقد جئتم شيئاً إداً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً .

(الثامن) لتشريع الصوم حكم كثيرة ،

منها أن يذوق الأغنياء لباس الجوع عن طاعة الله وإذعان، فيذكروا إخوانهم الفقراء والمساكين الذين يعانون جهد السغب ويذوقون ألم الطوى عن فقر وإقلال، فتطيب حينذاك نفوسهم بتأدية حقوق الله الواجبة التي فرضها للفقراء في أموال أهل الثروة من الأغنياء، فقد اقتضت حكمته تعالى حين قسم الأرزاق على عباده أن يبتليهم ويختبرهم بأن يجعل رزق بعضهم في أيدي بعض (فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) ولو اكتفى بوصف حرارة الجوع وشدة السغب لم يذعنوا لوصفه إذعانهم لمعاناته لأن آثار الأشياء كلها إنما تترتب على وجودها الخارجي كالإحراق للنار، دون وجودها الذهني - نعم وربك -

لا يعرف الوجد إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

فإن كل واحد منا لو قام مقام العباس، ثم أطفأ وقدة عطشه بشرب الماء بردت نار عزمه، ولم يواصل سعيه مطردا ومستمرا على الشاكلة التي ابتدأ بها الأمر في إيصال الماء إلى أخيه الحسين، وقد عاد عطشه في ذاكرته أثرا بعد عين، وإيصال الماء

إلى الحسين كان مدعاة جهاده ، والإبقاء على مهجته كان غايته الوحيدة وضالته المنشودة ، والحكيم يرفع كل مانع عن وصول غايته ، والمتيم الولهان يبالغ في دفع الحواجز وكشف الحجب دون بلوغ أمنيته.

(التاسع) من المحقق أن الحسين قد خطب صحابه ، وهو في مكة المكرمة عندما أراد السفر إلى العراق ، فقال فيما قال (من كان فينا باذلاً مهجته موطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا ، فإني راحل مصبحاً إن شاء الله) والمهجة كما فسرها اللغويون هي الروح أو دم القلب ، هذا مع أن على العباس غير هذه الخطبة عهوداً كثيرة بأن يتفانى في سبيل نصرة الحسين ويبذل فيه مهجته ، فلو أنه - وحاشاه - شرب الماء وقد كان ترك الحسين منذ ودعه الأكبر ولسانه كالخشبة اليابسة ليس عليه شيء من رطوبة الريق فمن ذا يؤمنه أن الحسين يموت في مكانه ، وإذا استرد العباس حياته وقوته في الجهاد ، والحسين مات في مكانه فأي فائدة تبقى للجهاد(١) ، وهل يكون قد وفى بعهده وبيعته أمر أراه يستحق أن ينشده الحسين (ع)

(١) ألا تستمع اليه حيث يقول لنفسه : هذا الحسين شارب المنون وتشربين بارد المعين

بلسان حاله .

لا ألفينّك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

هذا ما للأشتر لما قال له رسول أمير المؤمنين (ع) إليه وقد شارف الفتح (أيسرك أن تفتح وإمامك يقتل في مكانه) وقع السيف من يده وأرسل زمام الفتح والظفر لعدوه بعد معالجة تلك الحروب الطاحنة وللظفر بالعدو نشوة عظيمة تسيطر على المشاعر وتأخذ بالقوى والمدارك إلا من حاز قوة الإرادة ولم تتغلب عاطفته على عقله ، وقد سرد لنا التاريخ كثيراً من أخبار أهل الوفاء الذين وفوا بعهدهم لغيرهم بأدنى علاقة وأقل ملابسة ، شروى كعب بن مامة الذي قتله العطش حيث أعطى حصته من الماء الذي اقتسموه بالحصاة لصاحبه كلما جاءت نوبته فقال له (اذكر صاحبك يا كعب) وبضدها تتبين الأشياء ، فقد سجل التاريخ غدرات الكثير من ساقطي الهمم وصغار النفوس الذين كانوا على أنفسهم عاراً ، ولم يحسبوا للإنسانية أي حساب ، فخرجوا منها وكأنهم لم يدخلوا فيها ، حيث غدروا بذممهم وأرخصوا ضمائرهم وخانوا

بعهدهم (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى

بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا) واستمرّ العبّاس بالوفاء والمواساة لأخيه الحسين كأعظم ما يتصوّره العقل من الوفاء بالعهد والمواساة بالنفس إلى آخر نفس يلفظه أمام أخيه الحسين ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولا يصغي بأذنه لعذل اللواحي ، وذلك حين وضع الحسين رأسه في حجره ، فرفعه ووضعه في التراب ، يفعل ذلك ثلاثًا - وحاشا العبّاس من مخالفة الحسين كما قد يترائى من فعله ، لذلك سأله حتى يبوح بالحقيقة المنطوية في ضميره ، وليسجّله التاريخ أنّه خير من وفى ببيعته فأجابه (الآن انت تأخذ رأسي وترفعه عن التراب وبعد ساعة من يرفع رأسك ، ومن يمسح التراب عن خدّك) بأبي انت وأمّي يا أبا الفضل ما أخذ رأس أخيك بعد ساعة إلّا الشمر للضبابي ، ثم شهق العبّاس شهقة عظيمة - وإنّها لتذكّر الساعة الرهيبة ساعة ذبح الحسين وهكذا مات بين يدي أخيه شهيدًا ما نته وصريع وفائه فصاح أخوه وا أخاه واعبّاساه ، الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي وشمت بي عدوّي .

وهوى عليه ما هنالك قائلًا ... اليوم بان عن اليمين حسامها
اليوم نامت أعين بك لم تنم ... وتسهّدت أخرى فعزّ منامها

ما وجه تزويجه يوم عاشوراء

أكثر الناس لا يرون وجهاً لصحة الرواية القائلة أنّ الحسين زوّج ابن أخيه القاسم من ابنته سكينة، في عرصة كربلاء في اليوم العاشر من المحرّم، وقد قامت الحرب بينه وبين أعدائه على ساقها وحمي وطيسها وكثرت عن أنيابها، وقد صرع نصب عينيه أبطاله وإخوته وولده وعمومته، فما وجه مزج فرح العرس والقران بهموم المصائب وعموم فقد الأحبة.

وكل مصيبات الزمان وجدتها سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

وهل هؤلاء من قبيل الطفرة من الحزن العظيم إلى الفرح، والتاريخ بكامله لم يحمل نظير هذه المفاجأة الغريبة، والحكيم من يضع الأشياء في مواضعها، ويطبق أموره كلها على اعتبارها المناسب لها.

قلنا هذا كله صحيح ولكن هل لتزويج القاسم دخل في خطة نهضة الحسين وما ذنب الحسين إذا زيد في نهضته ما لم يسبق له فيه علم ولا اطلاع، شأن الحوادث المهمة ذات الشأن الكبير، فإنها كلما بعد أمدها وزاد اهتمام الناس بها أخذت بالزيادة

طولاً وعرضاً ، وتداولتها أخيلة رواتها سعة و ضيقاً ، وكل يعمل على شاكلته ، وليست الشهرة دليل الوقوع ما لم تبلغ حدّاً التواتر ، ولاعدم الشهرة كاشفٌ عن عدم الصحة ، واستمع إلى قول حكيم الشعراء .

رُبَّ مشهورٍ ولا أصلَ لهُ ... ولهُ أصلٌ ولم يشتهرِ

وحسبك دليلاً على ما نقولُ ما اشتهر عند عامة الناس طيلة القرون المتقدمة أن القمر عند الخسوف تبتلعه حوتة عظيمة ، فهم ينشدونها الأهازيج ويفتنون بخلاصه من بين فكيها بالاستعطاف طوراً ، وبتزهيدها فيه طوراً آخر ، وبتهديدها تارةً ثالثة وهو لا يوافق شيئاً مما في الأخبار ولا الهيئة الجديدة بل ولا القديمة .

هذا ولنا في الجواب عن هذا الزفاف لو فرضنا صحة روايته وجوه كثيرة ، علاوة على التسليم للإمام في جميع أقواله وأفعاله لأنه معصوم ، وجميع أمور المعصومين جارية على وفق الصواب والحكمة (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) .

(الأول) أن المعترض يسلم وجود رواية الزفاف بل شهرتها فيلزمه عرفاً التصديق بها ، لأن وضع الأخبار للصدق ، وأما الكذب فاحتمال عقلي لا يلزم الانصياغ اليه ، ما لم يمنع من التصديق مانع من بداهة العقل أو ضرورة الشرع ، فأما مجرد الاستبعاد لأن التاريخ لم يحمل في طياته نظير هذا الزفاف ، فلا يكفي في رد هذه الرواية ، وأين من أحاط بالتاريخ علماً ليحكم بذلك على طريق السلب الكلي ، كيف وقد قال الرئيس ابن سينا (كلما قرع سمعك من العجائب فذره في بقعة الامكان حتى يذودك عنه ساطع البرهان) واذا كان ممكنا و جاءت به الرواية ، فلنا أن نطالب بالمانع من تصديقها ، ولعلك تقول المانع من تصديقها ما صح في الرواية أن سكينة كانت في حبال عبد الله ابن الحسن أخي القاسم ، فكيف تزوج من القاسم فنقول إن جاءت الرواية بأن اسم زوج القاسم سكينة فلعل للحسين ابنة ثانية اسمها سكينة . فإن له علياً وعلياً وقيل وعلياً ثالثاً أيضاً وهو الرضيع المقتول يوم الطف ، ولأبيه زينب الكبرى وزينب الصغرى

وامثال هذا في التاريخ جدّ كثير .

(الثاني) انّ الحسين اراد تنفيذ وصية اخيه الحسن كما جاء في رواية العوذة - إن صحت رواية العوذة - فإنّ امر تزويجه كان موسّعا ، ولمّا ابى القاسم إلا الجهاد بين يدي عمّه ولقاء جيش الكوفة باسره تحقق دنوّ اجله ، فصار الواجب مضيّقا ، فاراد الحسين ان يقضي حاجة في نفس اخيه الحسن ، جزاء لتنفيذ القاسم وصية ابيه في بذل نفسه في نصرة عمّه الحسين (وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان) .

(الثالث) انّ الحسين اراد ان يظهر للعالم الأسلامي في مظهر الشكر ازاء هذه المصائب العظيمة التي تندك لها الجبال الرّواسي على صلابتها ، من فقد الأحبة وقلّة الناصر ومشاهدة قتله عطشانا واسر عياله في ايدي الأعادي الشامتين .

وقديما اخبر جدّه المصطفى اباه المرتضى بما يجري عليه من الحوادث ، من غصب حقه وهضمه وضرب زوجته الزهراء نصب عينيه ، ثمّ قال له (اتصبر يا علي) فقال له (يا رسول الله ليس هذا مقام الصبر بل هو مقام الشكر) اجل فإنّ لله

عِبادَهُ يتعاهدُهم بالبلاءِ كما يتعاهدُ أحدُكم الحبيبَ بالتحفةِ ، وإذا أتحفَ المولى عبدَه بتحفةٍ وجَبَ عليه شكرُها ، وإذا أنعمَ اللهُ على العبدِ نعمةً أحبَّ أن يرى عليه آثارَها ، هذا مع أنَّ أبطالَه الذين فقدَهم وما فقدَ مكارمَهم قد رفعوا رأسَه عاليًا بمصارعِهم الكريمةِ ، فقد عاشوا كِرامًا وقُتِلوا أعزاءَ يُخلِّدُ التاريخُ مجدَهم ويُسجِّلُ مع الأجيالِ ذكرى عظمتِهم ، ولله درُّ السيدِ جعفرٍ الحِلّيِّ حيث يقولُ .

بُشرى بني فِهرٍ فأبناؤهم ... ما توّجوا أعلى الورى عَينا
لا أبطلوا الأيدي وحقّ لهم ... أن يعقدوا أنديةً لِلْهَنا

فأيُّ عجبٍ إذا عقدَ الحسينُ ناديًا للهناءِ ليرى اللهُ عليه آثارَ النعمةِ ، وضاعفَ الفرحَ والابتهاجَ بعرسِ ابنِ أخيه ، وما هو المانعُ من تداخُلِ أسبابِ الفرحِ والسرورِ .

(الرابع) لقد عاشَ أبيُّ الضيمِ وهو يرى شماتةَ الأعداءِ أعظمَ المصائبِ وأشجى الفوادحِ ، ولسانُ حالِه يهتفُ بأعلى صوتِه .

كلُّ المصائبِ قد تمرُّ على الفتى ... فتهونُ غيرَ شماتةِ الأعداءِ

لذلك كان اذا ألمّت به إحدى الكوارث ورفعت أُختُه صوتها بالبُكاءِ والنحيبِ ـ ومن شأن النّساءِ الجزعُ والرِّقةُ ـ ناداها أُختُه زينبُ لا تُشمِتي بنا الاعداءَ ، فانطبعت شقيقتُه بطابعه ، فكان قلبُها بعدَ قتلِه كزُبَرِ الحديدِ ، كما يُخبِرُ عنها حُجّةُ عصرِها زينُ العابدينَ عليهِ السلامُ وقد قال الحكماءُ (الجزعُ على المصيبةِ أعظمُ من المُصيبةِ) لأنّه يفرحُ به العدوُّ ويسوءُ الصّديقَ ، والصّبرُ يَسوءُ العدوَّ ويَسُرّ الصّديقَ ، ومَنزلةُ الرِّضا * اَعظمُ من منزلةِ الصّبرِ ، كما انّ درجةَ الشُكرِ التي ذكرها ابُو الحسن أَرفعُ من درجةِ الرّضا ، وهذا الغُصنُ من تلكَ الشّجرةِ ، وفي الفرعِ ما في اصلِه وزيادةٌ ، فكأنّ الحسينَ رأى اعداءَه يتحفّزون للشّماتةِ بقتلِ رجالِه ومُشارفةِ قتلِه ، حيثُ هتفُوا به (يا حُسينُ قتلتَ الاجانِبَ واَخذتَ تلوذُ في اَطنابِ الخيامِ بينَ النّساءِ والأطفالِ) فأرادَ * دحضَ مزاعِمِهم ، فحقّقَ سرورَه وابتهاجَه بنزولِ هذا الفوادح بعرسِ ابنِ اخيهِ الّذي سيلتحقُ بعدَ ساعةٍ بعمومتِه واطايبِ أرومتِه ، فإنّ ذلك

انكى للعدو في كسر سورة شماتته ، واشد من التجلد ذكره الهذلي في قوله .

بتجلدي للشامتين اريهم اني لريب الدهر لا اتضعضع

وقديما اعترض بعضهم على ابيه - والشيء بالشيء يذكر - لما قتل عمرو بن عبد ود وجاء برأسه الى النبي يختال في مشيته ، فقيل للنبي انظر يا رسول الله الى علي كيف يختال في مشيته ، وقد نهينا عن هذه المشية فقال صلى الله عليه وآله هذه مشية يمقتها الله الا في هذا المقام - اي مقام الحرب - فقد علم المصطفى نية اخيه المرتضى ان هذه المشية بعد قتل حامية المشركين و بطلهم عمرو بن عبد ود اعظم عليهم واشد نكاية لهم من قتله ، حيث رجع وقد فرغ من قتاله وهو ينشدهم بلسان حاله .

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة

بخلاف ما لو قتله ورجع منكسرا متألما من قرح(١) الحرب الذي مسه ، لان هذه المشية اعظم من الشماتة وابلغ في اظهار عدم المبالاة بهم وبجاههم ، و اجلى مظهر محقق لقول النبي في موطن آخر ،

(١) القرح : ما يصيب المقاتل من اثر الحرب من تعب وجرح

(رحمَ اللهُ أمرَأً أراهُم من نفسِه شِدّةً) .
وأنا أقولُ لهذا المعترِضِ يا هذا اقتُل عمرًا ثمّ امشِ على رأسِك إن شئتَ دونَ أطرافِ أصابِعِك .
(الخامس) أنّ الحسينَ رأى هذا الشابّ في عنفوانِ شبابه ومقتبَلِ حياته قد اعرضَ عن زهرةِ الدّنيا ومتعِ الحياة ، وبذلَ نفسَه في نصرةِ الدّينِ الحنيف، فداءً لخليفةِ اللهِ في ارضِه وحامِلِ عهدِه في عبادِه، فأرادَ له أن ترتفِعَ منزلتُه عندَ الله بأنّ يلقاهُ وهُو مِن خيارِ اُمّةِ جدّهِ رسولِ الله ، نظرًا إلى قولِه صلّى اللهُ عليه وآلِه (شِرارُ اُمّتي العُزّابُ وخيارُهم المتزوّجونَ) وقد جاءَ في الحديثِ (الدّنيا مزرعةُ الآخرةِ) وإنّ اللهَ يُضاعِفُ الحسنةَ وينميها (واللهُ يُضاعِفُ لِمَن يشاءُ واللهُ واسِعٌ عليمٌ) فشِقُّ تمرةٍ يتصدّقُ به العبدُ المؤمنُ يراهُ اكبرَ من جبلِ أُحدٍ ، فما بالُك ببذرةٍ يزرعُها بيدِه سيّدُ الشّهداءِ ، لابنِ اخيهِ اكبرِ سيّدَيْ شبابِ اهلِ الجنّةِ ، في حقلِ(١) عرصةِ كربلاءَ التي لولاها لما خلقَ اللهُ مكّةَ المشرّفةَ ولا بيتَها العتيقَ ، وهي روضةٌ مِن رياضِ الجنّةِ .
وقد ضمّت جسدَ سيّدِ شبابِ اهلِ الجنّةِ ،

(١) الحقل : الارض الطيبة يزرع فيها الزرع

(السادس) اَنَّ سُکَینَۃَ لولم تزوّج بالقاسم لتزوّجت بعدہ بغیرہ ، ولعلّها کانت مسمّاۃ له ، بناءً علی استمرار حیاتهما حتی یتزوّج بها ، فاذا قتل ولم یقترن بها لم یکن لها ان تختارہ فی الجنۃ لأنّه لم یتزوّجها فی الدنیا ، فهل یا تری من الأنصاف والمروّۃ ان تصرف عنه ابنۃ عمّه المسمّاۃ له لغیر سببٍ ، الا انّه فدی آباها بأعزّ الانفس علیه ، وقتل فی نصرۃ دین اللّٰه الحنیف ، وقد جاء فی الحدیث اَنّ المرأۃ الصالحۃ تخیّر بین ازواجها فی الدنیا ، لتختار احسنهم اخلاقاً ، فاذا کان واحداً ، ولعلّ سکینۃ لم تقترن بغیرہ ، وکان حسن الاخلاق کابن الحسن لم یکن لها معدلٌ عن اختیارہ ، وقد سبق لجدّہ المصطفی ان زوّجه اللّٰه ، وهو فی قید الحیاۃ ازواجاً لم یبن بهنّ الّا بعد انتقاله الی الرّفیق الاعلی ، وهنّ مریم ابنۃ عمران ، وآسیه بنت مزاحم ، وکلثم اُخت موسی بن عمران ، کما ورد انّه صلّی اللّٰه قال لخدیجۃ وهی فی دور الأحتضار ابلغی ضرائرک عنّی السلام ، فقالت ومن ضرائری یا رسول اللّٰه ، قال مریم ابنۃ عمران ، وآسیۃ بنت مزاحم ، و

كلثم اُخت موسى بن عِمران ، فقالت بالرِّفاء[1] و البنين يا رسولَ الله ، فكانَ الأزدِواجُ في الدُّنيا والبناءُ وثمرةُ الزَّواجِ في الآخرةِ ، ولِلقاسِم حفيدِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله اُسوةٌ حسنةٌ بجدِّه رسولِ اللهِ

(السابعُ) - ولعلّه اقوى الوجوهِ - انّ الحسينَ اَرادَ اَنْ يكونَ القدوةَ الصالحةَ والأُسوةَ الحسنةَ وَ المثَلَ الاعلى لأُمّةِ جدِّه في جميعِ المصائبِ التي قد تلمُّ بهم على مُرورِ العصورِ وتعاقبِ الازمنة .

وإذا تعاوَرَكَ الزمانُ وَمالَ نحوكَ بالنوائبْ

فاذكر مُصيبتهم بعر..... صةِ كربلا تنسَ المصائبْ

فاذا فقدَ احدُهم اعزَّ حبيبٍ ، تذكّرَ مصيبةَ الحسينِ بأحبّائه وانصارِه وعلى رأسِهم حبيب ، واذا اَنشبتِ المنيّةُ اظفارَها لأحدِهم برضيع ، تسلّى برزيّةِ عبدِ اللهِ الرضيعِ ومصرَعِه الفظيع ، واذا نكبَه الدهرُ بفقدِ ولدٍ اكبر ، فإنّ له الاسوةَ الحسنةَ بمصيبةِ سيّدِ الشهداءِ بعليٍّ الأكبر ، وَ اذا رماهُ الزمانُ بموتِ اخٍ له او اخوين ، جعلَ نُصبَ عينيهِ قتلَ العبّاسِ واخوتِه ، وذكرَ مدى حزنِهم

(١) رفاء : ترفئة وترفيئا هنأه ودعا له بالالتئام واستيلاد البنين

العميق في قلب سيدهِ الحسين ، وإذا قلب الدهر لأحدهم ظهر المجن ، فمات عروسه بين يدي زفافه وتبدل الفرح بالحزن ، فليتذكر - ولابد أن يتذكر - فجيعة سيد الشهداء بالعلامة من أخيه الحسن .

ولكن من للأمة بأسرها بغلام كالقاسم ابن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قسم الحسن فلقتين ففيه فلقة والإمام في أخراها
ولذا كانت العيون تراه فلقة البدر أشرقت في سماها

يزف على ابنة عمه سكينة الحوراء الأنسية ، فيمشي الدهر عمي وإذا به يزف على المنية ، ويلبس للعرس ثياب أبيه الحسن ، وإذا بعمه يشق له أثوابه فيجعلها في صورة الكفن ، وينثر على رأسه النقل ، وإذا هو عرض النشاب والنبل ، وتخضب كفه للعرس بالحناء ، وإذا بها تخضب من رأسه في الميدان بالدماء ، ويدخله عمه الخيمة بيده ويبارك له في عرسه وقرانه ، وإذا هو بعد ساعة ينادي به أدركني يا عماه ، فينقض عليه كالصقر إذ ينقض على فريسته .

فلا تنجلي الغبرة إلا والحسين قائم على رأس الغلام ، وهو يفحص برجليه والحسين يقول (يعزّ والله على عمك ان تدعوه فلا يجيبك ، او يجيبك فلا يعينك او يعينك فلا يغني عنك ، بعداً لقوم قتلوك) ثم احتمله واضعاً صدره على صدره ، ورجلا الغلام تخطان في الأرض ، فجاء به حتى ألقاه في الخيمة بين القتلى من أهل بيته ، مع ولده علي الأكبر ، وهو يندبهما اشجى ندبة ، ويرثيهما احر الرثاء ، فلم تر ثاكلاً اشجى منه بين فقيدين ، ولم تسمع بمفجوع اشد حزناً منه بين قتيلين ، لا سيما اذا نظر الى وجهيهما كأنهما قمران وقد حجبتهما وفرتا هما كأنهما غمامتان ، وقد فاضت عليهما دماء الهامتين ، وكستهما ثوبين احمرين فينشدهما بلسان حاله .

تلك الوجوه المشرقات كأنها … الأقمار تسبح في غدير دماها
خضبوا وما شابوا وكان خضابها … بدم من الأوداج لا الحناء

لماذا يحمله أبوه إلى المعركة

قاتل الله معاوية بن أبي سفيان ومدّ ورته المفضوحة ومراوغته في الحجة والخصومة ، أذاع في الشام حديث رسول الله (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) ولما رأى الشاميون عمّاراً يحمل لقتالهم راية خصمه علي بن أبي طالب ذكروه في حديثه فوعدهم - كاذباً - بأن عماراً ستكون عاقبة أمره أن يقتل تحت لوائهم ، وأخيراً اعترضه أبو العادية الفزاري وهو منهم فقتله ، وعاودوه في الاعتراض فقال (ما نحن قتلناه وإنما قتله من عرّضه لسيوفنا ورماحنا) يريد علي بن أبي طالب ،

نقول : إذا تبع المعترض معاوية فأولى أن يعترض على الحسين في حمله عبد الله الرضيع لجهرة عسكر الكوفة فيجهر بأعلى صوته قائلاً ، إذا كان الحسين علم أن الله قد نزع الرحمة من قلوب الأعداء لفتكهم الذريع بأهل بيته وأنصاره ، من غير ما رحمة ولا رأفة ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وقد ضاعت في القوم خطبه وخطب أصحابه الذين

ألسنتهم كالمخاريق ، فما بالُه وهو لرزين الرصين بل الألمعيّ الحكيم - يَعرِضُ طِفلَه عبدَ الله الرّضيعَ عليهم ويستسقي له منهم الماءَ فيُعرِّضه بذلك لمصرعه الفظيع ويُغامر به أن يُرمى بذلك السّهم المشؤوم ، أليس في تلك المغامرة تجربة للمجرِّب ، ألا يكفيه أن يصِفَ لهم حالته فإن دفعوا الماءَ ليسقيَه به فذلك ما أرادَ وإلّا لم يكن قد فتح لهم الطريق على قتله .

ولنا أن نقول أمّا استسقاؤه للطّفل من القوم فواجبٌ لئلّا يهلكَ عطشاً فيعتذروا عند الله بعدم علمهم بحالته ، وأنّ أباه جنى عليه إذ لم يخبرهم به . و هم إنّما حرّموا الماءَ عليه وعلى من لفّ لفّه في إرادتهم تقويضَ عرش يزيدَ ، والطفلُ خارجٌ موضوعاً وقد علمتَ أنّ الوصفَ لا يكفي في أكثر الأوقات عن المشاهدة فما راءٍ كمن سمع ، ولعلّهم لو صدّقوه بأن الطفلَ قد اشفى[1] على الهلاك من شدّة الظما يتهمونه بأنّه سيُشاركه فيه أو يُؤثر به نفسه ، وقد حرّموا على أنفسهم أن يذوق منه قطرةً واحدةً ألا تراه يقول في آخر خطبته (خذوه واسقوه) فكأنّه أحسّ منهم

(١) اشفى المريض على الهلاك : قاربه

التهمة له ، وأما علمه بأنهم قد نزعت الرحمة من قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، ويكفيه دليلاً على ذلك فتكهم الذريع بآله وأصحابه وغير ذلك ، فمن كان يتصور يا ترى أن تبلغ بهما القسوة وتنتهي بهم الوحشية والهمجية الى ما انتهت أليه من فتكهم بالرضيع الذي لا جرم له ولا ذنب ولا يبدئ في الأمور ولا يعيد ، وأن صدر لأبيه ذنب - كما يزعمون - لعدم نزوله على حكم يزيد فإنه لا يدور في خلده[1] أن سيؤاخذون به الرضيع إذ لم تجر العادة بذلك ، حتى عند الجاهلية وهمجيتها الا تسمع شاعرهم إذ يقول .

ابحنا حيهم قتلاً واسراً عدا الشمطاء والطفل الصغير

ثم تقول أتلوم الحسين بحمل الطفل لأنه رجع به الى الخيمة مقتولاً ولا تعجب من سياسته ومعرفته بأساليب الدعوة الى الحق ، وتنبيه أمة جده من رقدتهما الطويلة وسباتهم العميق ، ألا تسمع الى خطبته التي هزت العسكر على كثرته وقسوته هزة عنيفة ، بل ماج لها العالم بأسره حزناً وجزعاً وادبج بهراً[2] وعجباً ، حيث هتف بهم فبلغت دعوته

(١) الخلد : البال والقلب (٢) عجباً تفسير بهراً

القلوبَ قبلَ الآذانِ (يا قوم قد قتلتم شيعتي وبني عمي وأولادي وأخواني وقد بقي هذا الطفل يتلظى عطشاً فاسقوه شربةً من الماء) .

ودعا في القومِ يا للهِ للخطبِ الفظيع
نبئوني أأنا المذنبُ أم هذا الرضيع
لا حظوهُ فعليه شبهُ الهادي الشفيع
لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين

فاستشرفَ له الجمعُ ، فتطاولتِ الأعناقُ ، واشرأبّت النفوسُ وأرهفت الآذانُ ، ووجفتِ القلوبُ ، وفاضتِ العيونُ بالدموعِ ، وكثُرا للغطُ والرهجُ في العسكرِ ، فمن قائلٍ إذا كان ذنبٌ للكبارِ فما ذنبُ الصغارِ ، ومن قائلٍ لعن الله ابنَ سعدٍ ما أقسى قلبَهُ وكادُوا يُفيقون من سكرةِ ضلالهم ، ويستيقظونَ من رقدةِ غفلتِهم ، وللعقلِ رقدةٌ وانتباهٌ ، والله مقلّبُ القلوبِ والأبصارِ .

فبربّك هل سمعتَ أو علمتَ انّ خُطبةً من خُطبهِ فضلاً عن خُطبِ اصحابهِ قد فعلت مفعولها في قلوبِ القومِ كخطبتهِ برضيعهِ ، وهل سيطرَ بشيءٍ على تلك النفوسِ الموصدةِ الآذانِ العميِ البصائرِ كآراءتهِ لهم ذلك الطفلَ البريءَ من الذنوبِ ، الخالصَ من الآثامِ ، النزيهَ من الجرائمِ ، وهو يتلوّى

عطشاً ويتلظى أواماً ، وقد اصفرّت منه وجنتاه وهما وردتان ، وغارت عيناه وهما نرجستان ، وذبلت شفتاه وهما عقيقتان .

أمّا ابن سعد فقد أدرك الوضع وارتبك في حراجة الموقف ولم تشأ له عاطفته وطمعه في الجائزة بانقياده لأميره أن يسقي الرضيع قطرةً من الماء ، فغامر بنفسه وزعم أنّ الشرّ يطفأ بالشرّ ، فقطع - بزعمه - نزاع القوم المحتدم ولجبهم المستمرّ ، أن انتخب حرملة من بين الرماة ، لأنّه وجده أقساهم قلباً وأغلظهم كبداً ، وأمره بذبح الرضيع بسهم ذي ثلاث شعب ، وكذلك فعل عدوّ الله وعدوّ الأنسانية ، وأطلق سهمه المثلّث المسموم من كبد قوسه المشومة - الله اكبر - ولم ترعش يده ولم تختلج جوارحه دون أن جعل هدف سهمه المثلث المسموم رقبة الطفل المغمى عليه من العطش ، وقد رآها تلوح على عضد أبيه كأنّها عمود فضة ، فانتظمها بسهمه الى عضد أبيه ، غير انّه لم يلبث ان عاد باكياً من فعلته النكراء التي تبرأ منها النفوس السبعية فضلاً عن البشرية ، ان رأى الطفل يرفرف على صدر

أبيهِ كالطيرِ المذبوح ، وأبوه يتلقى بكفهِ دمَ طفلِهِ الذبيحِ بجميلِ الصبرِ وعظيمِ الثبات ، ويرمي به صاعداً إلى السماءِ ، ولسانُ حالِهِ يُترجِمُ عن مكنونِ نفسهِ ، انَّ بعينِك يا ربِ ما نلقاه وَ بجنبِك ما نكابدُ ، وذلك قليلٌ في ذاتِك ونزرٌ في رضاك يا أُلهَ السماءِ .

وهكذا تفنَّن شهيدُ الطفِ بأساليبِ الدعوةِ إلى الحقِ والنداءُ إلى الهُدى ، فارتقت به نفسُهُ القدسيةُ من دُعاءِ البشرِ قبل مقتلِ الطفلِ إلى دُعاءِ إلهِ السماءِ بعد مقتلِهِ ، فتقبّلَ اللهُ قربانَه وَ أرسل ملائكتَه تتلاقفُ دمَه الذي أُريقَ لوجههِ الكريمِ ، بعدَ أن استحال قبلَ اتصالِهِ بالملأِ الأعلى (اللونُ لونُ الدمِ والريحُ ريحُ المسكِ) فلم تنزلْ منه إلى الأرضِ قطرةٌ واحدةٌ .

تلاقفتْ دمَه الأملاكُ حين رمى نحوَ السماءِ به المولى فما انحدرا

ولكنَّ القومَ فاتهم الغرضُ وطُبعَ على قلوبهم ، وارسلهم اللهُ من يدهِ إرسالَ من أرادَ إهمالَه ، ونزعَ الرحمةَ من قلوبهِم فكانت على قلوبٍ اقفالُها ، ولقد كان الأولى بهم أن يمسحوا عيونَهُم عندَ مقتلِ الطفلِ

بعتب ما انتبهوا بعض الأنتباه ، في عرضه عليهم يلوك لسانه من العطش ، أليس رؤيته مطوقاً بالسهم أمضّ من رؤيته ملفوفاً بالقماط ، أليس تشحطه بدمه اعظم من تلظيه بعطشه ، أليس نظره مرفرفاً على صدر أبيه كالطير المذبوح اقرح للقلوب من نظره مرفوعاً بين يدي أبيه ساكناً لاحراك به لكونه مغشياً عليه من شدة العطش ، الم تبلغ هذه الحالة حرملة الفظ الغليظ وهو المتعمد على قتله قبلاً ولم تدركه به رحمة ، اليس رجوعه به الى الخيمة قتيلاً على عطشه اعظم وأبلغ اثراً من رجوعه به ليموت في الخيمة بين يدي أمه عطشاً .

والخلاصة ان الحسين قد بلغ رسالته وأحسن في ادائها كثيراً لأنه رأى لطفل قد أشفى على الهلاك من الظمأ فوجب عليه أن يستقي له ، علماً منه انه إذا تركه مات في الوقت الحاضر ، فكان هو الجاني عليه في حجتهم عند الله ، وظناً منه ان القوم سيسقونه لبراءة ساحته من الذنوب ، ولميل الطباع لرحمة الأطفال ، ولو وصف لهم حالته فسيتهمونه بجعله ذريعة لأطفاء وقدة كبده ، ثم لما فاجأته

هذه النازلة الجسيمة التي لم تكن بحسبانه ما وهن ولا استكان بل استمر في نشر دعوته بالطريق الأوضح ، والحجة البيضاء فضرب لهم الأمثال قائلا (اللهم لا يكن عليك أهون من فصيل ناقة صالح) وقوم صالح عقروا ناقته فهام فصيلها في البر ، فحذرهم نبيهم من الانتقام وقال لهم اطلبوا الفصيل ليكف الله عنكم بأسه فطلبوه فلم يدركوه ، وأهل الكوفة قتلوا الرضيع قبل الفصال فلم يرعووا عن بغيهم ، ولم يرجعوا عن طغيانهم بل استمروا في عتوهم حتى قتلوا الحسين ؏ وهو أعظم قدرا عند الله من صالح وناقته .

جاء في الأثر القديم أن غلاما مسلما دعا جبار زمانه الذي يعبد من دون الله إلى الإيمان بالله ، فاحتدمت وقدة غيظه عليه وأعد لقتله يوما مشهودا فسدد له سهما بعد أن هتف باسم الصنم الذي جعل الغلام قربانا له فلم يصبه ، وصوب سهما آخر فأخطأ الغرض ، فلما رآه قد ضجر من كثرة السهام وعدم الإصابة ، قال له أن أردت أن تدرك غرضك من قتلي فقل عند رمي السهم باسم رب الغلام ،

فما إن قالها ورمى السهم حتى صرع الغلام ، وعندها أسلم الحاضرون كلهم لرب الغلام وآمنوا بالله رب العالمين ، أن صرع سهم جبابرهم لغلام في سبيل نشر الدعوة لربه .

فكان ينبغي أن يكون مصرع هذا الغلام أسرع في نشر الدعوة من ذلك الغلام ، لأن ذلك الغلام خارج على تقاليد قومه ، وهذا الغلام لم يبلغ الفصال ولم يتم الرضاعة ، وذلك الغلام ابن رجل من سائر الناس لا أمة له ولا قدر ، وهذا الغلام ابن محمد صفوة العالم وسيد البشر ، وكلهم ينتمون إلى ملته ويزعمون أنهم من أمته ، وذلك الغلام لم يقتل على الظمأ وهذا الغلام قتل وقد شارف الموت من شدة العطش ، وذلك الغلام قتل بسهم ذي شعبة واحدة وهذا الغلام قتل بسهم ذي ثلاث شعب وكان مع ذلك مسموما .

ثم نقول أما نجاح الدعوة فلا تعلق له بالداعي ، لأن الكثير من الأنبياء والرسل ذهبت دعوتهم أدراج الرياح ، ولكنهم أقاموا الحجة لله على عباده لئلا يقولوا (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك

مِنْ قبلِ أنْ نذِلَّ ونخزى) تعليقًا على قولهِ تعالى (وما كنّا معذّبين حتى نبعثَ رسولًا) وأمّا انتظارُ قتلِ الطفلِ قبلَ نجاحِ الدعوةِ للأستسقاءِ بل للرشدِ والهدى فليس ذلك بضائرٍ داعيةَ الحقِّ ورسولَ الرشدِ والهدايةِ ، وسفيرَ الصلاحِ والهدى ، لأنّ له الأسوةَ بكثيرٍ من الأنبياءِ والرسلِ ودُعاةِ الخلقِ للحقِّ ، وقد ذكر القرآنُ والتاريخُ قتلَهم قبلَ نجاحِ دعوتِهم ، بل له الأُسوةُ الحسنةُ بجدِّهِ المصطفى وبكثيرٍ من سراياهُ الكريمةِ ورسُلِهِ المُبلّغينَ عنه ، وأين أنت عن سَريّةِ جعفرٍ الطيّارِ ، أوهل كنتَ في غفلةٍ من سَريّةِ الرجيعِ ، أولم تسمعْ بوقعةِ بئرِ معونةَ ، وهم سبعون شهيدًا بعثهم رسولُ اللهِ للتبشيرِ بدينِ اللهِ بعدَ استدعاءِ أبي براءٍ ، فأخفرَ(1) الأعرابُ ذمّتَه وعلى رأسِهم عامرُ بنُ الطفيلِ لعنه اللهُ فقتلوهم جميعًا ، بل كثيرًا ما رأينا رسولَ اللهِ نفسَه دعا الناسَ للهِ فلم تنجحْ دعوتُه وأُوذيَ فصبرَ ، بل كان قد وطّن نفسَه على القتلِ ولو قبلَ نجاحِ الدعوةِ وأداءِ منه بكلِّ ما أُوتوا من قوةٍ وبذلوا في سبيلِ تحقيقِهِ غايةَ جهدِهم ولكنّ اللهَ خيرٌ حافظًا وهو أرحمُ الراحمين .

(1) اخفره : نقض

والحسين إذا جاهد بنفسه ووطنها على القتل فداءً بجدّه فقتل بعد كرام أنصاره وأهل بيته ، فما يمنعه من الجهاد بطفله وبتقديمه للذبح في نشر دعوة الهدى ، قرباناً لله وابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى .

هذا ولكننا لا نزال نعتقد أنه لم يدر في خلد الحسين ولم يخطر في بال غيره أن بني أمية سيمنعون طفله الماء بعد رؤيتهم له بتلك الحالة التي تصدع الصخر الأصم وبعد أن كانت رحمة الأطفال من طباع البشر .

فلم يدر لا ورب البيت في خلد من آل حرب بعبد الله ما صدرا

واعتماداً على أن رحمة البشر للطفل الصغير من باب إرسال المسلمات تلقت سكينة أباها بسؤالها الذي ذرّ الملح على جرح فؤاده (أبه لعلك سقيت أخي الماء) فبكى الحسين واكتفى عن الجواب بأن دفع لها الطفل على حالته التي قتل عليها والسهم لا يزال في نحره ، ولعله أراد بذلك دفع توهمها في استبعاد صدور قتله كما هو مرتكز في الأذهان قائلاً لها (بنيه خذي أخاك مذبوحاً بسهم الأعداء .

والأكبر الظن أنه لو جرت العادة في قتل الأطفال على عطشهم ولا ذنب لهم غير استسقاء الولي لهم ، وعرضهم على ما نغّصهم الماء ، لما تمنّى الحسين حضور شيعته يوم عاشوراء ، لينظروا بأعين رؤوسهم هذه المصيبة الغريبة في جنسها العظيمة في نوعها ، كما أوصى إليهم على لسان ابنته سكينة لما ألقت بنفسها عليه وقد قطع رأسه ، كما قالت لما مرّا لقوم بالنسوة على القتلى رميت بنفسي على جسد أبي فسمعت صوتاً يخرج من منحره المقدّس .

شيعتي ما إن شربتم عذب ماء فاذكروني
أو سمعتم بقتيل أو شهيد فاندبوني
فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني
وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني
ليتكم في يوم عاشورا جميعاً تنظروني
كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني
وسقوه سهم بغي عوض الماء المعين

والعجز عن وصف شجاعته

بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله في عصر كان كلٌّ من الفصاحة والشجاعة فيه قد أدركت إناها[1] و بلغت أشدها ، فهما مطمح أنظار أهل ذلك العصر بل هما غاية المجد عندهم ، وقصارى ما يعدونه لمفاخرهم ، تفوق في الفصاحة قومٌ فعلقوا قصائدهم على الكعبة في موسم اجتماعهم لتسير بأيدي الوفود مسير الريح إلى جميع أقطارهم ونواحيهم ، ونبغ في الشجاعة عنترة بن زبيبة ، وكان عبداً شأنه الحلب والصر[2] ، فصار سيداً تتعشقه كريمات قومهم و عقائلهم ، وما عليهن بذلك غضاضة ، بل لهن الفخر والمجد .

ولكن الله بهرهم بفصاحة القرآن الخارجة عن طوق البشر ، حتى تحداهم[3] بأن يأتوا بسورة من مثله ، بعد أن رآهم يعجزون عن الإتيان بمثله كله ، بل بعشر سور مفتريات ، فلما قطعوا - في كل ذلك - في عجزهم ، واعترفوا مذعنين بضعفهم عن مقاومته على رغم أنوفهم ،

(١) نضجها (٢) شد الضرع (٣) طلب منهم ان يأتوا بمثله كله أو بسورة من مثله

فتحيّزوا للحربِ والقتالِ وصبروا للجلادِ والنضالِ، ووطّنوا أنفسهم على ما جرّت عليهم الحربُ وويلاتها من أزهاقِ النفوسِ وترميلِ النساءِ ويتمِ الأطفالِ واسترقاقِ ذراريهم ونهبِ أموالهم، وكم أسرهم الأسلامُ ومن أذلُّ من الأسيرِ، وأذاقهم اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ وقاسوا من التعذيبِ ألوانًا، ومن الصَّغارِ والتنكيلِ أنواعًا، وذلك حين تحدّاهم الرسولُ وخيّرهم ان يكفّوا بأسه عنهم بواحدةٍ من هاتين الخصلتين اللتين قد بلغتا أشدّهما عندهم الفصاحةِ فيأتوا بمثلِ القرآنِ بل بعشرِ سُوَرٍ بل بسورةٍ واحدةٍ — والشجاعةِ فيأذنوا بحربٍ من اللهِ ورسولهِ، فدعتهم العصبيةُ الجاهليةُ أن اختاروا هذه الخلّة الثانية، وكأنهم وجدوها أهون في نفوسهم من الأولى، لذلك أنزلوا معلّقاتهم — وضعًا لقدرها — ورموا بها في الترابِ، واستعدّوا للحربِ، وإن علموا بسوءِ العاقبةِ وَ المصيرِ إلى ما انتهى أليه أمرهم، لكنهم آثروا ان يموتوا — بزعمهم — كرامًا، وهكذا يفعلُ الجهلُ في صاحبهِ، والجاهلُ عدوُّ نفسِه.

أمّا محمّدٌ فقد أرسله الله وحده إلى النّاس كافّةً ، أبيضهم وأسودهم بل إلى الجنّ والإنس إلى يوم القيامة وقد علم – وهو العليم بعباده – أنّهم سيكذّبونه وسيقابلونه بكلّ ما أوتوا من قوّةٍ ، وقد ذكرنا أنّ قوّتهم تنحصر في فصاحة اللسان و شجاعة الجنان ، لذلك زوّده بهما وآتاه فوق ما آتى أهل ذلك العصر جميعًا ، بل جميع العصور والقرون التي أرسله إليها إلى يوم القيامة ، وإذا كان الله قد أرسله – والله أعلم حيث يجعل رسالته – لهذا الأمر العظيم الخطير ، في ذلك الظرف العصيب الرهيب ، للجنّ والإنس كافّةً ، فكيف يرسله مجرّدًا من القوّة القاهرة والقدرة الكافية ، عاريًا من الوسائل التي تمسّ لها الحاجة ، وتدعوها الأحوال الكفيلة بالنجاح ، وكيف يظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون إنّ هذا وربّك لا يكون في الأوامر المولويّة البشريّة للعبيد فضلًا عن الربّانيّة الألهيّة للحبيب ، وهو القائل (لا يكلّف الله نفسًا إلّا وسعها) كلّا فقد فتح الله لنبيّه محمّدٍ – منذ وضع قدمه في عرصة الوجود واختاره الله لرسالته الخالدة –

بائنين من القدرةِ ، وأمده بسلاحين عظيمين للنصرِ والظفرِ بالعدوِ ، وأيده بقوتين منذ وجهه الى جهتين (الأولى) القوة البشرية ، وهو في هذه المرتبة المثل الكامل في الرجولة الذي لا تنا له الا لسن بقدح ، ولا تقدر أن تبلغ كنهه بمدح ، حيث خلا من كل رذيلةٍ وصار المثل الأعلى لكلِ فضيلةٍ أجل .

ليس على الله بمستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدِ

وهذه المرتبة هي المعبَّر عنها بقولهِ تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) كما أشار الى الثانية) بقوله (ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى) وبهذه المرتبة اتصل بالملأ الأعلى ، واستلهم الوحي ، وارتضاه الله للاطلاع على علمِ الغيبِ ، وصدرت منه المعجزات الخارقة للعادةِ ، وهي ما نسميها بالقدرةِ اللاهوتيةِ ، ولعله أشار اليها بقولهِ (يا عليّ ما عرفني إلا الله وأنت) كلا فإنه صلى الله عليه وآلهِ كما بعث للناسِ كافة واُوتي القرآن الذي لو اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثلهِ لا يأتون به ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً كذلك أوتي من

الشجاعة ما يعجز البشر عن مقابلته كالقرآن بل الأنس والجن ، الذين أرسله الله إليهم إلى يوم القيامة
وكيف يقصر سلاح شجاعة جنانه عن سلاح فصاحة قرآنه ، وقد علم الله أن أهل عصره سيحتاجون دون الحرب والنزال ، بعد أذعانهم بالعجز عن مقابلة فصاحة القرآن ، وهو يريد أن يظهره على الدين كله
غير أنه تعالى رفع مقام نبيه عن مباشرة الحرب بنفسه في غير المقامات التي تدعو لها الحاجة كيوم أحد ، وجعل المظهر التام بل المحقق الأجلى لشجاعته والمرآة التي انطبعت فيها صورة بطولته وفروسيته وصيه بل نفسه - في نعوته الحسنى ومثله العليا - بطل الاسلام علي بن أبي طالب ، فهو تعالى كما تحداهم بالقرآن تحداهم بشجاعة عدل القرآن في أهم مواطن النبي أعني غزوة بدر الكبرى إذ أنزل عليه (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) وإنما أراد بالمؤمنين علياً أمير المؤمنين في تفسير كثير من الجمهور وكافة الشيعة ، وتحدى النبي صلى الله عليه وآله كثيراً من العرب كبني وليعة وغيرهم بأخيه أن يرسله إليهم إن لم ينتهوا فيقتل الرجال و

يسبي الذراري وينهب الأموال ، وكم قذفه في لهوات الحروب (فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه) كما قالت كفؤه الزهراء في خطبتها ، أليس هو القائل (لو تظاهرت العرب والعجم على قتالي ما وليت عنها الدبر) أم أليس هو الذي قاتل طواغيت الجن بمدد ربه السبحاني حتى قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ورجع إلى النبي وسيفه ينطف من دمائهم ، وما لنا نذهب في التدليل على ما ندعيه بعيداً ، وهذا أحد ذريته الصادقين يقول في زيارته «كاشف الكرب عن وجهه - أي النبي - الذي جعلته سيفاً لنبوته ، ومعجزاً لرسالته ، ودلالة واضحة لحجته ، وحاملاً لرايته ، ووقاية لمهجته ، وهادياً لأمته ويداً لبأسه ، وتاجاً لرأسه ، وباباً لنصره ، ومفتاحاً لظفره ، حتى هزم جيوش الكفر بأذنك وأباد عساكر الشرك بأمرك الخ» وبحكم قياس المساواة يجب أن لا يكون في العالم من أوله إلى آخره قرن في الشجاعة ومساوٍ في البطولة لبطل الأسلام علي بن أبي طالب ، وحملة عهد الله من ذريته فضلاً عن وجود

الأشجع ، كما لا يمكن وجود ما يساوي فصاحة القرآن فضلاً عن الأفصح ، ولذا كان العترة و القرآن ثقلي النبي اللذين أوصى بهما أمته لأنهما دعامتا نبوته ، وقواما رسالته ، وسلاحا دينه وملته ،

هذا ولكني لا أزال أفهم جيداً - فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - من حديث الثقلين غير ما يتراءى من ظاهره ، وعليّ أن أبدي رأيي و ليس عليّ أن يقبله كل من وعاه - يقول صلى الله عليه وآله لأمته موعداً لها ببقاء ملته حتى يقوم الناس لرب العالمين ، غير مبال بما يكنونه في صدورهم من انتهاز الفرصة والتحفز للوثبة لمحو دينه ، واستئصال شأفة[1] ذريته انتقاماً منه بما فعل بهم ، وقد قرأ ذلك كله على صفحات وجوههم وفلتات ألسنتهم ، وفعل كل امرئ كاشف عن نيته وهو ميزان الرجال ومعيار ملكاتها ، فقام بين يدي المؤمنين معلناً فيها بالبشارة ، وفي مشهد المنافقين - وما أكثرهم - مرغماً آنافهما صادعاً بالنذارة ، (إني مخلف فيكم الثقلين

(١) مثل يضرب لإزالة الشيء من أصله ومعناها الإفراد في القرحة في أسفل القدم

كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي) سلاحي دعوتي وقوامي ملّتي ، وَدِعامتي رِسالتي للّتين قامت عليهما ، وبهما تحدّيتُ الجنّ والأنسَ فلم يُقابلوهما. ولوكان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا (فانظروا كيفَ تخلِفوني فيهما) فإنِ اتّبعتموها واقتصصتم أثرَهُما واقتديتم بهما فحظّكم أصبتم ، وسعادتكم أدركتم ، وستردُون حَوضي معهما يومَ ندعو كلّ أُمّةٍ بأمامِها ، وستحشُرون معي وفي درجتي في الجنةِ ، لأني أُحبّهم ، والمرءُ يحشُرُ مع من أحبّ ، ألا وأنّهما لا يوردانِكم إلى ضلالةٍ ولا ينتهيانِ بكم إلى غوايةٍ (ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا) وإن خالفتموهما — ولا بُدّ أن تخالفوهما — فأنّي أتحدّاكم بهما بعدي كما تحدّيتكم بهما في حياتي ، وسيعضدُ أحدُهما الآخرَ وسيأتلفان وسيبقيانِ سلاحًا لدعوتي ، وسيبقى ديني قائمًا بهما لأنّ علّةَ الحدوثِ هي علّةُ البقاء ، وإذا ستأنفا فلن يُثلمَ غربُهما[٢] وسيفعلانِ مفعولهما ولن يضُرّهم خلافُ المخالفين شيئًا ولن يضيرَهم خذلانكم لهم و قد أوحى الله أليّ وأن يريدوا خيانتك في عليٍّ فلن يقبلوه وَصيًّا لك فقد خانوا الله من قبلُ فيك فلم يقبلوك نبيًّا ورسولًا له فأمكنَ منهم وتمّت رسالتُك وكمل دينك

(٢) غربهما : حدّهما

ولم يغنهم مكرهم وخبا ثنهم شيئاً ، فاذا قدرتم أن تأتوا بمثل القرآن في فصاحته قدرتم أن تقابلوا علي بن أبي طالب في شجاعته ، وإذا كان في وسعكم أن تأتوا بعشر سور مثله مفتريات وسعكم أن تكيدوا بعده عشرة من الأئمة الهداة ، وإن أمكنكم أن تأتوا بسورة من مثله ، أمكنكم أن تنكروا البقية الباقية والحجة الممتدة الأمد من أهله ، والا وقع الافتراق بين الثقلين ، ولم يكونا - وحاشا هما - عدلين .

ودليلنا من القرآن على أن النبي تحدى أمته بأهل بيته من بعده كما تحداها بالقرآن إلى يوم يقوم الأشهاد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يقاتلون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) فعن أمير المؤمنين أنه قال يوم الجمل (والله ما قوتل أهل هذه الآية حتى اليوم) فإن فقه الآية الشريفة بانضمام تفسيرها عمن أسند إليه الله ورسوله تفسير القرآن

المؤكد بهذا القسم العظيم ، مع ما يكتنفها من أحوال وملابسات وتعقيبها - بلا فصل - بآختها آية الولاء (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) هذه الأشياء ترشدنا إلى أمور :

«١» أن النبي تحدى الأمة بأهل بيته حتى من بعده وأنهم هم الغالبون إذا قتلوا معهم ،

«٢» أن حروب أمير المؤمنين عليه السلام كانت واجبة عليه لهذا التهديد والتوعيد ،

«٣» أن حكم من قام بالسيف من بعد أمير المؤمنين ممن حمل عهد الله العظيم أن يحفظ دين الله ويعادل كتاب الله كولديه الحسين والمهدي المنتظر فإن حكمهما حكم أبيهما أمير المؤمنين في كون نهضتهما توعد بها جدهما أمته ، وأن لهما الغلبة وعلى عدوهما الدبرة وسوء العاقبة ، لأن حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد

«٤» أن كل من خالفهم وخذلهم فهو مرتد عن الدين خارج عن ربقة الإسلام والإيمان ، لأن أثافي[1] الإسلام ثلاث لا اثنتان ،

(١) الأثافي : جمع أثفية وهي الحجر توضع عليه القدر ودخيلها (المنصبة)

« ٥ » أن الله أخبرهم بهذا الانقلاب الذي وقع بعد
نبيه وأنذرهم سوء مغبته ، ففعلوها والعهد قريب ، والجرح لما يندمل
« ٦ » أن من أوجب الله عليه القيام بالسيف
لارتداد أهل عصره بمخالفته لا بد أن يمده الله من
لدنه بقوة عظيمة وبأس شديد وقدرة يتمكن بها
من الغلبة والانتصار على المجاهدين له والمتظاهرين
عليه ولو كانوا عرب الانس وعجمها ، بل ولو كانوا
الجن والانس ، ووجود الانصار ليس شرطا لهذا
التكليف والنهوض بهذا العبء الثقيل ، بل الشرط
هو اذن الله لهم حيث تقتضيه مصلحة الظروف ،
وقد عرفنا هذا واضحا لا سترة عليه من عزم النبي
على لقاء جيش أبي سفيان في بدر الموعد ، ولو
خذله المهاجرون والانصار ، ومن آية أصحاب
الجمل فان القوم الذين يحبهم الله ويحبونه هم المعنيون
في حديث النبي في وقعة خيبر (لأعطين الراية
غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)
فتحقق ذلك في علي، وتدعم لنا ذلك بل ترفع كل شبهة
عن أذهاننا آية التصدق التي أرادت من الجمع واحد
الناس عليا حيث يقول (إنما وليكم الله ورسوله

(١) وهي آية الولاء لأنه في أولها والتصدق في الخاتم وهو راكع في آخرها

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)، فإنّ المرادَ بكلتا الآيتين واحدٌ لنا عليه السلام وأن كان أُشيرَ إليه بصيغةِ الجمع ويؤيّدُ مُدّعانا قولُه (لو تظاهرَ العربُ والعجمُ على قتالي لم أولّها الدُّبُرَ) وحديثُ أرادةِ زينِ العابدينِ القيامَ على بني أميّةَ بالسّيفِ حتّى يمحوهُم على شدّةِ مرضِه إذا صمّموا على قتلِه كما سنُشيرُ إليه ،

وَدليلُنا من السُّنّةِ ما صحّ في كثيرٍ من الأخبارِ عن عمّارِ بن ياسرٍ وأضرابِه أنّهم سمِعوا رسولَ اللهِ كثيرًا ما يقولُ لعليٍّ أنت قاتلُ النّاكثينَ والقاسطينَ والمارقينَ ، وما قاتلَ الطوائفَ الثلاثَ إلّا بأمرٍ من النّبيِّ لأنّهم لمّا خالفوه ارتدّوا وانقلبوا على أعقابِهم فوجبَ عليه ردُّهم لدينِ الإسلامِ راغمين ، ويدُلُّ على ما قلنا دلالةً واضحةً ما يُروى أنّ أحدَ الخُلفاءِ خطَبَ في ملأٍ من المهاجرين والأنصارِ ، فقال ـ واللهُ أعلمُ بنيّتِه ـ (أترون لو أنّ أحدَ خلفاءِ المسلمينَ قامَ بالأمرِ ، وتركَ العربَ في عِزّتِها ومَنَعتِها وقوّةِ دَولتِها ، ولكنّه دعاها الى الرّجوعِ لدينِ آبائها وعبادةِ أصنامِها ،

فهل يستطيع من ذلك أم يجد له معارضا يمنعه و يحول بينه وبين ما أراد) وكان ذلك بحضر وسمع من حامية الأسلام ونصيره المعد لحفظه أمير المؤمنين ، فعرف المغزى وفهم الرمز والمعنى وعلم أنه هو المعني بالسؤال ، والمطلوب منه الجواب فانبرى لمساجلته وانفتل لمناضلته وقال ، (لو دعانا الى ذلك لرددناه ألى الأسلام على رغم أنفه بالسيف الذي أدخلناه به كارها) فاستحسنوا في ارتغاء وقال له أحسنت يا أبا الحسن ،

وتحقيقا لقول الرسول وطردا لقوله الذي هو عين اليقين انتقلت الشجاعة الكامنة في نفس محمد الظاهرة في شخص علي إلى حفيدهما الحسن المجتبى مع انتقال عهد الله أليه وتحمل أعباء الأمامة و معادلة كتاب الله المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وليس صلحه لمعاوية يؤذن بعجزه عن المقاومة و ضعفه عن منازلة الأقران ، فقد صالح جده قريشا لمصلحة اقتضاها ظرفها والزمها وقتها والأشياء مرهونة بأوقاتها وكان له الظفر عليها

وكان الفوز والغلبة في جانبه دونها ، وهو هو محمد الذي لم يكف بأسه عنها في الدعوة الى الحق حين كان بين ظهرانيها في مكة على قلة من الأعوان والأنصار ، وهو هو محمد الذي طالما حطم أصنامهم وسفه على عبادها أحلامهم ولم يبال بقولهم حيث أخبرهم أن آباءهم دخلوا النار بعبادة هذه التماثيل والأحجار وهو هو محمد الذي لم يخزله عزم ولم تضعف له إرادة والذي عزم أن يلقى وحده جيش أبي سفيان في بدر الموعد حين ما رأى أصحابه يتلكأون ، وقد خار عزمهم إذ (قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) ولما رأوه مصمما على لقاء الجيش وحده ذاب كل تردد في نفوسهم (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) وهو هو محمد الذي أوحى اليه ربه يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ، وهو هو محمد الذي أوحى إليه إلهه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) وذلك في بدء القتال

وكانت له عاقبة الفوز ، وعلى عدوه المغرور بعدده وعدته الذي لم يجنح للسلم الدبرة القاضية والهزيمة القبيحة والعاقبة للمتقين .

أرأيت كيف انتهينا بك إلى أمر الحسين، أرأيت كيف أوقفناك - حسب استطاعتنا - على جلية حال الحسين ، أآمنت أن الشجاعة التي أشدنا بذكرها انتقلت إليه حين تخلى عن أخيه الحسن الزكي عهد الله العظيم ، أصدقت أنه لما صار عدل القرآن ساواه في تحدي الجن والإنس على أن يأتوا بمثله في صفاته العليا ونعوته الحسنى ، فلم يأتوا ولن يأتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، أعلمت أنه لو تنازل لهم عن ذلك وقال فأتوا بعشر سنين مثله فقط ، وهي التي قضاها بعد أخيه الحسن واستطردها في صلح معاوية لعجزوا كما يعجزون أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن مفتريات ، أأيقنت أنهم كما يعجزون عن معارضة القرآن بأن يأتوا بسورة من مثله يعجزون عن الحسين عدل القرآن أن يأتوا بواحدة من صفاته ويضعفون عن مقاومتها وهي شجاعته الموروثة عن محمد وعلي ،

وقد كان لها مجمع البحرين ، إي والله لا يأتون بمثلها ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

رأى الحسين أن صلح أخيه الحسن عليه السلام مع معاوية قد انتهى أجله ، ورأى معاوية لم يف بشيء من شروط الصلح وأعظم ما أتى به من نقض الشروط استخلافه على الأمة نغله يزيد ليردّ الأمة على أعقابها كفاراً كفر الجاهلية الأولى فكيف يسكت الحسين ويلقي حبل الأمة على غاربها وهو حامل عهد الله إلى الأمة جدّه نصراً ، ولا يغفل عن حياطتها طرفة عين ، مع أنه يجد في نفسه الكفاءة على دحض هذا العدو الألد الذي يهددها بهذا الخطر العظيم ، وكيف يرى الناس يخرجون من دين الله أفواجاً وهو يقدر أن يمسك عليها دينها ويعيد عليها جدة إيمانها ، وكيف يقعد في داره اعترافاً بالضعف وإعلاناً بالعجز ، وهو يرى عدله القرآن يتحدى العالم لم يعد على أن يأتوا بمثله فلم يأتوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، إذن فأين المعادلة المنوه بها بين الثقلين ، وكيف لم يقع الافتراق بينهما قبل ورودهما الحوض ، كما

يُعلنُ به جدُّه المصطفى في أُمّتِه بملئ فمه ، وملئ أسماعها وهل هذا إلّا اختلاق .

وَالأمرُ الأعجبُ والخطبُ الأفظعُ أن يطلبوا منه البيعةَ ، وهُمْ يعلمون أنّه لخلافتهم بالمرصادِ وقد نوّه بذلك الخليفةُ الهالكُ - وأهونْ به هالكًا - للخليفةِ الجديدِ الّذي جاءَ يُحرّقُ الأُرّمَ(١) على الأسلامِ ونبيّ الأسلامِ ، إذ يقولُ بملئ فمه وفي ملاءٍ من حشدِه .

لستُ من خِندفَ إن لم أنتقِمْ من بني احمدَ ما كانَ فعَلَ

ثمّ لا يقنعون بالبيعةِ ، بل يقترحون على الحسينِ النّزولَ على حكمِهم غرورًا بكثرةِ جنودِهم وظنًّا منهم أنّ الحسينَ قد لانت قناتُه بذلك وعجمِ بالضّيمِ عودُه كأن لم يعلمُوا أنّ شجاعةَ محمّدٍ وعليٍّ انحصرت فيه ، وعادت حبوةً إليه ، واستوت على قلبِه فامتلأَ بها ، كما استوى درعُ الرّسولِ على جسمِه فامتلأت به فأجابهم بصرخةٍ تملأ أُذُنَ الدّهرِ وتُدوّي في مسمعِ الأبدِ (واللهِ لا أعطيكم بيدي إعطاءَ الذّليلِ ولا اقرُّ إقرارًا لعبيدِ) وأن لشجاعةِ محمّدٍ وعليٍّ أن تتجلّى للأبصارِ وتظهرَ لأعينِ النّاظرين

(١) الأُرّم : الاضراس والتحريق حك بعضها ببعض وهذا مثل يضرب لشدة الغيظ

ظهورًا لشمسٍ بعدَ طولِ استتارِها ، حتى تكونَ في رابعةِ نهارِها ، فلا تعجب إذا حدّثك عنه وصفهُ الذي رآى فعلَه بعيني رأسِه حيث يقولُ (ما رأيتُ مكثورًا قطُّ قُتِلَ اصحابُه وولده واخوته أربطَ جاشًا من الحسينِ ، وإن كانتِ الرجالُ لتشدُّ عليه وقد تكاملوا ثلاثين ألفًا فيشدُّ عليها فينكشفون من بين يديه انكشافَ المعزى اذا شدَّ عليها الذئبُ .

يكرُّ فيهم بماضيهِ فيهزمُهم ــــ وهم ثلاثون ألفًا وهو منفردُ
وما سمعت أذني ولا أذنٌ سامعٌ ــــ بأثبتَ منه في اللقا وهو واحدُ

ولا بدعَ إذا اخبرَ الرواةُ عنه أنّه كان كلّما اشتدّتِ الخطوبُ أشرقَ وجهُه وتهلّل للقائها فرحًا وجذلًا ،

وهبْ أنّ الخطوبَ به أحاطت ــــ فإنّ السيفَ يمضي بالصقالِ

وهذه شقيقةُ مجدِه زينبُ تقولُ في مجلسِ عدوِّه ابنِ زيادٍ (إنّ اخي ما تركَ دارًا بالكوفةِ إلّا وفيها نائحٌ أو نائحة) فلا يستطيعُ لكلامِها تفنيدًا ، ولا لحديثِها تكذيبًا ولو قدرَ عدوُّ الله لفعلَ ، بل لو استطاعَ أن يكذبَ فيردَّ مقالتَها لما تركَ ذلك ، وكيفَ يستطيعُ تكذيبَها وهو يسمعُ صراخَ الكوفةِ وبناتُها على قتلاها بملءِ مسامعه ويرى ثكلاها ملءَ عينيه ، ولو أنصفَ لقالَ لها ،

ـ ولكنا نحن نقول لها ـ صدقت يا عقيلة الرسالة ومخدرة بيت النبوة ، إن أخاك يحمل في قلبه شجاعة محمد وعلي ، وهو يتحدى بها الجن والأنس بل العالم جميعا ، فضلا عن الكوفة ، وما قدر الكوفة وجنودها في جنب شجاعته التي حان ظهورها وآن بروزها وتجليها .

ولقد كان ابن سعد أحرص الناس على قتل الحسين ، لأن ابن زياد ألقى عليه مسؤلية الحرب والقتال ، وأطمعه في ولاية الري ، وقد اقترب الوعد في رأيه أن رأى الحسين فريدا قد قتل جميع أنصاره وحماته ، لذلك غدر وفجر ، وخالف سنة العرب والإسلام ، ولم يبال بسبة الدهر وعار الأعقاب فحض الجيش بأسره أن يحمل على الحسين حملة رجل واحد ، بعد أن أعطاه حق البراز ، بأن يبارزوه واحدا بعد واحد حتى قتل منهم في ذلك ألفا وخمسمائة في كثير من الروايات فتكاملوا عليه ثلاثين ألفا وأردفهم ببقية الجيش وما أكثرها فافترقوا عليه ـ كما أمرهم ابن سعد ـ أربع فرق فرقة بالسيوف ،

وفِرقةٌ بالرِّماح ، وفرقةٌ بالسِّهامِ ، وفِرقةٌ بالحِجارةِ لعلَّه ينجحُ في واحدةٍ إنْ أخفقَ في ثلاثٍ فوجَّهوا نحوَه في الحربِ أربعةً ألسَّيفَ والسَّهمَ والخطِّيَ والحجرَ هذا وقد أحاطتْ الخطوبُ أربعَ فِرَقٍ على قلبهِ الكبيرِ باطنًا كما افترقوا على مُقدَّمِهِ ظاهِرًا ، فرقةُ العطشِ وفرقةُ فقدِ الأحِبّةِ ، وفِرقةُ الغُربةِ ، وَأعظَمُها وأشجاها فرقةُ حُزنهِ على دينهِ الحنيفِ ، فرآه ابنُ سعدٍ يحوزُ الغلبةَ عليهم ويفوزُ بنصيبِ النَّصرِ دونَهم ، لأنَّهم كانوا يشُدُّون عليه وَهُم كالجرادِ المنتشرِ ، فيشُدُّ عليهم فيهزِمون من بينِ يديهِ انكشافَ المِعزى إذا شدَّ عليها الذِّئبُ وسيفُه يرتِّلُ في رِقابهِم (سَيُهزَمُ الجمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ) .

فريدًا ما سطًا في الجمعِ إلّا وكانَ النّصرُ حِلفًا للفريدِ

يا لجلالِ اللهِ يا لعظمةِ اللهِ ، ماذا يرى ابنُ سعدٍ جنودُه رجلٌ تحيطُ بقلبهِ الخطوبُ وبجسمهِ الجنودُ فيضعُفون عنه ويقوى جانبُه عليهم أمرٌ لم يألفوه وشجاعةٌ لم يُحدِّثهم بها التّاريخُ حتّى لابنِ سعدٍ أنْ يمسحَ عينيه ليرى نفسَه أفي حُلمٍ هو أم في يقظةٍ ، فإنْ كانَ في يقظةٍ

فليقطع امله من الحياة فضلاً عن ولاية الري ، فقد بلغ الحق مقطعه وتضعضعت اركان جيشه وتقاعست منكوسة اعلامه ، فلم يملك نفسه ان ناداه ، اعترافاً بما لأهل البيت من خاصة حباهم الله بها فوق طبيعة البشر (يا حسين اتقاتلنا بالقدرة اللاهوتية)-وهي التي تقدمت الأشارة إليها — فقال لا بل بالبشرية ، ثم اراد ان يريه القدرة اللاهوتية فمد السيف فأحاط برقاب الجيش كله ، بحيث لو جذبه إليه لم يبق رأس منهم على جسد ، ولما اطمأن ابن سعد انه كان يقاتلهم بالقوة البشرية انتزع السيف من رقابهم .

حق لابن سعد ان يظن هذا الظن ، وحق لنا ان نصدق بهذه الرواية ، لأن ابن سعد كان عارفاً بهذا البيت ، وكان يعلم ان الله يمدهم بقدرة فوق مستوى طبيعة البشر في الحرب اوغيرها اذا اقتضتها الحال ومست لها الحاجة ، كما حارب علي بها عفاريت الجن وطوا عينهم تحت الأرض ورجع الى الرسول وسيفه ينطف من دمائهم ، وكما نصر الأنبياء ودحر اعداءهم قبل هبوط روحه الشريفة من عالم الأنوار الى عالم الحس والمادة ،

كما جاء في حديث عرفطة الجني وغيره إذ اراد أن يغرق سفينة نوح فضربه أمير المؤمنين على يده فقطعها ،

وبقي الخوف يتوغل في قلب ابن سعد حتى قتل الحسين وهجم العسكر على خليفته حامل عهد الله من بعده زين العابدين ، فأراد شمر قتله متحرقاً متشدقاً بأن الأمر قد صدر من الأمير ألا نبقي لهذا البيت شعرة واحدة ، فدافع عنه ابن سعد بجهده وصد شمراً عن مراده لما وعى عن أهل هذا البيت أنه إذا صمم أهل الكوفة على ذبح زين العابدين قام عليهم بالسيف فمحاهم عن آخرهم ، بالقدرة اللاهوتية التي ظن أنها ظهرت في حرب الحسين ولم يخل الله أرضه من حجة تصديقاً لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) وتحقيقاً لقول الرسول في ثقلبه أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض لذلك كف عنان شمر و أمسك بلجام عزيمته ، ولكن عدو الله وعدو الانسانية أمر بإخراج زين العابدين من الخيمة ، وقال في الحرم والأيتام اكبسوا عليهن الخباء ثم قال سود الله وجهه وقد أمن مكر الله (علي بالنار لأحرق بها بيوت الظالمين) فأحرقوا الخيام والأطناب وفرت النساء والأطفال هائمة على وجوهها في البيداء الله أكبر الله أكبر

ومخدرات من عقائل أحمد هجمت عليها الخيل في أبياتها

كأنها درر من سلكها انحدرت مذ سلكها بأكف الرعب محلول

لماذا طلب المبارزة

لقد ورث الحسين شجاعة جده وأبيه ، واستوت على جسده درع الرسول حيث تحمل عهد الأمامة عن أخيه ، فكان إمام العصر وخليفة الزمان ، وكان المثل الكامل في الصفات الحسنى ، وكان نسيج وحده في مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، نعم وذلك لأن صفات إمام العصر إمام الصفات النبيلة في كل عصر ومصر ، ألبحر في جنب كرمه قطرة ، والجبل الأشم عند صبره وثباته ذرة ، وسحبان في جنب فصاحته كباقل[1] ، والأسد في مقاومته أجبن من صافر ، لذلك كان يوم الطف كلما تكاثرت الجنود لحربه وقتاله تلقاها بصدره الرحيب وجاشه المطمئن وضميره المرتاح ، وكلما تفاقمت الحوادث و تكاثفت الخطوب أشرق لها وجهه ، وبرقت أساريره ، وزادت الطلاقة في محياه الكريم الوضيء

تزيد الطلاقة في وجهه   إذا ململ الرعب أقرانها

ولكن يحار العقل ويتردد الفكر في شيء واحد جاء به التاريخ من باب رسائل المسلمات ، ولم يتلعثم في نقله لسانه ، ألا وهو طلب الحسين من القوم المبارزة ، فأخذوا يبرزون له واحداً بعد واحد حتى قتل منهم في ذلك خلقاً كثيراً ، وقد في أكثر الروايات بألف وخمسمائة مبارز ، حتى أقبل الشمر إلى ابن سعد ، وقال له (أيها الأمير إن هذا الرجل يفنينا مبارزة) وأشار عليه بأن يحمل عليه الجيش كله حملة رجل واحد ، فقبل مشورته ،

(١) سحبان رجل يضرب المثل بفصاحته ، وباقل رجل يضرب المثل بعيه وفهاهته

فإن المعترض واقف على ثنية الاعتراض يترصد ثغرة يلج منها إلى مقصد وطريقاً يسلكه ليفضي به إلى أمله الذي يتوخاه ، فلا أن يصرخ بملء شدقيه قائلاً إذا كان الحسين عدل القرآن - كما تزعمون - والقرآن لا يفتأ يتحدى العوالم التي كان كتاب الله إليها وحجته عليها بأن يأتوا بمثله فلا يأتون ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فما بال الحسين يمنع من اجتماع جيش الكوفة على قتاله بل لا يستنزل فصيلة من فصائله ، بل لا ثنين من شجعانه وأبطاله ، أليس هذا يؤذن بضعفه عن مقاومة الجيش بأسره ، ويعلن بعجزه عن مقابلة الشجعان إذا تكثرت وحدانها ، أم وراء هذه الأمور شيئ آخر

قلنا - ليس وراء هذا الأعتراض شيئ واحد وإنما هي أشياء متعددة (الأول) أن المبارزة من سنن أهل الحرب والقتال في كل دين وفي كل دور من أدوار الزمن ، وإن استوت الصفوف وتواقفت الجيوش ، فضلاً عما إذا بقي المحارب وحيداً يقابل جيشاً يضم الغيالق ، المنظمة الرايات والبيارق ، وجاء الإسلام فأقر هذه القاعدة ، فمنع في جهاده المقدس أن يعين المبارز من جنوده جندي آخر على قرنه في النزال ما لم يجد من أصحابه أحد ، وهذا رسول الله في أعرف وقايعه بدر الكبرى لم يخرج لشيبة وعتبة وابنه الوليد إلا عدتهم ثلاثة من بني عفراء ، ولما اقترحوا أن يخرج لهم أكفائهم من قريش ، وقد فهم من لحن خطابهم ومن ملاحظة زهوهم وغرورهم بأنفسهم أنهم لا يرون لأنفسهم أكفاء إلا بني هاشم أشرف الناس حسباً وأعلاهم نسباً ، فأجابهم إلى مسؤلهم وأخرج لهم أعز الناس عليه أخاه علياً وعمه الحمزة وابن عمه

عُبيدة ، وانزل الله فيهم (هٰذان خصمان اختصموا في الله) وقضى لأوليائه على أعدائه ، فقطع دابر القوم الكافرين ، والحمد لله رب العالمين .

والحسين لما اخرج لجيش الكوفة انصاره البواسل أحاد وثناء[1] لزمهم في سنة القتال ان يبارزوهم كذلك موحد ومثنى دون ان تحمل عليهم كتائب ، او يقاومهم الجيش بأسره مقانب ، ولكن بني أمية خرقوا النواميس العربية ، تبعاً للمناهج الدينية ، فأراد الحسين ان ينبههم على غلطهم وغفلتهم ، ليقلعوا عن سوء فعلهم ، واذا كانوا يرون لمبارزيهم الأول ظهيراً ، ويظنون انه سيجدهم إذا حملوا على أفرادهم كتائب ومقانب ، فالآن وقد اسفرت الحرب عن وحدته وتبين لهم خلاء ظهره من معين وظهير لم تبق لهم ولا لمن يريد اصلاح تاريخهم حجة يتعللون بها ، وكانت كلمة الله العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وولي الله الغالب المنصور ، وعدوه المغلوب المخذول (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا)

« الثاني » ما نقل عن العقد الفريد انه لما خيرهم ان يدعوه يرجع من حيث اتى أو الى مدينة جده ومسقط رأسه ، او يسير الى ثغر من ثغور المسلمين ، فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم ، او يبارزوه واحداً بعد واحد ، فأبى عليه القوم هذه الخصال كلها ما معه ثلاثون رجلاً وقالوا (أبن رسول الله يطلب منكم امراً من ثلاثة امور

(١) احاد وثناء وموحد ومثنى : بمعنى واحداً واحداً واثنين اثنين

فلا تعطونه واحدًا منها) نقول فاذا هدى الله بهذا الاقتراح منه ، وبامتناعهم عن اجابته ثلاثين نفسًا من أمة جده وانقذهم الله من الضلال ، ودخول النار ، فكم يكون ربح الحسين عليه السلام عند الله ، وقد سمع قول جده لأبيه (يا علي لأن يهدي الله بك نفسًا واحدة خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) إي والله خير من الدنيا وما فيها وهل جاء الحسين الا هاديا لأمة جده ، و هل قاتلها الا على الرشاد وانقاذها من عذاب الله ، وجده يباهي الأنبياء بأمته يوم القيامة ولو بالسقط الواحد فما بالك بثلاثين رجلًا جرى عليهم قلم التكليف .

(الثالث) اذا مال معه ثلاثون رجلًا ان لم يعطه القوم واحدة من ثلاث ، فكان الأولى ان يميل معه ثلاثون الفًا ، ان منعوه اياها بعد ان منحوه بواحدة منها ، اذ يجب عليهم ان يتنبهوا كما انتبه اولئك الثلاثون فيقولوا (ما عدا مما بدا) أتحلون المبادرة ساعة وتحرمونها أخرى ، أليس المؤمنون على شروطهم ، أليس العهد بل الوعد مسئولا ، أعلى كتاب الله ، أم على سنة رسول الله ، أم على قواعد الحرب ، ونواميس القتال عند العرب تعتذرون به ، بعد تلك المبادرة التي اقترحها عليكم فمنحتموه بها وقد منعتموها معه ، فتحملون عليه هذه الحملة الشعواء ، وتفترقون عليه اربع فرق ، فرقة بالسيوف وفرقة بالرماح ، وفرقة بالسهام ، وفرقة بالحجارة ، وما هو الا

رجل واحد ، دعوه ويلكم تقتله الفرق التي تحيط بقلبه ، وتتوغل نيرانها في أقصى ضمائره ، فرقة العطش ، وفرقة الغربة ، وفرقة فقد الأحبة ، وفرقة حزنه على دين الحنيف ، ومبدئه المقدس الذي عاد كرة تتلاقفها طواغيتكم ، يزيد بعد معاوية ، ومعاوية بعد يزيد ، هذا بعد ما ضحى جده محمد بمهجته في إعلاء مناره وبناء كيانه ، ولكن أين المهتدون ، وإن اتضحت الطرق ونهجت المسالك ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، فصبر جميل أبا عبد الله والله المستعان على ما يصفون ، يا ابن رسول الله ،

يا ابن بنت النبي ضيعت العهد أناس والحافظون قليل

(الرابع) لا شك أن الأمر الشخصي الخاص الصادر عن موضوعه الخاص الحقيقي أبلغ وأتم في كثير من الوجوه والاعتبارات من الأمر الكلي العام الصادر عن موضوعه الكلي ، ولهذا يقدم عليه ويخصصه ، بل الكلي العام كلما قلت أفراده ، وإن بقي إضافيًا ولكنه قرب من الخاص كان أبلغ وأتم ، وانظر إلى أمير المؤمنين لما اعترف الخوارج كلهم بقتل عامله عبد الله بن خباب بن الأرث ، وكانوا كتلة[1] واحدة أمرهم أن ينقسموا كتيبتين ، فاعترفت كل كتيبة بقتله ، ثم قسم كل واحدة منهما اثنتين فاعترفتا بقتله ، وما زال يقسمهم كتائب ، فيعترفون بقتله ، حتى لم تبق شبهة في العرف في عدم اندكاك صوت من أصواتهم ضمن أصوات أصحابه ، فعندها قال (لو اعترف

(١) الكتلة : من الطين ونحوه القطعة المتجمعة المتلبدة وتستعمل في الناس مجازًا

اهل الارض كلهم بقتل عبد الله - أي على هذه الشاكلة من التخصيص لقتلتهم به عن آخرهم) وكان غرضه من هذا التقرير بعد تقسيمهم أن لا يعتذر منهم واحد بأن لا صوت لي في هذا الاعتراف ، وقد اندك إنكاري لسكوتي أو القول ضمن اصوات أصحابي ، فاشتبه الأمر حتى أدى الحال في وقوفي معهم إلى قتلي بغير حجة واضحة ولا سلطان مبين ، وكذلك الأمر في تقرير الشهود في الدعاوى بعد تفريقهم وتأكيد البيعة على المبايعين واحداً بعد واحد ، الى الكثير من الأمثلة والشواهد .

(الخامس) من كان يظن يا ترى أن ينتهي الصلف وقلة الحياء بأفراد الجيش وأحاد العسكر وأشخاصه كلهم أن يريدوا وضع سلاحهم بسيدهم الحسين ، من دون تحفظ ولا استحياء ، وهو ريحانة نبيهم وثمرة قلب بضعة رسولهم ، أف لهم ولأمهم الويل والهبل ،

ما كان أوقحها صبيحة قابلت ... بالبيض جبهته تريق دماءها

هذا مهلهل أخو كليب بن ربيعة لما اراد عبداه قتله بوضع سلاحهما فيه ، قال لهما (اتضعان سلاحكما بسيدكما ، ولكني مللت الحياة وسئمت العيش ، فخذا البيضة من رأسي تبلغا قصدكما من قتلي) وعندها ملكهما الخجل من سيدهما ، ورجعا عن وضع سلاحهما فيه ، ولكنهما انتهيا الى امره في كيفية قتله ، والحسين والله أجل قدراً واعظم هيبة وأملأ للعين من مهلهل بن ربيعة واخيه كليب صاحب الحمى المضروب به المثل .

(السّادس) لقد كان المظنون بل المتيقّن بهؤلاء الذين حظوا حظوة خاصّة بلقاء سيد شباب أهل الجنة وتشرّفوا برؤية وجهه المبارك الميمون الذي يذكرهم برؤية وجه الرسول أن يتملّك لقاؤه مشاعرهم وتستولي رؤية وجهه على قلوبهم وأفئدتهم ، فتميل بها الى الحق والهدى وتخرجهم من الظلمات الى النور ، لا سيّما اذا انضمّ الى ذلك ما تحلّى به من ثياب رسول الله وسلاحه ومركبه ، فتجلّى بوجه رسول الله ، وتحلّى بحليه رسول الله ، وما شفعه به من نصوص أثرية فيه ، عن حامل رسالة السماء ، واستشهد على مدعاه أهل الصدق والحفاظ من المعمّرين ، فانّه لا تزال الحياة تحتفظ بالكثير ممّن سمعوا ذلك منه ، وحفظوه عنه ولقد اتفق ذلك للكثير من الناس معه ومع سلفه الكريم الصالح ، وان زعمت أمّ المؤمنين عائشة أنّ سحر علي بن أبي طالب عظيم ، وانّ أولاده يحذون حذوه ، حيث انتجبت من عسكرها رجلاً شديد العداوة لعلي بن ابي طالب ، لتبعث معه برسالتها اليه وأوصته أن لا يغلبه بسحره ، ولكنّه سرعان ما بهرته أبّهة الحق وجذبه مغناطيس الرشد ، فعاد محبّاً حميماً بعد أن كان عدوّاً صميماً

انّما هذه القلوب حديد وجميل الآراء مغناطيس

فقالت ما بعثنا الى ابن ابي طالب احداً الا سحره ، وهكذا الشامي الذي شتم الحسن أوّل الأمر واجترأ على قدس أبيه ، ثمّ قال له في آخر أمره (لقد خرجت من الشام ، وما على وجه الارض أبغض اليّ منك ،

وما أنا ارجع الى بلادي ، وما على وجه الارض احب الي منك)
وكيف يستبعد ذلك على اهل البيت وهم ورثة محمد الذي اتفق له ذلك كثيرا ، أليس يقول واصفه من رآه بديهة هابه ، ومن خاطبه احبه ، يشير الى جمال خلقه وجميل خلقه ، وهو وربك افضل عند الله من موسى الذي يقول له الله (وألقيت عليك محبة مني) وبطل رواياتنا الحسين منه ع كما يقول (حسين مني وانا من حسين) وهذه امه تقول في ترقيصه ، وقلبها مفعم بالسرور وطافح بالبشر ، اذ تتوسم من مشابهة شمائله لشمائل ابيها انه سيعيد دور ابيها المجيد وعصره عصر النور الذهبي ، فتقول له

انت شبيه بأبي لست شبيها بعلي

فمن جذبه لقاؤه الخاص الى الذهن ، وملكته اخلاقه وهيبته حتى أدت به الى الرشد رسول ابن سعد الخزيمي الذي ارسله ابن سعد اليه ، وقال له امض الى الحسين ، وقل له ما الذي جاء بك الينا ، واقدمك علينا ، فأقبل حتى وقف بازاء الحسين فناداه ، فقال الحسين أتعرفون هذا الرجل ، فقالوا هذا رجل فيه الخير الا انه شهد هذا الموضع ، فقال سلوه ما يريد ، فقال أريد الدخول على الحسين ، فقال له زهير الق سلاحك وادخل ، فقال حبا وكرامة ، ثم القى سلاحه ودخل عليه ، فقبل يديه ورجليه ، فقال يا مولاي ما الذي جاء بك الينا ، واقدمك علينا ، فقال ع كتبكم ، فقال الذين كاتبوك هم اليوم من خواص ابن زياد

فقال ارجع الى صاحبك وأخبره بذلك ، فقال يا مولاي من الذي يختار النار على الجنة ، فوالله ما أفارقك حتى ألقى حمامي بين يديك فقال له الحسين واصلك الله كما واصلتنا بنفسك ، ثم اقام عنده حتى قتل بين يديه ، فإن الله لما اراد هدايته ساق له التوفيق بأن يحظى هذه الحظوة الخاصة بلقاء سيد الشهداء ، واذا اراد الله شيئا يسر اسبابه ، ولولم يوفق للقائه لم يستضيء بنور الرشد الهدى الا ما شاء الله .

(السابع) إننا والله نعجب كثيرا كيف لم يستول الخوف على اولئك الذين ينتدبون لمبارزته بآحادهم ، وهم يرون الجيش بكامله قد عجز عن مقاومته ، فضلا عن شركائهم في المبارزة الذين تقدموهم فقتلوا بين ايديهم ، وبلهم البس لهم بصائر ولا ابصار .

هم اجتمعوا ناعيا هم فأنى تقوم له مبارزة الرجال

الم تر أن الشجعان تقهقر عن مصرعه كلما أقدمت على ذبحه وهو صريع لا حراك به ، ولكنه ما فتح عينه في وجه احدهم الا ارتعدت فرائصه ورمى السيف من يده جبنا وخورا ، وولى هاربا يعتذر لمن لقيه انه قد فتح عينيه في وجهي ، فأشبهتا عيني جده رسول الله صلى الله عليه وآله

فما أجلت الحرب عن مثله صريعا يجبن شجعانها

صريعا متى عاينته الكماة يختطف الرعب ألوانها

وهو فتى تغنيه عن سيفه كرات عينيه اذا ما دنا

(الثامن) نُقل عن زين العابدين أنّه كان يرى آباءه أرواح العالم فداه يكفّ بأسه في الحرب عن الكثير ممن يعترض له في القتال ويقصد غيره فيقتله، فيعجب من ذلك إذ الحكيم من يضع الأشياء في مواضعها، ولمّا رجعت له الإمامة وعصّبه الله بتاج الخلافة، وتحمّل عهد الله علم السر في ذلك، وانّ الذين كفّ أبوه بأسه عنهم كان في أصلابهم ولو إلى يوم القيامة ودائع سيرعف بهم الزمان فيتحلون مودتهم ويحشرون معهم، بخلاف الذين يقصدهم بسيفه فيقتلهم، نعم (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) نقول فالمبارز للحسين إن رأى في صلبه وديعة هداه وكفى ضربته التي جاء مستسلماً لها ومنّ عليه بحياة جديدة، وإن لم يأت التاريخ لواحد من مبارزيه من هذا القبيل، بل كان ذلك في الحملة الكلية ويوم رتل سيفه في رقاب الجيش وجمهرة العسكر (يوم نبطش البطشة الكبرى إنّا منتقمون) وإن لم يكن المبارز في صلبه أحد من المؤمنين لم يتكلف الحسين طلبه، بل يكون هو الذي طلب القتل بسيف الحسين، وغيره في ذلك لوقت كالمسالم الطالب للحياد، وقد مهد الله لجده قبله قاعدة الجنوح للسلم مهما جنح لها العدو، ولو كان الظفر له على عدوه فأوحى إليه (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)

(التاسع) انّ المبارزة تدعو إلى طول العمر في الحياة، وطول العمر في طاعة الله من أمثال الحسين محبوب، إذ فيه ترتفع الدرجات

وتتضاعف الحسنات ، لأنه إذا مات ابن آدم انقطع عمله ، والدنيا مزرعة الآخرة ، وكلما كثر الزرع الطيب زاد ابتهاج صاحبه وتضاعف سرور مجتنيه ، ولقد مات أحد المسلمين في عهد حامل الرسالة الخالدة المقدسة ، فقاسوه في الثواب برجل مات من المسلمين قبله بسنين ، فلم يرتض النبي هذا القياس منهم ، بل قال لهم فأين عبادة هذه السنين التي تأخرها عن صاحبه ، وإذا ثبت أن الجن والإنس والملائكة لم يحصوا ثواب نفس من نفاس أبيه ليلة مبيته على فراش رسول الله ، فكيف يحصى ثواب الحسين في أنفاسه التي مددها المبارزة ، وهو يجاهد في سبيل الله ويقي بنفسه دين رسول الله .

(العاشر) لعل الحسين اراد بهذه المماهلة أن يثوب القوم للرشد ويسلكوا معه سنن الهدى ، كلما طال دعاؤه لهم ، فأن النفوس لسامية لا تنقطع حبال أملها التي تربطها بنجاح دعوتها إلى آخر حدود الأمكان ، وهو ابن من قال لملائكة العذاب ، وقد ارادوا تعجيل الأنتقام والثار من قومه الذين كذبوه وارادوا قتله (دعوني وقومي فإنهم لا يعلمون) فشكر الله سعيه وحقق له أمله ، وإذا باولئك الأعداء الألداء الذين كانوا يحرصون على قتله أشد الحرص يفدون أنفسهم دون جسده ودماءهم ومهجهم دون دينه الحق ومبدئه المقدس ، كما أن الحسين أرواحنا فداه أراد طول الأملاء والأستدراج لمن أصم الله سمعه وختم على قلبه ، فلم يفلح ولم يصغ لنداء الهدى والرشاد ،

كما قال تعالى (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) (الحادي عشر) لعلّه بهذه المماطلة كان ينتظر المددَ الموعودَ به من أطراف المملكة الإسلامية ، ليفوزوا بنصرته ، وليحظوا الحظوة السعيدة بالالتفاف تحت رايته ، كابن مسعود النهشلي وجيشه الكثيف البصري وكل من ستبلغه دعوته التي بعث بها رسله في طريقه إلى الكوفة ، ومن يدرينا أنه بلغه الكثير منهم في ظرف هذه المماطلة والتأني ، كسعيد البصري التميمي - إن صحت روايته - وكأن ابن زياد وقائده ابن سعد قد أدركا غرضه من طلب المماطلة والتأني بكل وجه ، فنافضاه من كل وجه ، حتى استحث ابن زياد قائده على مناجزته الحرب ، إذ العجلة فرصة العجزة ، وأراد ابن سعد تنفيذ أمره عصراً ليوم التاسع ، ولما طلب الحسين على يد أخيه العباس أن يؤجلوهم تلك العشية ، ليصلوا لربهم تلك الليلة لم يجب ابن سعد لعنه الله إلا بعد جهد جهيد ، وبعد أن توجه له رؤساء عسكره ، وعلى رأسهم شبث بن ربعي ، فأجاب راغماً ، ولكنه زاد على أمره في الطين بلة ولم يخش سُبة الدهر وعار الأبد ، فغدر وفجر ونقض عهده في إعطائه للحسين ع حق البراز الواجب عليه إعطاؤه حتى عند الجاهلية وهمجيتها ، فأمر الجيش بأسره أن ينقسموا قسمين ، ليفترق عليه ثلاثون ألفاً ، فرقة بالسهام ، وفرقة بالسيوف ، وفرقة بالرماح وفرقة بالحجارة ، وأردفهم بالقسم الثاني ، وهو الكثرة الهائلة

فأحاطوا به من كل جانب .

فكان اذا اصابته سهام ... تكسرت النصال على النصال

دأبه الذب الى ان شب في ... القلب الأوام وحكى جثمانه القنفذ من رشق السهام

وتوالي الطعن والضرب على ... الليث الهمام وعراه من نزيف الدم ضعف الساعدين

حتى أغمي عليه - واستبداه - من كثرة نزف الدماء ، فأرادوا الحتوف

ان يختبره أحيٌّ هو أم ميت ، فأخذ حجراً من الأرض ، فلاح له ضياء

جبهته كالمصباح في ظلمة النقع وليل القتام . لأنها موضع شفاه

الرسول اذا قبله ، فصكه فيها - شلت يمينه ولحقتها شماله - أرأيت

زجاجة المصباح اذا صكها الحجر الصليب فانتبه - بأبي هو وأمي -

من شدة الضربة ، واذا بالدم يلفي حجاباً كثيفاً أحمر بينه وبين

حرمه ، فرفع ثوبه ليمسح الدم عن جبهته ويحيط حرمه بعين

رعايته ، وعندها سطع لسنان بن انس النخعي بياض الموضع الثاني

لتقبيل الرسول من صدر الحسين ، فمكن في كبد قوسه المشومة

سهماً اصاب قلب الرسول وخرق فؤاد الوصي المرتضى والزهراء البتول ،

وكان محدداً مسموماً ذا ثلاث شعب .

فانبرت نبلة فشلت يدا رجس ... رماها وكف علج براها

فهوى الأخشب الأشم ، فماجت ... نقطة الكون أرضها وسماها

ومكن في حشاه السهم رجس

كأن به رمى قلب الوجود

واخذ بنو امية يبادرون من جسد الحسين ع المواضع الخاصة لتقبيل الرسول (صلى الله عليه وآله)، فمكن شمر سيفه في منحر الحسين بعد ان تربع على صدره المعظم (وما هو صدر بل خزانة توحيد) وقرع يزيد بمخصرته ثغر الحسين الذي طالما كان يترشفه الرسول ويمص لعابه بفمه، وجاء مروان يرنح اعطافه ويشمت به، اذ لم يقبل مشورته في اول بيعة يزيد، فيقول فض الله فاه - وهو يقلب رأس الحسين (عليه السلام) بيديه - الا شلت يداه -

يا حبذا بردك في اليدين ولونك الاحمر في الخدين

كأنما حفت بوردتين

شفيت صدري من دم الحسين

☼ ☼
☼

(لماذا يأمر السيوف أن تأخذه)

إن كان دين محمد لم يستقم   إلا بقتلي يا سيوف خذيني

هذا البيت ينشده الكثير من الناس عن لسان الحسين، ظناً منهم أنه قد أنشأه يوم عاشوراء، وقد حفظه من كثرة ترداد إنشاده حتى النساء في مقاصيرها، والأطفال في ملاعبها، فأتلع[1] المعترض رقبته صارخاً كيف جاز للحسين أن يأمر السيوف، ويراد بها مطلق السلاح - والسيوف من باب التمثيل - أن تأخذه فيلقي بيده إلى التهلكة مع أن الواجب على المسلم الدفع عن نفسه ما أمكن الدفع عنها، وأن لا يحبب لها طرفة عين تلفاً، وإلا كان جانياً عليها وقاتلاً لها، وقاتل نفسه من أهل النار، إذ السبب أقوى من المباشر.

قلنا سمعنا في علم البيان سبك المجاز في المجاز، وسمعنا في هذا الاعتراض سبك الغلط في الغلط، فإن هذا البيت لم تأت رواية ولو ضعيفة أنه من إنشاء الحسين، بل ولا من إنشاده، و أنه لغيره فاستشهد به وإنما قاله عن لسانه الشاعر الشهير الشيخ محسن أبو الحب الحائري المتوفى سنة ١٣٠٥ في ضمن قصيدة له يرثي بها الحسين، وما أكثر القصائد التي اشتهر منها البيت الواحد والبيتان فقط.

وقد يفضل البيت البليغ قصيدة
مطولة الألفاظ من غير طائل

(١) أتلع رقبته: مد عنقه متطاولاً، والمقصود منه الاهتمام بالأمر

وبعدَ شهرتِهِ الطائلةِ اشتبهَ الرأيُ العامُّ فنسبهُ الى الحسينِ ،
فما ذنبُ الحسينِ يا معشرَ المسلمين ، فأنصفوهُ إن كنتُم لأنفسِكم
منصفينَ ، هذا مع انَّ الشاعرَ اذا انشأهُ عن لسانِ حالِ الحسينِ ، لَمْ
يُردِ الحقيقةَ كما يتراءى من حاقِّ الألفاظِ حسبَ وضعِها الأفراديّ اوِ
التركيبيِّ ، بل ارادَ بقولهِ (يا سيوفُ خذيني) الكنايةَ عن توطينِ
الحسينِ نفسَهُ انْ تسيلَ على ظُبى السيوفِ واطرافِ الرماحِ في وطيسِ المعركةِ
حمايةً لدينِ جدِّهِ المصطفى وذياداً عن حوضِهِ الأقدسِ انْ تهدمَهُ ايدي
الأستبدادِ اليزيديِّ والظلمِ الأمويِّ ، ولسانُ حالِهِ يُنشدُ قولَ جدِّهِ
الأعلى عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ عليهِ السلامُ .

لنا نفوسٌ لنيلِ المجدِ عاشقةٌ ولو تسلّتْ اسلْناها على الأسلِ

وهذا المعنى الكنائيّ الذي ذكرناهُ مساوقٌ لقولِ السيدِ جعفرِ الحليّ
في يزيد لعـ

قد اصبحَ الدينُ منهُ يشتكي سقماً وما الى احدٍ غيرِ الحسينِ شكا
فما رأى السبطُ للدينِ الحنيفِ شفاً الّا اذا دمهُ في كربلا سفكا
نفسي الفداءُ لفادٍ شرعَ والدِهِ بنفسِهِ وباهليهِ وما ملكا

وقد نظمتُ هذا المعنى بعد انْ كسوتُهُ حلةَ الأستعارةِ فقلتُ في الحسينِ ،

ضحّى بمهجتِهِ ليسقيَ دوحةً للدينِ هدّدها العدوُّ وكادها
وسخا بها زيتاً ليوقدَ شعلةً
للرشدِ قد دامَ العدى اخمادها

وإن أبيتَ إلا أن تجعل قوله (يا سيوفُ خذ بني) جاريًا على الحقيقة فليكن من خيالِ الشاعرِ، وللشعراء خيالٌ واسعُ الأفقِ ممتدُّ الأطرافِ والنواحي، لا تؤخذ عليهم الدقةُ فيه، ولا يحاسبون عليه حسابًا عسيرًا، ولا يُنشرُ لهم في دنياهم كتابٌ يقولون فيه (ما لهذا الكتابِ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها) ألم تسمع ما قيل فيهم (الشعراءُ أمراءُ الكلامِ يسوغُ لهم ما لا يسوغُ لغيرهم) وكلما كان خيالُ الشاعرِ واسعًا بحيثُ يجعلُ الأشياءَ الموهومةَ حقائقَ راهنةً، بل أشباحًا ماثلةً للعيانِ كان أوقعَ في النفوسِ وأشدَّ قبولًا في الأذواقِ، وانظر إلى عنترةَ الشاعرِ الفحلِ كيف يقولُ لمحبوبتهِ عبلةَ بنتِ عمّهِ مالكٍ في معلقتهِ الشهيرةِ

وَلقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ ... منّي، وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي

وَوَددتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها ... لمعت كبارقِ ثغركِ المتبسمِ

وفي ظني أن خيرًا منهُ قولي في خطابِ بطلِ نهضتِنا وبطلِ الإسلامِ والعربِ، شهيدِ الحقِ والدينِ، وصريعِ الإباءِ والعظمةِ

رضيتَ بأن تشابهكَ المواضي ... وليس يكونُ بينكما حجابُ

هي الأقلامُ للإسلامِ خطّت ... قوانينًا وأنت لها كتابُ

ومن هنا أعدتُ الكرةَ في هذا المعنى لما أعجبني، فقلتُ من قصيدةٍ أُخرى

صبرتَ على تلكَ الخطوبِ لأنها ... على مجدِكَ السامي الأثيلِ شواهدُ

ترى البيضَ أقلامًا وجسمكَ مصحفٌ ... تحرّرُ للإسلامِ فيهِ القواعدُ

ولعلك تقول هذا الكلام كله خيال في خيال ، ولسنا الآن بصدد الشعر والشعراء ولا في بيان المذهب الكلامي الذي يبحث عنه في علم البديع لننظر من كان المجلي في هذه الحلبة و من يأتي يكون المصلي ، بل كأن هذا الشاعر إن ثبت أن هذا البيت له يضرب على وتر وينظم رواية جاءت في هذا المعنى ، ليس لها في التاريخ الصحيح عين ولا أثر من أن السيوف والرماح كانت تمر على الحسين ، فتسلم عليه ولا تعمل في جسده شيئاً ، حتى أمرها بأن تعمل في جسده وتأخذ منه مأخذها ، فأخذته من كل جانب ومكان ، قلنا إن كانت هذه الرواية مكذوبة على الحسين فما ذنب الحسين ، وقد كذب الناس على جد الحسين بل رب الحسين ، فقال أبو الحسين .

قد قيل إن الإله ذو ولد وقيل إن الرسول قد كهنا
لم يسلم الله والرسول معاً من افتراء الورى فكيف أنا

وإن كانت صادقة فإنها تحقق لنا بوضوح أن في هذه النهضة أسراراً لا تحيط نفوسنا بكنهها ، وإن بلغت رتبة العقول ، لأنها فوق المحسوس والمعقول ، وقد اقترنت بقرينة تجعلنا نؤمن بذلك كل الإيمان أن قد سلمت السيوف والرماح والسهام على الحسين ، ولم تعمل في جسده إلا بعد إذنه لها ، مراغماً لأنف الطبيعة وخرقاً لناموس العادة ، وإذا خرق حكم الطبيعة وناموس العادة ،

لأنه فوق مستوى البشر — وهو خلاف فرض البحث — فلم لا يكون له حكم خاص فيه بأن يحتم عليه واجبه الديني الأذن للسيوف بأن تعمل في جسده ، بعد أن كانت تسلم عليه (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) ونقول في مقام الاثبات انه لا بأس علينا أن نعتبر الرواية صادقة إذ كانت مروية ولا مانع من قبولها ، لأننا نروي الكثير من نظائرها وأمثالها كرواية تسليم الحجارة على النبي المصطفى والوصي المرتضى إذا رماها بها عتاة قريش وغيرهم واقتضت حكمة الظروف ذلك وضربه أبو جهل بن هشام يوما آخر بحجر ، وهو ساجد لوجه الله فلصق الحجر بيده ، وكان عبرة للناظرين ، فقال أبو طالب في ذلك من قصيدة يمدح بها ابن أخيه

أفيقوا بني عمنا وانتهوا ... عن الغي من بعض ذا المنطق

الى أن قال

وأعجب من ذاك في أمركم ... عجائب في الحجر الملصق

بكف الذي قام من خبثه ... الى الصابر الصادق المتقي

فأثبته الله في كفه ... على رغمة الخائن الأحمق

وضربه يوما آخر ، وهو على الصفا يبشر بدين الله ، ويضرب لهم الأمثال فأدمى جبهته الشريفة وتبعه غيره من طواغيت قريش رضخا بالحجارة فطار خبر قتله الى وزيريه علي أمير المؤمنين وخديجة أم المؤمنين ، وهكذا لما خرج من الطائف ، ولم تنجح دعوته فيها وشوا به أحداثهم وصبيانهم فوقفوا في طريقه سماطين ، وكلما دفع رجله أو وضعها ضربه أحدهم

بالحجر ، حتى خرج من الطائف وساقاه تشخبان دمًا ، ولله في صفوته حكمة بالغة وتدبير هو اعلم بمصلحته .

فطورًا تراهم ظافرين وتارة بهم من عداهم ينشب الناب والظفر

وتشفع رواية تسليم الحجارة رواية تسليم النخل الصيحاني عليهما ، كلما تشرفت برؤيتهما ، ومن هنا اختص هذا النوع من النخيل بهذا الأسم الى يوم الناس هذا ، وعليك بخطبة امير المؤمنين المعروفة بالقاصعة المروية في كتاب نهج بلاغته في تسليم الشجرة بلسان الحال واعترافها للنبي بالرسالة وللوصي بالولاية ، حين قلعها واتيانها تخد الأرض خدًا ، ووضعها غصنها الأعلى على رأس النبي الكريم ، وبعض اغصانها على منكب وصيه النبأ العظيم ، وانشقاقها كأمره والتئامها ورجوعها الى موضعها كلما اقترح عليه ذلك قريش ، الى كثير من روايات تسبيح الحصى ، وانطاق الجمادات ، وخطاب الوحوش في الفلا وكلام العجماوات ، ودونك الكتب المعدة لذكر الفضائل والمعجزات الخارقة للعادة مما لا تحصى كثرة ولا يأتي عليها قلم البيان ، والقرآن فوق الكل ينادي بانشقاق القمر لحبيبه المصطفى ، وانفجار العيون من الحجر حيث ضربه بالعصا كليمه موسى واحياء الموتى على اثر دعاء روحه عيسى (ولا يشفعون لأحد الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

ونعود الى الحسين في توطين نفسه على الذبح قربانًا لدين الحق ومبدئه المقدس فنقول ما كان بدعًا من سلفه الكريم ، فقد قرب جده

إسماعيل الذبيح نفسه لربه وأسلمها للذبح وفاءً لنذر أبيه خليل الرحمن، فتقبل الله قربانه وفداه بذبح عظيم، وكذلك عبد الله أبو رسول الله حيث نذر أبوه عبد المطلب إن رزقه الله عشرة بنين ليذبحن أحدهم قربانا لوجهه الكريم، فلما أجال القداح (١) وخرج سهم عبد الله على الذبح لم يتلكأ (٢) الولد الشاب، ولم تأخذ الشيخ الوالد به رأفة ولا رحمة دون تنفيذ أمر الله وإرادته فيه، حتى فداه الله من الذبح كما فدى جده إسماعيل من قبل إكراما لنور نبيه المصطفى، حيث خلل صلبهما وتألق ضياؤه في أسارير جبهتهما، ليفخر الرسول بذلك وله الفخر والشرف فيقول (أنا ابن الذبيحين).

وجاء المرتضى فأعاد تاريخهما المجيد كأحسن ما يتصوره العقل وأتم ما يقتضيه له المجد فقد أسلم أبواه نفسهما للذبح بمدية واحدة بكف أبويهما ولا شك أنهما أرأف الناس بهما، وأما أمير المؤمنين فقد أسلم نفسه للذبح في مبيته على فراش الرسول إذ بات يقيه شر الأعداء الفئة المنتخبة من جميع قبائل قريش، فأنزل الله فيه قرآنا يتلى إلى يوم القيامة شكرا لسعيه وتنويها بفضله وعظمته (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) أجل لقد رأف الله الرؤوف الرحيم بهذا العبد الكريم المنقاد لأمره، إذ جعله أداة لمكره بأعدائه فألقى عليه شبه حبيبه المصطفى، وقد مكروا به ليضربوه بسيوفهم ضربة واحدة فيضيع دمه في القبائل كلها (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) ونصره الله بوليه (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) ثم رفع

(١) القداح: جمع قدح: سهم الميسر (٢) تلكأ عن الأمر: أبطأ وتوقف

شبه المصطفى عنه ، وقد أذن الأجل المضروب لهجومهم عليه في الدار و ضربهم له بسيوفهم المحدودة الشفار ، وقد كتب الله له بكل نفس من أنفاسه في ليلته تلك ما يعجز الأنس والجن بل والملائكة عن إحصاء ثوابه ، فأرغم الله أنافهم ومدّ له في أجله أربعين سنة لكل سيف سنة ليضاعف له الثواب بعدد أنفاس تلك السنين فقد أنفق أنفاسها في سبيل الله على لشاكلة التي أنفقها ليلة مبيته على فراش رسول الله ، فقد ظل دائبًا في الجهاد بين يدي رسول الله ، ورفع قواعد الدين بجهاده وصبره وعبادته وزهده وبث علومه التي ورثها من مدينة العلم وكان لها بابًا كما قال ﷺ (أنا مدينة العلم وعلي بابها)

إنما المصطفى مدينة علم ... وهو الباب من أتاه أتاها

ثم ختم له بالشهادة التي لا زال يتوق إليها ، وقد وطّن نفسه منذ مبيته بالفراش بل قبله عليها فقتل بسيف عدو الله ابن ملجم صائمًا لربه وسط محراب صلاته في أحب بيوته إليه .

إذن فأي عجب يكون من الحسين إذا كان الرابع من نوعه ، فقرّب أولاً قرابينه العزيزة من صفوة أنصاره وأطائب فصيلته ، فتقبل الله تلك القرابين منه قبولاً حسنًا فأكلتهم نار الوغى بعد نار الظما

نار الوغى أكلت نفوسهم التي ... قد قربوها إنما قربان

ثم لم يكفه ذلك حتى قرّب بطفله الرضيع بعد أخيه الأكبر ، والولد قطعة من الكبد بل الكبد كله ، ولم تقنع نفسه بذلك حتى أكمل قربانه بجسده الشريف

وهيكله اللطيف فقدّمه طعمةً للسيوف ومنهلاً للرماح ومنتصلاً للسهام وموطئاً للخيل ، وما كفاه ذلك دون أن قدّم سلطان الجسد المدبّر لمملكة الجسم قلبه الطاهر الزكي فأكلته - قرينةً للقبول - نار الحزن ونار فقد الأحباب والآل ، ونار الظما ونار السهم ذي لشعب لثلاث نار السم الذي نفثه به وكان كامناً فيه

إيه يا قلبه الزكي الذي ما ... زال للعطف موضعاً والسلام

كيف أصبحت في الطفوف محلاً ... للرزايا وللخطوب العظام

هذا والشمس ترسل أشعتها وحرارتها الوهاجة ونيرانها الملتهبة لتصهر هذا الشريف وتحمي النصال المتكسرة في جسده ، وتذيب الدماء المتجمدة من جراحاتها التي لا تحصى ، وتضاعف حرارة السموم لينصهر الرمل الذي تحذه وساد الخد الوضيء ومهاد الجسد الجريح فيتقلب عليه فتزداد السهام ركوزاً بيدنه الموذع والسيوف ولوجاً بجراحاته المستغرقة لجوارحه ، اتراه اكتفى من نفسه بهذا كله من خدمة مولاه - وبعض هذا لا تقاومه الجبال - بل بقي في ضراعته إلى الله وابتهاله ولسان حاله يهتف قائلاً فيرن صداه في مسمع التاريخ والأبد

تركت الخلق طراً في هواكا ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني في الحب إرباً ... لما مال الفؤاد إلى سواكا

حتى جاد بنفسه في سبيل الله وقدّمها ضحيةً لدين رسول الله (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) فلم يتلكأ ولم يبخل بصدره الذي حوى العلوم الإلهية

ان يرقاه شمر متربعا عليه ولم يضن بنحره الذي كان يترشفه رسول الله فيهبر اوداجه بسيفه وكلما قطع ودجا منها نادى واجداه وامحمداه واأباه واعلياه ، يريد هلم وانظر الي كيف ضحيت بنفسي فديت حيائي الغالية لدينكما الذي اشتركتما في رفع قواعده حتى قطع راسه ورفعه على قناة طويلة لواء لدين جده المصطفى ، والا ولو لم يفد نفسه فما تظن .

امثل حسين يركب الشمر صدره ... وما هو صدر بل خزانة توحيد
امثل حسين يقطع الشمر راسه ... ويرفعه من فوق اسمر املود

يقول الشاعر (والجود بالنفس أقصى غاية الجود) ولكن الحسين تجاوز في جوده الغاية ، ولم ينته كرمه العبقري الى نهاية ، حتى اتم نفسه كلها جود وكرم ، واكمل سيرته وكلها مجد وشمم ، بأن قدم نساء اهل السباء واطفاله لهوان الأسر بعد وحشة اليتم كما خاطبناه في بعض قصائدنا بعد قتله فقلنا

ولم تقنع بهذا الامر حتى ... قضى من فعلك العجب العجاب
وقد كملت سيرتك المعلى ... باسر ذويك تحملها الصعاب
احقا تلك زينب اليتامى ... تنص الى الشام بها الركاب
احقا تلك زينب والأيامى ... حواسر ما لاوجهها نقاب

تم الجزء الاول من كتابنا (سبأ الحسين) ويتلوه الجزء الثاني ان شاء الله على يد مؤلفه الفقير الى الله المتعطش لفيض ربه السبحاني عبد العظيم الربيعي حامدا لله رب العالمين ومصليا على نبيه محمد وآله الطاهرين المعصومين المظلومين كتبه قبل الحاج عبد الرحيم ابي الفضل النصير آبادي الرباني ٧٨ ١٣

سياسة الحسين

الجزء الثاني

كلمات ومباحث على شاكلة الجزء الأول
تتعلق - غالبا - بما وقع بعد شهادته عليه السلام

اعدها ذخيرة لعقباه

اقل عباد الله علما وعملا واكثرهم جرما وزللا المذنب الأثيم الراجي رحمة ربه الكريم

الحاج الشيخ عبد العظيم الربيعي

طبع في طهران ١٣٧٨

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
وفقه الله لكل خير

(الجزء الثاني)

من كتاب

سياسة الحسين

بقلم الربيعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم الحميد، المبدئ المعيد، ذي العرش المجيد، الفعال لما يريد، وافضل صلاته وسلامه على محمد وآله ركن دينه الشديد الذين اختارهم ليجعلهم شهابه العتيد، لرجم كل شيطان مريد، حتى احق بهم الحق وازهق بهم الباطل، وما يبدئ الباطل وما يعيد، ولعنة الله على اعدائهم الذين استفتحوا وخاب كل جبار عنيد، من الآن الى يوم الوعيد،

وبعد فان هذا هو الجزء الثاني من كتابنا (سياسة الحسين) وهو يتعلق غالبا بما بعد شهادته ارواحنا فداه، وانا اسأل الله ان يصون القلم فيه عن الخطل، ويسددني في القول والعمل، فإني إن ضللت عن القصد فمن نفسي الامارة بالسوء، وإن اهتديت فبما رحمة من الله لا مأمول للخير غيره ولا مسؤول رحمته سواه، للجاني الاثم الراجي عفو ربه الكريم، الغفور الرحيم المؤلف عبد العظيم الربيعي

اثناء نهضته الكريمة

جاء محمد صلى الله عليه وآله من لدن ربه بمعجزته الخالدة، بل معجزة المعجزات القرآن الكريم ، فدعا الناس كافة للايمان بالله وحده وخلع ما دونه من الانداد ، فانها خلق مثلهم (والله خلقكم وما تعبدون من دونه) ولكن محمداً لم يبعث لصنف خاص من الناس - هو صنف البلغاء الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه - ليكون القرآن وحده كفيلا بنجاح دعوته وافيا بأداء مهمته ، وانما بعث للناس كافة ، وهم متفاوتون في المدارك والأحاسيس أعظم من اختلاف معادن الأرض في منافعها وخواصها واثمانها فاين التراب من الذهب ، واين الذهب من الاكسير ، ولضيق خناق الألفاظ عن تأدية المعاني بكنهها جاء الحديث ، (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة) وقال الشاعر ناظما هذا المعنى

إنما الناس إن نظرت معادن فوقها في تفاضل متباين

نعم كان الناس في التصديق برسالة محمد على اصناف شتى ، فمنهم من كان ينتظر رسالته لما وعاه قبلها من اهل الكتب الأولى والإرهاصات[1] التي سبقت الدعوة المحمدية ، ومنهم من اجاب واسلم وجهه لله رب العالمين بمجرد دعوة النبي إذ رأى برهانها يماشيها جنبا الى جنب،

(١) ارهصه الله : جعله معدنا للخير ، والمراد بها هنا الاشياء التي تسبق النبوة او الامامة على الحكم المتكلمين

بل يتقدّمها تقدّم العلّة للمعلول كعلي بن ابي طالب ، امير المؤمنين
وخديجة بنت خويلد ام المؤمنين ، وهناك قسم كبير من الناس
لم يؤمنوا الّا بعد أن شاهدوا المعجزات الباهرة الخارقة للعادة ، و
هم أحسن كثيرًا ممّن لم يؤمنوا ولو جئتهم بكل آية ، ولم يذعنوا الّا لآية
السيف نعم وجلال الله .

عصت أمره لمّا دعاها الى الهدى وجاءت لأمر السيف تنقاد طيّعًا
والسيف أعظم قائد ، كم أمّة عدلت عن النهج القويم فقادها

صحيح أنّ الصنف الكبير الأكثر من الناس انصاعوا لهذه المعجزة
الكبرى (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) ولكنّا نقول إنّ
محمّدًا قد أرسل لعلي بن ابي طالب محرس لعشرة العقول ، فلم
يحتج محمّد في دعوته الى الاسلام لتلاوة آية واحدة من القرآن ، و
أرسل الى البدوي المتوحّش الذي يكاد يلحق بالبهائم والوحوش ،
فهل ترى محمّدًا يدعوه للايمان بالله وحده وخلع ما وجد عليه آباءه
واقتداء الخلف على آثار السلف من سنة البشر - بتلاوة القرآن
فيكون (كموقد الشمع في بيت لعميان) فهل آمنت أنّ القرآن هو الدعامة
الكبرى والمعجزة هي الدعامة الثانية اللتين بنى محمّد عليهما دعوته ،
وكانا سلاحيه الذين زوّدهما أمّته لتدفع بهما من أراد سوءً برسالته
أو غائلة بإنكار نبوّته ، لتطرد مع الأجيال والقرون ، حتى تبدّل
الارض غير الأرض ويقوم الناس لرب العالمين ، فما هو الوجه لانكا

صدورِ المعجزاتِ عنه ، وما هو السببُ الذي حدا بالدكتورِ (هيكل)
واخوته مِن كُتّاب المسلمين للجحدِ بفضائلِ نبيِّ المسلمين دُونَ إخوانِه
من رُسلِ اللهِ السابقين ، بدعوى أنّ الله زوّده بمعجزةِ المعجزاتِ
وأنّ كُتّابَ سيرته مِن النصارى يستخفّون بعقولِ كُتّابِ سيرةِ محمّدٍ مِن
المسلمين اذا ذكروا له إحدى المعجزاتِ ، كشجيرةٍ نبتت على فمِ الغارِ ،
وحمامةٍ احتضنت بيضَها ، وعنكبوتٍ أحكمت نسجَها ، ونحوِ ذلك
مِما تجري بهِ العادةُ في دائمِ الأوقاتِ .

يا حضرةَ الدكتورِ هيكل إنّك ما صنعت شيئًا ، فقد أغضبت
أهلَ ملّتِكَ المسلمين عليك (ولن ترضى عنكَ اليهودُ ولا النصارى
حتّى تتبعَ ملّتهم) وحتّى تقولَ إنّ عيسى ابنُ اللهِ أو هو واحدٌ ثلاثة ، أو
الإلهُ مُركّبٌ من ثلاثةِ أقانيم ، والقرآن يقولُ (لا تقولوا ثلاثةٌ انتهوا
إنّما هو إلهٌ واحدٌ)

ءإلهٌ مُركّبٌ ، ما سمِعنا بإلهٍ لذاتِه أجزاءُ

وحتّى تهذي بما لا تفهم ، وتوطنَ بما لا تتصوّرُ ولا تعلم ، فتقولَ الواحدُ
ثلاثةٌ أو اثنانِ والثلاثةُ أو الاثنان واحدٌ ، والغلطُ في هذا الحسابِ تعرفه
حتّى البهائمُ فضلًا عن جُهّالِ الناسِ فكيف اجتهدت أن ترضيَ مَن هذهِ
عقيدتُه ، وكيف آمنت بقولِ مَن هذهِ نزعتُهُ ، وتركت معجزةَ المعجزاتِ
الذي يُصرّحُ بما لمحمّدٍ وسلفِهِ مِن رُسلِ ربّهِ مِنَ المعجزاتِ (اقتربتِ
الساعةُ وانشقّ القمرُ وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمرٌّ)

أَمْ كيفَ ضربتَ عُرْضَ الحائطِ بالأحاديثِ الكثيرةِ في فضائلِ محمدٍ، وقد رواها الأثباتُ عندك ، واعتمدتَ على رواياتِهم في كلِّ شيٍ ماعدا إثباتَ المعجزةِ لمحمدٍ (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)

وأكبرُ الظنِّ أنّ هؤلاءِ الكُتّابَ من النصارى فكّروا في أن يدسّوا لنا السمَّ بالعسلِ ، فتظاهروا بإكبارِ سيرةِ محمدٍ وسبرِ أغوارِها ، وكشفوا من أسرارِها العظيمةِ أثناءَ تمحيصِهم لها ما دعا المسلمين للإقبالِ عليهم ، وقبولِ هذا التمحيصِ الدقيقِ منهم ، لأنّ الحقَّ ضالّةُ المؤمنِ أينما وجدَه تبعَه وفكّروا أنّ لإتباعِ محمدٍ - كما ذكرنا - دِعامتين في الاحتجاجِ على حدوثِ رسالتِه واطِّرادِها القرآنَ والمعجزةَ ، فبدؤوا بالدِّعامةِ الصُّغرى ليهدموها بين يدي المسلمين ، بل وضعوا معاولَ المسلمين لهدمِها مع معاولِهم ، فإذا نجحوا واستراحوا من هذه فكّروا في هدمِ الدِّعامةِ الكبرى ، بل هي تنهدمُ بذاتِها وبضعفِ جانبِها مع أختِها ، فإنهما كرجلَي نعامةٍ ، أو كما يقولُ العربُ في أمثالِهم عن لسانِ الثورِ الأحمرِ - حيث أرادَ الأسدُ أكلَه بعدَ أكلِ قرينِه الأبيضِ بإذنِه - أُكِلتُ من يومِ أُكِلَ الثورُ الأبيضُ) فليتنبّهْ لذلك المسلمون ولا يكونوا كالباحثِ عن حتفِه بظلفِه، واللهُ يهدي من يشاءُ إلى سواءِ السبيلِ .

أمّا الشيعةُ فيقومُ احتجاجُهم على خلافةِ عليٍّ وبنيهِ بعدَ النبيِّ

على ما تأتي القاعدتين ايضا (الأولى) النص من النبي عن الله تعالى او وصية الامام السابق على اللاحق تاكيداً للوصية العامة عن النبي في قوله (الائمة من قريش وهم اثنا عشر خليفة) بل الخاصة كما صرحت عنه بعض الاخبار بعددهم وتسميتهم ، واحداً بعد واحد الى امام عصرنا الغائب المنتظر وذكر غيبته وقيامه ولو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم (الثانية) المعجزة وقد يختص اسم المعجزة بخرق العادة للنبي والكرامة للولي ومنها خوارق العادة للائمة ، وعلى كل فان الله خرق العادة معجزة لانبيائه وكرامة لاوليائه ، وقد نقلت لنا عن طريق التواتر ، وهو من اصول البرهانيات فضلا عن الاخبار التي قام الدليل على اعتبارها وسطع البرهان على قبولها

وقد جرى للحسين في غضون نهضته من خوارق العادة الشيء الكثير الذي لا يحيط به قلم الاحصاء ، بل جرى له قبل ذلك ، فانه كان اماما قبل ان يخلق وقرأ الوحي قبل ان ينطق ، وكان يسبح الله ويمجده في بطن امه ، وتكلم كعيسى في المهد صبيا ، ومسح دردائيل وفطرس بمهد انفسهما فرد الله عليهما اجنحتهما ، وعادا الى مكانهما من صفوف الملائكة وعرفا بعتيقي الحسين وافتخرا بذلك ، وكم دعا الله جل جلاله فلم يرد له دعاء ، كما دعا على جبيرة الكلبي فجره الله الى النار التي اوقدت في الخندق المحيط بمخيمه ، وهدى الله بذلك مروان بن وائل ، فرجع عن قتالهم ولم يسمع واعيتهم ، واخبر عن الامور المغيبة ومنها ::

شهادته فكانت كما قال ، واستنبط الماءَ من الارض بغرس اصابعه فيها ، فتفجرت عيوناً من بين اصابعه ومن ابهامه وراحة كفه ، واری اصحابه منازلهم من الجنة وهم في قيد الحياة ، ورای ابن سعد شدة بأسه في القتال ورباطة جاشه في الجهاد ، وقد عاً فريدًا لا ظهير له من انصاره وفصيلته ، واحاطت بقلبه الخطوب والمصائب احاطة الجنود به من كل جانب ، وكانوا يشدون عليه وهم كالجراد المنتشر ، فيشد عليها فينكشفون من بين يديه انكشاف المعزى من الذئب

فلم ترعين له في اللقاء نظيرًا ولا اذن سامعه

لذلك وهم — ويحق له ذلك — فناداه ياحسين اتقاتلنا بالقوة اللاهوتية — ويريد بها المعجزة — فاجابه لا بل بالقوة البشرية ، ثم اراه المعجزة حيث مد سيفه فاحاط برقاب القوم كلهم بحيث لو جذبه اليه لم تبق منهم رأس على جسد ، ثم انتزعه من رقابهم ، وعاد يقاتلهم بالقوة البشرية .

ولعل المعترض يقول اذا كان للحسين هذه المعجزات كلها ، وهذه القدرة الكافية فما باله يستنجد الناس لنصرته على اعدائه ، وما باله يلاقي من اعدائه اعظم المصائب ، ويتكبد في نهضته انواع الشدائد ، فنجيبه بما اجاب حاطب بن ابي بلتعة المرسل من قبل رسول الله ﷺ الى المقوقس عظيم القبط في مصر والاسكندرية ،

حيث قال له (ما منعه إن كان نبيًا ان يدعو على من خالفه ان يسلط عليهم) فقال له حاطب ألست تشهد ان عيسى بن مريم ؑ رسول الله ، فما له حيث اخذه قومه فأرادوا ان يقتلوه ان لا يكون دعا عليهم ، قال (احسنت ، انت حكيم جاء من عند حكيم) ولو انصف نفسه لقال له انت حكيم ، جاء من عند رسول كريم ، على ربه العزيز الحكيم الرؤف الرحيم ، وشملت عيال الحسين من لدنه نفحة قدسية ، فظهرت لهم الكرامات الباهرة اثناء سيرهم الى الكوفة والشام لاسيما شقيقة مجده زينب الكبرى ، وانتهى اريج تلك النفحة وعبير ذلك العبق الفياح الشذي الى جاريتهم فضة التي صامت مع اهل البيت ثلاثة ايام بلياليها ، ولم يفطروا الا على الماء القراح (يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا ، ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا واسيرًا) فقد دعت الله على العسكر لما كشفت عن وجه عبد الله الرضيع في الخيمة ظنًا منها ان القوم قد سقوه الماء على يد ابيه فرقد ونام ، واذا به مذبوحًا من الوريد الى الوريد بسهم لا يزال مشكوكًا في نحره فنفد صبرها وجاش بالغيظ صدرها ودعت الله عليهم عن قلب محترق وفؤاد مكلوم فتدلى عليهم العذاب من العدل الحكيم ، واراد ان يمس القوم الظالمين فتلقاه رحمة الله الواسعة وردته ردًا جميلًا ، واندحرت معجزة فضة بغلظتها وفظاظتها امام معجزة الحسين برحمته ، لان تلك

المعجزة فرعٌ وهذه الاصل ، والاصلُ أقوى من فروعِه ، وخاطبت الاسدَ وامرتهُ بحراسةِ جسدِ سيدِها الحسين ، ففعل اقتداءً بالاسدِ الذي ركبه سفينةُ من شُقّةٍ بعيدةٍ ، فنجا عليه ، لانّه خادمُ رسولِ الله ، وذلك حين جاء ابنَ سعدٍ أمرُ ابنِ زيادٍ أن يُعاودوا جسدَ الحسينِ بسحقه في سنابكِ الخيولِ ، حتى يذوبَ ويضمحلَ ، ولا يبقى له عينٌ ولا أثرٌ ، ولم يكفهم تحطيمه وتكسيرُ عظامِه للمرّة الأولى فمنعهم من ذلك الأسدُ ، واستأذنت فضّةُ سيّدتها زينبَ ، بانْ تدعوا الله ليُنزلَ مائدةً من السماءِ يسدُّ بها رمقَ يتامى الحسين ، وقد دأبهم يتضوّرون جوعًا ، فاطعمهم الله بجفنةِ ثريدٍ يفوحُ منها الدُخانُ ، كسيدتِها الزهراءِ في عهدِ ابيها المصطفى ص فسألها بعلُها الوصيُّ (انّى لكِ هذا) قالت هو من عندِ الله فقرّضها ابوها رسولُ الله بقوله (الحمدُ لله الذي رزقني بنتًا كمريم ابنةِ عمران كُلّما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا قال يا مريم انّى لكِ هذا قالت هو من عند الله انّ الله يرزقُ من يشاءُ بغير حسابٍ)

واستمرّ الحسينُ يجلوا البراهين ويأتي بالمعجزاتِ الخارقاتِ حتى اطّردت له بعدَ قتله فقد سطع في بعض منازلِه من رأسه نورٌ وضياءٌ حتى لحق بعنانِ السماءِ ، وتكلّم - كما قيل - في سبعين موضعًا فهدى الله بذلك من هدى ، وأدار عينه يتفقّد عيالَه فافتقد

احدى بناته ، فلم يزايل رمحه موضعه ولو اجتمع على قلعه العسكر بأسره ، حتى طلبوها فوجدوها وجاؤوا بها ، ودعا في بعضها على حامله ، فأنزله من رمحه ، وأخذ عدو الله يضربه بسوطه ضرباً شديداً ، ألا شلت يداه ، ونطق بالقرآن إعلاناً بأنه قتيل إحياء القرآن (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) ولئن شاركه يحيى فتكلم رأسه بعد قطعه مع جبار زمانه ناهياً له عن ارتكاب المنكر ، قائلاً له لا تفعل أيها الملك ، فلعمري إنه لم يشاركه أحد في تكلم جسده المرضوض الجريح ، وخروج الكلام من نحره المنحور القطيع ، ورثاء نفسه لشيعته الموتورين به على لسان ابنته سكينة وعرض مظلوميته عليهم بأنواع الظلم ، طالباً منهم دوام ذكره والبكاء لكل واحد من الخطوب التي أصابته ، والظلامات التي فاجأته ، فيذكروا عطشه الذي قاساه عند شربهم عذب الماء الزلال ، ولا ينسوا غربته وقتله ما بين متصل السيوف ومشتجر الرماح ومشتبك السهام ، إذا سمعوا بغريب أو قتيل ، ويجعلوا نصب أعينهم رض جسده الجريح بحوافر الخيول الأعوجية ، ويصغوا بآذان قلوبهم لكلمة زين العابدين في هذا المقام (كنت نائماً في الخيمة ، وأنا أسمع تكسير عظام أبي بحوافر الخيل) ثم يعود أرواحنا فداه ، فيتمنى حضور شيعته من ولد ومن لم يولد في يوم عاشوراء ، فيسترعي لتفاتهم ويستعير أنظارهم ، ليشاركوه في كارثته الوحيدة ، ويساهموه في الحزن على مصيبته العظمى

الغريبة ، ألا وهي ذبح طفله الرضيع على صدره الحزين الحنون بسهم ذي ثلاث شعب مسموم ، بعد أن استسقى له ، فأبوا أن يرحموه ، كما تقتضيه طباع البشر من رحمة الأطفال .

شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بقتيل أو شهيد فاندبوني
فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني وبجرد الخيل بعد القتل عمداً سحقوني
ليتكم في يوم عاشورا جميعاً تنظروني كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني
وسقوه سهم بغي عوض الماء المعين

لبيك أبا عبد الله ، لبيك يا ابن رسول الله ، لبيك داعي الله ، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ، ولساني عند استنصارك فقد أجابك قلبي بحرقة الحزن والأسى ، وسمعي بالإصغاء لصوتك المدوي صداه في أجواء القرون والأجيال ، وبصري بالبكاء على ما أصابك ، وهتان الدموع على ما لحقك آبا عبد الله - سيدي

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة لكنما عيني لأجلك باكية
تبتل منكم كربلا بدم ، ولا تبتل مني بالدموع الجارية

(والنداء به من قبل الحق)

يقول المعترض: مع أن الحسين ورث جده رسول الله في إجراء المعجزات الخارقة للعادة على يده، أو ورث آباه الوصي وقد ورثها الوصي عن النبي

رُبما رمل عالج يوم يحصى لم يضق عن رماله الاحصاءُ
وتضيق الأرقام عن خارقاتٍ لك يا من اليه رُدّت ذُكاءُ

فهل من الممكن أن تجري له حتى المعجزات التي تختص بالأنبياء، كندائه من قبل الله بواسطة الملائكة، أو نزول الصحيفة عليه من السماء، أليست هذه خاصة الأنبياء، كما عرّف المتكلمون النبي بأنه الإنسان المبلغ عن الله بغير واسطة البشر، أي بواسطة الملائكة (وما كان لبشرٍ أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجابٍ، أو يرسل رسولًا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) وأما الإمام فهو الإنسان المبلغ عن الله بواسطة البشر أي النبي الذي هو وصيٌّ عنه، فهل يدعي من يروي هذه الروايات أن الحسين كان نبيًا، وقد ختم الله الأنبياء بجده محمد القائل لا نبيّ بعدي، ووجوب قتل مدّعي النبوة بعد محمد من ضروريات الإسلام، وبنو أمية زعموا أنه كان خارجيًا فقتلوه، ولم يدّعوا أنه قد ادّعى النبوة بعد جده خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين ؟

قلنا أمّا النداء الصادر من قبل الله بواسطة الملائكة ، فلا يختص بالأنبياء والرسل إلّا إذا كان لتبليغ شريعة أو أحكام شريعة ألم تر التعريف للنبي يقول (هو المبلغ عن الله بغير واسطة البشر) أمّا إذا كانت عمومية كقوله (يا أبناء العشرين جدّوا واجتهدوا الخ) وكقوله في الحديث القدسي (عبدي خيري إليك نازل وشرّك إليّ صاعد) ونحو ذلك ممّا لا يأتينا وله الاحصاء ، فليست هذه خاصّة بالأنبياء ، وإلّا كنّا كلّنا أنبياء لأنّ لله ملكاً ينادي بنا كلّ يوم فضلاً عن الملائكة التي تنادي كلّ جمعة كما قال الشاعر ؛

له ملكٌ ينادي كلّ يوم لدوا للموت وابنوا للخراب

وهكذا إذا كان النداء خاصًّا بشخص لأموره الشخصية ، دون تبليغ الناس لأحكام الشرعية عن ربّهم ، فهذه مريم ابنة عمران ناديها الملائكة عن الله جلّ جلاله (يا مريم انّ الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) ولهذا خاطبت الله في الجواب بدون واسطة ، فقالت (ربّ أنّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر) ومريم ابنة عمران لم تنخرط في سلك الأنبياء ، وكانت من القانتين لا من المرسلين ، فإنّ الله لم يبعث نبيًّا قطّ أنثى كما يقول شاعر المسلمين في قصيدته التي نظم بها عقائد المسلمين

ولم يبعث نبيًّا قطّ أنثى ولا عبدًا فحاذر عن جدالي

وإذا خاطبت الملائكة مريم ابنة عمران وجاءت لها برزق من موائد

الجنانِ (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وإذا كانت فاطمةُ ابنةُ محمّدٍ أفضلَ من مريم ابنةِ عمران ، فإنّ الله اصطفاها على نساءِ العالمين كافّةً ، وَ اصطفى الله مريمَ ابنةَ عمرانَ على نساءِ عالَمِها خاصّةً ، كما ثبتَ لدينا ذلك عن نبيّنا الصادقِ المصدّقِ الّذي لا يحابي أحدًا ولو كان بضعةً منه ، ولا يتقوّلُ على اللهِ بعضَ الأقاويل ، كان لزامًا علينا أن نُصدّقَ الأخبارَ القائلةَ بأنّ الملائكةَ نادتْ فاطمةَ وهي تصلّي في محرابِها ، ونتقبّلَ الرواياتِ الواردةَ بنزولِ الملائكةِ برزقٍ من موائدِ الجنّةِ ، وبمقتضى أنّ حكمَ الأمثالِ فيما يجوزُ وما لا يجوزُ واحدٌ تنخرطُ الرواياتُ الواردةُ بنداءِ الملائكةِ للحسينِ وأبي الحسنِ وآلِ الحسينِ ع كلُّها في سلكِ القبولِ ، ولا يلزمُنا القولُ بنبوّةِ واحدٍ منهم ، كمريمَ ابنةِ عمرانَ فإنّها كانت من الصادقين والصدّيقين ، ولم تكنْ من الأنبياءِ والمرسلينَ ، وكانوا هم سادةَ الصادقين ، ونخبةَ الصدّيقين ، وكان الصدّيقُ الأكبرُ هو عليًّا أميرَ المؤمنين ،

هٰذا وربّما نُودي بعضُ البشرِ من قِبَلِ اللهِ ، بواسطةِ هاتفٍ لا يُدرى أمِنَ الجنِّ هو أم من الملائكةِ ، أم من الأنبياءِ ، كما جاءَ في الروايةِ أنّ الحُرّ لمّا تابَ على يدِ الحسينِ ع ذكرَ له أنّ هاتفًا هتفَ به عندَ خروجِه لقتاله (أبشرْ يا حُرُّ بالجنّةِ) فالتفتَ

الى خلفه ، فلم يجد احدًا ، فظنّ انّ الهاتف به ابليس ، لانّه يعلمُ مِن نفسه انّ مَنْ قاتَلَ الحسين كان من اهل النار ، وَ كانَ هو على تلك الحالة ، فبَشَّرَهُ الحسينُ انّه نبيّ اللهِ الخضرُ بن مَلْكان ، بشّرهُ بما تنتهي اليه عاقبة امره من الاستشهاد بين يدي الحسين ، وهكذا ختم الله له بالسّعادة فاستُشهدَ بين يدي سيّد الشهداء . وَامّا الرواية التي رَواها الدربندي في اسرار شهادته ، انّه لمّا رأى الحسينُ وحدتَه وقتلَ انصاره وَ اطفاله ، وخرجَ الى الميدانِ ، وَبقيَ واقفًا متحيّرًا ينظرُ الى اخوته واولاده وَبني اخيه وَبني عمّه صَرعى مقتولين مجدّلين ، ومرّةً ينظرُ الى غُربته ووحدَتِه وانفرادِه ، ومرّةً ينظرُ الى النساء وَ غُربتهنّ وَوحدَتِهنّ وَعطشهنّ ومايرجعنَ اليه من الاسر والذُلّ ومرّةً ينظرُ الى شماتةِ الاعداء وتصميمهم على قتلِه ، فنادى بصوتٍ عالٍ حزينٍ ، أما مِن ناصرٍ ينصرُنا اما مِن مُغيثٍ يُغيثُنا ، هَل مِن مُوحّدٍ يخافُ اللهَ فينا ، امامن ذابٍّ يذبُّ عن حُرمِ رسولِ اللهِ ، فلمّا نادى هذا النِداءَ تزلزلت اركانُ العرشِ وقوائمُه ، وَبكتِ السمواتُ وضجّتِ الملائكةُ ، واضطربتِ الارضُ ، فَقالوا باجمعهم يارَبّنا هذا حبيبُكَ وقُرّةُ عينِ حبيبك ، فأذن لنا بالنُصرةِ ، وهوَ في هذه الحالةِ اذ وقعت صحيفةٌ قد نزلت مِن السّماءِ في يدِهِ الشّريفةِ ، فلمّا فتحَها ونظرَ فيها اذا هيَ هو العهدُ

المأخوذ عليه بالشهادة قبل خلق الخلق في هذه الدنيا ، فلمّا نظر ؏ إلى ظهر تلك الصحيفة ، فإذا هو مكتوب فيه بخط واضح جلي (يا حسين نحن ما حتمنا عليك الموت ، وما ألزمنا عليك الشهادة ، فلك الخيار ولا ينقص حظك عندنا ، فإن شئت أن نصرف عنك هذه البليّة ، فاعلم أنا قد جعلنا السموات و الأرضين والملائكة والجن كلهم في حكمك ، فأمر فيهم بما تريد من إهلاك هذه الكفرة لعنهم الله) وإذا بالملائكة قد ملؤا بين السموات والأرض ، بأيديهم حراب من النار ، ينتظرون لحكم الحسين وأمره فيما يأمرهم به ، من إعدام هؤلاء الفسقة ، فلمّا عرف ؏ مضمون الكتاب ، وما في تلك الصحيفة رفعها إلى السماء ورمى بها إليها ، وقال إلهي وسيدي وددت أن أقتل وأحيا سبعين ألف مرة في طاعتك ومحبتك ، سيّما إذا كان في قتلي نصرة دينك ، وإحياء أمرك ، وحفظ ناموس شرعك ثم إني قد سئمت الحياة بعد قتل الأحبة وقتل هؤلاء الفتية من آل محمد ص ، فلم يأذن للملائكة بشيءٍ ، وباشر الحرب بنفسه الشريفة ، وزلف[1] نحو القوم . قلنا في الجواب عنها وجوه (الأول) إذا شاء المعترض ردّها ، زعمًا منه أن روايتها مرسلة أو لوجه آخر فليردّها فلن يضرّنا ردّها شيئًا ، ولن يضرّ الحسين في عظمته ، وجميل الذكر في أحدوثة بقضيته

(١) زلف : تقدم وتقرب

قيد شعرة واحدة ، فراويها (إن يك كاذباً فعليه كذبه) والعهدة على الناقل .

(الثاني) إذا كانت مروية وهي ممكنة ، ووضع الأخبار للصدق ، وأما الكذب فاحتمال عقلي لا يصار إليه إلا بدليل فما المانع من تصديقها ، وقد قال الرئيس ابن سينا (كلما قرع سمعك من غرائب الأمور فذره في بقعة الامكان ، حتى يذودك عنه ساطع البرهان) ونظمت أنا ذلك فقلت ، .

ما قد سمعت من العجائب فاحتفظ فيه وذره ببقعة الامكان
وتروّين قبوله أو ردّه حتى يذودك ساطع البرهان

اما كون الصحف خاصة بالأنبياء كما قال تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) فقد ذكرنا الجواب عنه في نداء الملائكة من قبل الله تعالى لغير الأنبياء من أشخاص الأولياء كمريم ابنة عمران ، فليس هذا بوجه ساطع البرهان ليكون صالحاً لرد ما ذكرنا من الامكان ، ورد الممكن بغير دليل مردود على صاحبه ومضروب به وجهه ، هذا مع أنه روي لنا أن الكثير من الأولياء الذين لم يقل أحد بإمامتهم فضلاً عن نبوتهم قد نودوا من قبل الله وكتبت لهم صحف من لدنه بأمورهم الشخصية بما لو أردنا استقصاءه لخرجنا عن موضوع الكتاب ، فمنهم الشهيد الأول شمس الدين محمد بن مكي العاملي ، فإنه - كما يحكى عنه -

لما سجن وظلم وتمادى به الأمر ضاق صدره ، فوضع تحت رأسه رقعة كتب فيها (رب إني مغلوب فانتصر) ولما فتحها صباحا وجد الجواب مكتوبا بلون دعائه (إن كنت عبدي فاصطبر)

(الثالث) لعل المراد بالصحيفة احساس لنفس إذا توجهت إلى الملأ الأعلى وكادت تتصل بعالمها الأول عالم المجردات ، و تخرج من هذا العالم الكثيف عالم المادة والصورة ، فإنها تكون لها حينذاك قوة عظيمة ، تحدث منها انفعالات وتأثيرات ، واطلاع على ما في العالم الأرفع ، كعلم المغيبات ، ومن ذلك المنامات الصادقة وامثالها ،

(الرابع) لعل الرواية ارادت - ولو من باب المجاز - ما نسميه الآن صوت الضمير ، وقد يسمى الهاجس في سائر البشر وهو من الجن ، والملك المسدد لكل إمام من الأئمة ، فإنهم يفوقون البشر بهذا الملك المسدد ، زيادة على الملائكة الحافظين لحياة الشخص عن الهلاك أو لأعماله في صحيفته التي يلقاها يوم حشره و نشره ، وهم يتعاقبون عليه في الليل والنهار (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وهذا الوجه يكون جوابا حقيقيا عن الاعتراض الأول اعتراض النداء بالحسين ،

(الخامس) من الجائز أن يراد بالصحيفة النازلة على الحسين من السماء بهذا الأمر الخاص هو صحيفته الخاصة دون غيره من الأئمة

التي تلقاها عن جدّه ، فقد روينا أنه نزلت على النبي (ص) اثنتا عشرة صحيفة على عدد أوصيائه ، وكانت مختومة بخواتيم من ذهب لم تمسّها نار ، بل قال لها الجليل كوني فكانت فدفعها النبي كلّها لأوّل أوصيائه ، وأشهد عليه ملائكة ربّه ، وهكذا أخذ الإمام السابق يدفع سائرهن إلى الإمام اللاحق ، فكلّ إمام منهم يفتح صحيفته فيعمل بما أمره فيها ، لأنه مطابق لمقتضى حاله ومناسب لاعتبار زمانه (والله يعلم وأنتم لا تعلمون)

وعساك تقول لما فتح الحسين صحيفته عندما أراد الخروج إلى الكوفة ، فوجد نفسه فيها مأمورًا بالحرب والقتال ، فقد اكتملت له العدّة التي يجب على الإمام النهوض بها في وجه الظلم وهي أربعون رجلًا فقد نيف أصحابه على السبعين ، بل في بعض الأخبار أنهم كانوا عدّة أصحاب بدر ثلثمائة وثلاثة عشر رجلًا ،

ولكنّا نقول بلى فتح الإمام صحيفته هناك ، ولكنّ أكثر كلام العرب كنايات ومجازات في مفردات ألفاظهم ومركبات جملهم ومحاوراتهم ، فيجوز أن يكون نزولها يوم الطف وفتحه لها وقراءتها كلّه مجازًا عما كان في المدينة ، لكنّه رأى فيها نفسه مأمورًا بالخروج إلى الكوفة ، والقتال في سبيل الله محتّمًا عليه لا رخصة فيه ، حتى إذا خلا ظهره من ظهير ، وساعده

مساعد ونصير ، كان مرخصاً في القتال ووضع أوزار الحرب فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وإن شاء التطوّع بنفسه والاستشهاد والتضحية في سبيل مبدئه فهو خير له ، والله يجزي المحسنين ،

وهناك وجه آخر لفتحها مرة أخرى يوم الطف بعد فتحها في مكة أو المدينة ، بغير تجوز ولا كناية إذ لعلها كانت صحيفة محو وإثبات ، ولله البداء في عباده ، وما آمن بالله من لم يثبت له البداء ، وهذا كتابه الكريم ينادي بأعلى صوته (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فوجد الحسين نفسه مرخصاً في ترك القتال ، لمصلحة اقتضاها ذلك الظرف العصيب ، بعد أن كان مأموراً به أمراً لا هوادة[1] فيه ، لوجود الأنصار على حد قول أبيه (ولولا قيام الحجة بوجود الناصر لألقيت حبلها على غاربها ، وسقيت آخرها بكأس أولها)

(السادس) ذكرنا أن أكثر كلام العرب من باب المجاز ، و الرواية التي تذكر الصحيفة لم تذكر لنا قطرها ولا سمكها ، ولا لون مدادها ، ولا صورة حروفها أكوفية هي أم فارسية أم غيرها مما اصطلح عليه سائر الأمم في وضع صور حروفهم ، نعم ذكرت أنها بخط واضح جلي فلعل المراد بها - والله أعلم - استنباط حكم الشارع عليه بهذا التخيير ، فعبرت الرواية عن الحكم والنتيجة

(١) الهوادة : تقال على المحاباة والرفق واللين والرخصة وغيرها

بفتح الصحيفة توسعاً في التعبير ، واخذت الغاية وتركت المبادي ، واما الحروف فلتكن مواداً لتركيب ومقدمات النتيجة ، كما فسر الحكماء امثال قوله تعالى (ن والقلم وما يسطرون) فزعموا ان القلم مشيئة الله وارادته التكوينية ، والسطر هو التفاعل والاقترانات ، لتتم صحيفة الخلق ، وقد نظموا لهذه الصحيفة سلسلة حروف انهوها الى تسعة وعشرين عدداً لحروف الهجائية ، من العقل الاول الى المواليد الثلاثة المعدن والنبات والحيوان ، ولا نريد ان نبعد عن ذهن العرف بتفصيلها وترتيبها ، إذن فالحروف معان كلية لكل ما يترتب منه كل شيء بحسبه ، ومنها الحروف الهجائية التي تترتب منها الفاظ الكلام ، فما هي الحروف التي رتبت للحسين حكم ذلك الظرف ، نعم لقد اشارت الرواية ان حروفه كانت كثيرة من غربته وعطشه ووحدته وثلاثين الفاً من الاعداء يزدلفون لقتاله ويتحرقون على قتله ، وكان مدادهم اشهب ، لانهم غاصبون بالسلاح لحربه مدججون بالحديد لقتاله ، وهناك حروف مدادها السواد ، الا وهي نساؤه الغريبات الثاكلات هذه تنادي الى اين ياحمانا ، وتلك تصيح الى اين يارجانا ، و اعظمهن اخته العقيلة زينب الكبرى ، وابنته الوالهة سكينة التي حلق على رأسها طير اليتم ، وشملتها وحشة ذله ، فطلبت

منه أن يمسح على رأسها مسح اليتامى ، وهناك حروف مدادها الحمرة ، وهي التي سم الحياة حين قرأها وعاف العمر حين تأملها وتلاها ، وهم أنصاره الصيد البواسل ، وأهل بيته الأمجاد الأماثل حيث رأى أجسادهم بالدم مشكولة ، وجثثهم بالسيوف والرماح معجمة ، هذا مكبوب على وجهه ، وهذا ملقى على يمينه ، وذاك على يساره ، فوقف بينهم كالطير المتكسرة أجنحته ، لذلك رمى صحيفة الحياة ، واشتاق لأجل اللحاق فيهم إلى الممات ، لأن الموت يجمع شمله المتبدد ، وينظم عقده المنفرط ، فماذا يصنع بالنصر بعدهم ، وأي فائدة للظفر بعدده ، وهو يعاني بعدهم ، فرد النصر ولم يحفل بوروده حيث جاءه في ذلك الظرف المكرب المشجي

وأقبل النصر يسعى نحوه عجلاً ... مسعى غلام إلى مولاه مبتدر

فأصد النصر لم يحفل بورده ... فصار حيران بين الورد والصدر

*

* *

(ونحوهما في قتل الحسين)

تقول الرواية لما مات ابراهيم بن رسول الله - وكان ذلك في ايام ليالي الحياة - وافق موته كسوف الشمس، فرأى المسلمون في ذلك معجزة، وقالوا انما كسفت الشمس لموت ابن نبينا، و انتهى كلامهم الى اذن الرسول، فلم يقرّهم هذا الاعتقاد، ولم يسكت عن انكاره، وحب الانسان لنفسه قد يرضيها بأن تمدح بما ليس فيها، وربما ملك الحزن والاسى فؤاد المصاب، فوجد بهذا التعظيم له او لفقيده سلوة يخفف بها بعض وجده وألمه، غيران النبي يقول الحق ولو على نفسه او الوالدين، وحاشاه أن يقرّ المنكر طرفة عين، فقد جمع هؤلاء الذين ندت منهم هذه الكلمات وخطبهم قائلا (ان الشمس والقمر ايتان من ايات الله لا ينخسفان لموت احد لا لحياته، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله بالصلاة)

فللمعترض أن يقول ما بال الشيعة هكذا يكذبون على الحسين، ويروون ان الشمس انكسفت لموته في اليوم العاشر من المحرم، وخسف القمر لأجله في الليلة الحادية عشرة منه، وهبت ريح سوداء مظلمة، وأمطرت السماء دما وترابا احمر، ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم عبيط اي طري، ولم تكن الحمرة التي ترى بعد

غروب الشمس موجودة ، واما ما وجدت يوم قتل الحسين واستمرت الى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ، ونحو ذلك مما لا يرتضيه عقل ولم يقم عليه برهان ، ولكن فرط الحب يخرج بالمحب الى الغلو في حبيبه فضلاً عن المبالغة والاغراق ،

نقول فاذا اعتقدت انها من اكاذيب الشيعة ، فعلى الكاذب كذبه يوم تجزى كل نفس بما تسعى ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فتوجيه الاعتراض عليهم لا على حبيبهم كما تزعم (والا تزر وازرة وزر اخرى) على ان الكثير من هذه الروايات لم يختص بها الشيعة لحبهم للحسين بل رواها اكابر المؤرخين من غيرهم كابن حجر في صواعقه ، والمقريزي في خططه ، وابن سعد في طبقاته و ابن الجوزي وسبطه في تذكرته ، والثعالبي في تفسيره و غيرهم ، والآن فان شئت فاجعل ذلك لحبهم للحسين ، وان شئت فاجعله لبغضهم ، وعلل ابو الفرج حدوث الحمرة في كتاب التبصرة انه لما كان الغضبان يحمر وجهه عند الغضب فيستدل بذلك على غضبه وانه امارة السخط والله تعالى ليس بجسم ، فاظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق ، وذلك دليل على عظم الجناية ، اما الشيعة فلم يزيدوا على نقلها تاركين لها في سنبلها من الصحة او الرد كغيرها من امثالها ، وذكر بعضهم ان الحمرة الحادثة في قتل الحسين ،

حمرة أخرى غير التي تحدث من غروب الشمس ، وهما متفاوتتان بالشدة والضعف ، فإن الحادثة أشد وأعظم ، وذكرها منهم في قصيدة له الشيخ محمد رضا الأزري نوّر الله مضجعه ، فقال

فسل كربلا ماذا جرى يوم كربلا — مصاب متى الأفلاك تذكره ترعد
وإني ونبلكم حمرة في جبينها — إلى الآن من ذاك الجوى المتوقد
وما ظهرت من قبل ذلك في الأولى — لراء ولم تعرف قديما وتعهد
ولو جل رزء في النبيين مثله — لبانت ، وفي هذا بلاغ لمهتد

وأما الدم الذي مطرته السماء فيروى أن أمير المؤمنين كان في الرحبة وهو يتلو فما بكت عليهم السماء والأرض الآية ، فخرج الحسين من بعض أبواب المسجد ، فقال أما إن هذا سيقتل وتبكي عليه السماء والأرض ، وقد جاء في كثير من الأخبار تفسير هذا البكاء من السماء بأنها أمطرت دما وترابا أحمر ، وأنها اسودت أو احمرت أو هبت ريح سوداء مظلمة ، أو ظهرت الكواكب نهارا واشتبكت ، وتجد صحة قولنا إذا راجعت مظنة هذه الأشياء في كتب الفريقين ، فإن شئت حبذا ذلك فاقبلها وإن شئت فردها ، ولكن الأولى لك والأحرى بك أن تقول كما قال

الكوازده

بكت السماء دما ولم تبرد به — كبد ، ولو أن النجوم عيون

وأمّا ما كان منه في عالم الكائنات فيدعم روايته ما ينقل لنا متواترًا كوجود الهند في اعتقادنا أنّ فيه حتى الآن أشجارًا كالسّدر تمطر الدّم العبيط من أوراقها من أوّل غروب الشمس لليلة قتل الحسين الى زوال شمس ذلك اليوم أو الى غروبها ، ويوجد في غيرها الكثير من أمثال هذا ، فإن قدر المعترض أن يردّ المتواترات فليفعل فإنّا ننكر أمامه أن يكون أحدٌ منا روى هذه الروايات ، وإلّا كانت باؤه تجرّ وباؤنا لا تجرّ (سبحانك هذا إفكٌ عظيم)

أمّا كسوف الشمس والقمر في مقابلة خطبة النبيّ الآنفة الذكر فلنا في الجواب عن ذلك وجوهٌ

(الأوّل) أنّ الله على كلّ شيء قدير ، وقد روي لنا ذلك وهو ممكنٌ ذاتًا وإن امتنع عادةً ، وقدرة الله فوق العادة ، وسنتكلّم عمّا يتوهّم ما نعيّنه في الوجه الآتي

(الثّاني) انه لا منافاة بين خطبة النبيّ ، وبين ما روينا من انكسافهما لقتل الحسين ، فإنّ الموت والحياة اللّذين أجرى الله فيهما عادته في عباده لا يسبّبان لله غضبًا ، بل يرضي الله بهما لأنّهما تزيدان خلقه معرفةً به ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي (كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق لكي أعرف) فأنت ترى أنّ الحياة والموت وغيرهما من طوارئ النفوس كلّها من آثار قدرته تعالى محبوبةٌ لله ، لأنّها

تزيد الخلق معرفة به ، وهو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا) وقد ندبهم في كتابه التدويني أي القرآن العظيم في مواضع كثيرة منه ان يتفكروا اعمق التفكير ، في كتابيه الأنفسي والآفاقي ليزدادوا بصيرة به ، ويقطعوا اليه كثيرا من مراحل معرفته (أولم يتفكروا في انفسهم وفي الآفاق) واما مثل قتل الحسين ع فموجب غضبه الشديد العظيم (واعوذ بالله من غضب الحليم) ولقد اخبر الحسين نفسه - ولم يعرف بمحاباة لها - عن مبلغ غضب الله على هذه الأمة بقتله ، حيث ضرب على لحيته الشريفة بيده ، حين تحقق أن الأمة قاتلته لا محالة ، وقال (اشتد غضب الله على اليهود اذ جعلوا له ولدا ، واشتد غضبه على النصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، واشتد غضبه على المجوس اذ عبدوا الشمس والقمر دونه ، واشتد غضبه على قوم اجتمعت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم)

ولعل المعترض يقول هب ان الله غضب على هذه الأمة باجتماع كلمتها على قتل ابن بنت نبيها ، كما غضب على النصارى واليهود والمجوس ، فما ذنب المسكينين الشمس والقمر لينتقم منهما بالكسوف ويأخذهما بذنب غيرهما من اهل الكوفة ، وهو القائل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولكنا نقول في جوابه خفض عليك فليس كسوفهما تعذيبا لهما بفعل غيرهما لينشد بلسان حالهما ،

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم فكأنني سبابة المتندم

وهما إنما ينخسفان يوم القيامة كما قال تعالى (وخسف القمر وجمع الشمس والقمر) ولا ذنب لهما ليؤاخذهما الله به بالانخساف، بل العلة في ذلك أن آثار غضب الله تظهر في مخلوقاته التي هي آيات وجوده وبينات قدرته وآثار غضبه أو رحمته، (فانظر إلى آثار رحمة الله) وقد روينا أنه إذا كثرت ذنوب بني آدم أراد الله أن يذكرهم نفسه لينزعوا عن ذنوبهم خشية بأسه وخيفة أخذه فإن أخذه أليم شديد، فينخسفان بأن يغمسهما في بحر الظلمة، ولعل المراد بها الظلمة المعنوية للذنوب التي تكون من الأسباب لغمسهما في بحر الظلمة الحقيقية، أعني مخروط ظل الأرض، على ما سيأتي، ويدل على ما قلنا دلالة واضحة قوله تعالى في توبيخ من قالوا إن الله اتخذ ولدا (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا) وإذا كان الحسين قد جعل غضب الله على هؤلاء مساويا لغضبه على أمة اجتمعت كلمتها على قتل ابن بنت نبيها فقد قارب أن تتفطر السموات غضبا لقتله وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، ولكن هذه الأمور أمكنت إمكانا قريبا من الوقوع فكادت توجد، ولكنها لما لم تجب لم توجد، وكان الخسوف في إمكانه أقرب استعدادا

للوجوب من هذه الأمور المذكورة في الآية الشريفة لأنه يتكرر في كل سنة لذنوب بني آدم العادية ، ولكنه وجب لقتل الحسين لأن غضب الله في قتله أعظم والممكن إذا وجب وجد بل وجد هذا الخسوف خرقا للعادة ، فقد كسفت الشمس في اليوم العاشر وخسف القمر في الليلة الحادية عشرة ، لأن الذنب الذي هو سبب الخسوف خارج عن العادة ،

ويتنبه المعترض منا أخذ من جوابنا هذا اعتراضا فيقول ، ألم يتقرر عند علماء الهيئة والنجوم أن القمر لا يخسف وقت التربيع بل لا بد أن يكون خسوفه في إحدى الليالي البيض ، لأنها ليالي كماله الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة ، ولذا مثل المنطقيون للضرورية بقولهم (لا شيء من القمر بمنخسف وقت التربيع بالضرورة) وهكذا تقرر عندهم أن الشمس لا تنكسف إلا في أيام ليالي المحاق الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والسلخ ، وذلك لما عللوا به الخسوف من أن القمر يدخل في مخروط ظل الأرض ، حيث تكون الشمس تحت الأرض مقابلة له ، والمقابلة لا توجد في وقت التربيع ببداهة العقل وعللوا كسوف الشمس بأن القمر يكون في خط مجراها ذلك اليوم ، وبما أن فلكه تحت فلكها إذ هو أقرب الأفلاك إلى الأرض ، وفلكها في الرابع أوسط الأفلاك ، فإذا صار تحتها حال بيننا وبينها ، ولا يتفق لها هذا إلا في أحد الأيام الثلاثة ، بضرورة الوجدان ، ونضم إلى

هذه المقدمة كبرى صادقة ، وهي ان اقوال أصحاب كل فن تؤخذ عنهم من باب إرسال المسلمات ، وهي من أصول البرهانيات غير انا نقول له نعم ، ولكننا نعارضك بسلاحك الذي به تصول وذلك ما تقرر في أصول العقائد من ان الله على كل شئ قدير ، وله خرق العادة إذا شاء لأنه هو الذي أجرى العادة في الأشياء ، وقد سلب الحرارة عن نار النمرود لئلا تحرق خليله إبراهيم ، و هذا معنى المعجزة ، وقد ذكرنا أنها تصدر للنبي والولي ، وإن رغم أنف الطبيعة وانف الشانئ القالي ، فخذ هذا من باب إرسال المسلمات ، فإنها من أصول البرهانيات ، أما الفلكيون فلا يرضون بأشياء كثيرة قام البرهان والدليل على وقوعها ، ولا أدل على الإمكان من الوقوع ، كعروج النبي بجسمه الشريف المادي ، وهم يقولون الفلك لا يقبل الخرق ولا الالتئام وانشق له القمر وقد صرح بذلك القرآن ، وردت الشمس ليوشع بن نون وصي موسى بن عمران مرة واحدة ، ولوصي محمد ﷺ مرتين وفي حديث اربع مرات ، وفي اخر اكثر من ذلك ، قال ابن ابي الحديد المعتزلي شارح نهج البلاغة في احدى قصائده

العلويات السبع

إن كان يوشع رد يوحى مرة[1] فله اثنتان وفي حديث أربع

أما إذا قلت ان الله أبى ان يجري الأشياء إلا بأسبابها وإن كان

(١) يوحى وذكا وبراح اسماء علمية للشمس

له تسرطب بعها التي ركبّها فيها ، ودع ما قالوا في اسباب انشقاق القمر وما تكلفوه من ان ذلك كان تصرفاً في المادة والصورة ، ولكن هل لهذا الخسوف والكسوف سبب نتعقّله ونرضى به ما لم نسنده إلى صرف القدرة فحسب ومحض التسليم للأمكان فقط ، قلنا نعم هذا أول لوجوه وأولاها بالقبول والإذعان

(وواحدٌ كالألف انْ خطبٌ عرى)

وهناك سببٌ ثاني وهو ما ورد أنّ الافلاك وقفت يوم عاشوراء ، وتعطلت عن سيرها العادي ، ولعل السيّد جعفرًا الحلي اشار إلى هذه الرواية بقوله

اَاللهُ أيّ دمٍ في كربلا سُفكا ... لم يجرِ في الأرضِ حتى أوقف الفلكا

واذا وقف الفلك عند جريان دم الحسين حيرة وحزنًا ، وتعرقل عن مسيره وهنًا ووجومًا ، فيمكن ان يكون في بعض اوقاته أغذّ(١) في المسير هربًا من أفعال بني أمية ، وفرقًا من اعمالهم ، واستنكارًا لخروجهم على الدين ، واعتدائهم على الانسانية نعم وربك (لوِ اطّلعتَ عليهم لوليتَ منهم فرارًا ولمُلِئتَ منهم رُعبًا) واذا جرت حركاته وسكناته على هذه الشاكلة من سرعة الهروب فرارًا طورًا ، وطول المكث واللبث حيرة طورًا اخر ، فضع القمر تحت خط سير الشمس نهارًا إن اردت ، واجعل الشمس مقابلة للقمر ليلة الحادية عشرة إن شئت ، ليكون الخسوف والكسوف صادرين عن سببهما

(١) اغذ في السير : اسرع فيه ، والفرق : الخوف

العادي كما يقتضيه رأي أهل الفن ،

وسبب ثالث لعلك تؤمن به كل الإيمان وهو ما رواه المنجمون أنفسهم أن القمر خسف في وقت التربيع ، والشمس كسفت في منتصف الشهر في زمان عيسى بن مريم ، فضايقتهم هذه الحادثة وكذبت أحدوثتهم ، فما لبثوا أن عللوا ذلك بأن الله خلق بين السماء والأرض كواكب سوداء ، وهي سيارة لا تدركها الأبصار لفرط بعدها عن الأنظار ، غير أنها حجبت النيرين عن أبصار أهل الأرض لمصادفة وقوعها تحت خط مسيرهما ، فكان كسوفاً وخسوفاً لهما غير عاديين ، ولكنهما مسببان بسبب معقول ، إذن فلماذا نستبعد أن يكون الزمان المتطاول ، أو بالأحرى هول الخطب الفظيع النازل ، أعاد الكرة وجاء بتلك المصادفة فصادفت هذه الكواكب تحت خط مسير الشمس نهاراً وتحت خط مسير القمر ليلاً ،

(الوجه الثالث) أيها المعترض الكريم ، إن أبيت ركوب جادة الحقيقة بحمل كل من الشمس والقمر على الحقيقة ، فتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، لتقرب المسافة ولا تروا بيننا ولا نرى بينكم ، فقد قلنا غير مرة إن باب المجاز واسع ، وأكثر كلام العرب خصوصاً في مفرداته كلامهم محمول عليه ، فلنجعل القمر وجه قمر بني هاشم أبي الفضل العباس الذي خسف رأسه عمود من حديد، فكور من ظهر جواده

وقد قطعت يداه، فوقع - بأبي وأمي - منكوساً على رأسه المنخسف بالعمد، فصار الخسوف كلياً، وتحقق للعيان مرئياً، ولقد كان حجاب النقع وملاءة القسطل الثائر في ليل الحرب القتال قد حجبا نور القمر بني هاشم الذي كان يستمده من ضياء شمس العالم ابي عبد الله الحسين ولكنه جعل اللواء الخافق على رأسه بريح النصر والظفر دليل طلوعه، وشارة بزوغه وسطوعه، فما راعه إلا وقد هوى، فعلم ان قد ترجل من ظهر جواده حامل اللوا، فتداعت منه الأركان وانهدت منه القوى غير انه امتطى صهوة جواده، وقصد إليه والجوى ملؤ فؤاده، فرآه بتلك الحالة المشجية والصورة المحزنة المبكية،

وهوى عليه ما هنالك قائلاً　　اليوم بان عن اليمين حسامها

اليوم نامت اعين بك لم تنم　　وتسهدت اخرى فعز منامها

اما تكميل الرواية بأن خسوف القمر كان ليلة الحادية عشرة فلعله زيادة من الراوي ظناً منه ان القمر لا يخسف إلا ليلاً، فألحقها بعبارة ان الشمس كسفت في عاشر المحرم نهاراً، ولعلك عرفت ان المقصود بها شمس العالم وذكاء أفق الدين والهدى، والنير الأعظم في سماء الحق والرشاد، ابو عبد الله الحسين، فلقد كورت بالرماح والسيوف، بعد ان ابتدأ بها بصفحة جبينها الخسوف، في الحجر الذي صك جبهته به ابو الحتوف

شمس أفق الدين اضحت في كسوف بالسيوف　　وتوارت عن عيون الناس في ارض الطفوف

فأصاب الشمس والبدر كسوف وخسوف　　لكن الأفق مضيء بسنا رأس الحسين

(وقاتلوه ولؤم نحائزهم)[1]

الحُسين وما أدراك ما الحسين ،

مرحباً بهذا الإسم الشريف المبارك ، وحيا الله ذكر هذا البطل العظيم الخالد ، بهذا الأسم تنشرح الصدور وترتاح النفوس و تهتز المشاعر ، وباستعراض نهضته الكريمة والتأمل بما وقع في غضونها يتجلى المجد بأجلى مظاهره ، ويبدو النبل محسوساً بالعيان ويظهر الشرف ملموساً باليد ، فقد جمعت إلى نصرة الدين والهدى ، وإحياء شريعة جده المصطفى إحياء المآثر الكريمة ونصرة الأخلاق المجيدة ، وإزهاق روح المساوىء والقضاء على نزوات الشرور ونزعات النفوس اللواطئة ، فهي لأن تكون عبرة تسير على ضوئها مجلات الأجيال والقرون المتأخرة أولى من أن تكون عبرة تسيل في مآقي الدهر حزناً و جزعاً لما أصابه في أثنائها من المآسي ، وما تكبد من جرائها من الفوادح ، فقد جاء نفسه بالعبرة مقدماً لها على العبرة ، في قوله (أنا قتيل العبرة ، ثم قال ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة إلا بكيا لمصابي) كما نفهم ذلك جيداً من قراءة العبرة بكسر العين لا كما هو المشهور من قراءتها بفتح العين ، لأن التأسيس خير من التأكيد وذكر معنيين خير من ذكر معنى واحد ، ولقد ذكرنا

(١) نحائز : جمع نحيزة وهي الطبيعة والسجية

في تضاعيف كلماتنا الآنفة وأبحاثنا السالفة كثيراً من العبر التي فطنا لها ، وذكرنا أن ما خفي علينا منها أجل وأكثر ولعل طول التعمق في التفكير بها والتردد في سبر أغوارها يكشف لنا عن الكثير من تلك الكنوز المدفونة والجواهر المخزونة ، وقد خاطبنا الله من قبل على لسان نبيه الصادق المصدق فقال - وهو أصدق القائلين - ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أما إذا أردنا أن نتتبع سيرته ونذكر ما يتضح لنا من نبله ومجده تشجن بنا الحديث وخرجنا بلا شبهة عن موضوع الكتاب ، فإن سيرته كلها نبل ومجد وحياته كلها فضل وكرم وأناؤه كلها عزة وشمم ، فهو السابق الذي لا يجارى ، والفذ الذي لا يبارى ، تضيق الأرقام عن إحصاء فضائله ، وتعجز الألفاظ عن ذكر فواضله فما أجدرنا أن نخاطبه بقول القائل ،

وما بلغت كف امرئ متطاول	من المجد إلا والذي نلت أطول
ولا بلغ المثنون في القول غاية	من المدح إلا والذي فيك أفضل

ولقد كان قاتلوه معه على طرفي نقيض (وبضدها تتبين الأشياء) : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور ﴾ غير أننا نذكر لك .

ما يحتمله موضوع كتابنا ، ونأتي على تفصيله في وجوه
(الأول) ، ان الحسين لو بايع يزيد أول ما دعاه الوليد لبيعته
لاستخف به بنو امية وازدروا بشأنه ، وقتلوه تبعا لأصحاب
أبيه الذين قتلوا ايام صلح معاوية ، بلا ذنب ولا جرم الا حبهم
لعلي بن ابي طالب ع ، وضعفهم في جنب الدولة الأموية القائمة
فان الأمرين يتحققان لا محالة في الحسين ، فما يمنعهم عن قتله
وهل يكون معذورا عند الله وعند الناس ، اذا ألقى بيده
الى التهلكة وجرب المجرب واعطى من نفسه الدنية ، قبل
ان يسبر غور الأمة ، وهو يرى الأمور متسقة لنصرته ،
لأن الناس ضاقوا ذرعا بظلم معاوية ، ومجه الرأي
العام ، لخروجه عن حدود الشريعة ، وتجنيه على
قواعد الانسانية ، فمات وليس له في الأرض عاذر
ولا في السماء ناصر ، ولا يشك احد منهم ان يزيد القا
بالأمر بعد ابيه شر منه بمراتب اذا صح قول القائل فيهما (بعض
الشر اهون من بعض) ومعاوية نفسه يعتقد ان الحسين ع
لا يعدله احد بيزيد ، ومتى اعترض الشك في الحسين مع
معاوية ، حتى يقرن بيزيد ، فما بال الحسين هكذا يبادر
الى هذه القتلة الذليلة ، بيد هذا العدو اللئيم ، ويلقي
بيده الى التهلكة ، من دون تريث ، ومن دون تجربة

للأمة التي طالما استفزت همته واستثارت حفيظته ، أيام معاوية الخليفة الهالك الخائن الجائر ، فوعدها بالاجابة عند تاريخ الله منه الامة لان صلح الحسن معه يحتم عليه بالوفاء وان لم يف معاوية لعنه للحسن بشيئ من شروط الصلح ، ولكن (كل يعمل على شاكلته) وكل ميسر لما خلق له ، أجل

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكل اناء بالذي فيه ينضح

(الثاني) خرج الحسين بجامته وفصيلته وعائلته الكريمة عن وطن جده ومسقط رأسه لئلا يقتل غيلة فتسقط هيبة المدينة بقتله لامحالة ، فكان في خروجه عن المدينة المثل الأعلى لحرمة الحرم النبوي ، وكان في مسيره المثل الأعلى في العزة والشمم والتضحية بالنفس دون ارتكاب الدنية ، حيث سلك الطريق الأعظم ولم يتنكب عنه الى الطريق الفرعي كما صنع ابن الزبير وكل من يخاف ان يدركه الطلب ، لأنه لايبالي وقع على الموت ام وقع الموت عليه ،

سرت لم تنكب عن طريق لغيره حذارا لردى بل بالطريق المطرق

(الثالث) دخل مكة ليسبر غورا الامة ليقيم فيها في امن وامان ، لانها حرم الله الذي جعله أمنا ويتخطف الناس من حوله ، فيبقى في امان الحرم شهر شعبان وشهر رمضان وشهر شوال ، ثم ينضم الى ذلك امان الأشهر الحرم ذي القعدة

وذي الحجة ومحرم الحرام ، وفي اوسطها يجتمع الوفود و
يأتون من كل فج عميق ، وفيهم اهل الحل والعقد ، فاذا
اسفر هذا المؤتمر الاسلامي عن سلم حمد الله وكان اول من جنح
اليه ، واذا كانت النتيجة حربا وقتالا استعد لذلك في
محرم ، واعاد تاريخ ملحمة صفين في صفر (ما اشبه الليلة
بالبارحة) وجاء بنوامية يخرقون النواميس الدينية ، و
يخرجون من القواعد العربية ، فحرصوا على قتله ، ولوكان
متعلقا باستار الكعبة ، بين الركن والمقام - نووا ذلك
بالحسين وفعلوه بابن الزبير - ولكن الحسين كان حذره
من سقوط مكانة الكعبة المعظمة بقتله عندها اعظم
من حذره على سقوط هيبة المدينة ، فترك حجه واحل منه
بعمرة مفردة ، وخرج بعد ما بايعه من اهل الكوفة وهو
في مكة مائة الف او يزيدون ، وقد هاجر جده قبله من هذا
الحرم بعد ان بايعه ليلة العقبة سبعون شخصا من اهل المدينة
وفيهم امرأتان ،

(الرابع) لقد ازداد الحسين بصيرة بكفر بني امية ،
بل تحقق في رأيه انهم شر مكانا من كفار الجاهلية ، لانهم
كانوا يحترمون الحرم اربعة فراسخ من جميع جوانب الكعبة ، فلا
يهيجون حمامه ولا يحلون صيده ، ولا يعضدون شجره ،

ويرى الموتور منهم قاتل ابيه واخيه فيه ، فلا يتعرض له بتهديد فضلاً عن الثأر منه ، وبنو امية ارادوا قتله ولو وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة بين الركن والمقام ، وفي هذه الأونة[1] بايعته الكوفة على بكرة ابيها وهي ذات النجدة وقوة البطش وصاحبة ملحمة صفين والنهروان ، هل يكون بين هذين الامرين معذوراً عند الله وعند رسوله ص إذا ترك النهوض بهم لمعارضة يزيد الذي عرفه من قبل بعداوته لدين الاسلام وعدم مبالاته في الخروج عن نواميسه الرصينة المتقنة ، بل قلة اكتراثه بخرق القواعد العربية ، ومنها بعثه في قتل الحسين بهذه القتلة التي لم يسبق بمثلها احد ، لاجرم جعل الحسين نصب عينيه كلام أبيه امير المؤمنين عليه السلام حيث قال إذ وقف موقفاً يشبه موقف حبيبه الحسين ، وكأنه يضرب له مثلاً من صميم الجهاد او الكفر (لقد ضربت أنف هذا الامر وعينه ، وقلبت ظهره وبطنه ، فلم أر لي الا القتال او الكفر بما جاء به محمد) وقوله في موضع اخر (والله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم ، حتى يأتي اليها طالبها ، ويختلها راصدها ، ولكني اضرب بالمقبل الى الحق المدبر عنه ، وبالسامع المطيع العاصي المريب ، حتى يأتي علي يومي ،

(١) الأونة : كأزمنة جمع آن ، والآناء جمع اوان : للنهار وقطعة من النهار

(الخامس) إلتقى الحسين بالحر قرب ذي جُشم في زُهاء[1] ألف فارس، وقد أدركهم العطش وكاد يقضي عليهم، فأمسك الحسين عليهم حياتهم، إذ سقاهم ودوا بهم الماء الكثير الذي أعدّه لهم إذا مر فتيانه أن يستقوا قبل ذلك فيكثروا وتجلى الكرم وحسن الأحدوثة في جانب الحسين، كما ظهر اللؤم وقبح الجزاء في الفريق الثاني، إذ جعجعوا به وأرادوا أن يمضوا به إلى ابن زياد سلما، لكن رئيسهم الحر تدارك هذه البادرة بتوبة نصوح، وقتله بين يدي ريحانة الرسول، ولولا ذلك لباء بعار الدهر وكان المثل السوء في قبح الجزاء دون النعمان في جزاء سنمار.

(السادس) أراد الحسين مماشاة الكوفة، فطلب منهم لما تبين له غدرهم أن يلقي حبل الأمة على غاربها متربصا سنوح فرصة أخرى، فيرجع أدراجه من حيث أتى، أو بأي ثغر من ثغور المسلمين، فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم (وفي الأرض للحر الكريم منادح) فخيروه - بزعمهم - بين خصلتي الضبع، إما أن ينزل على حكم يزيد وابن زياد فيقتلاه شر قتلة وأخرى قتلة، أو يؤذن بالحرب والقتال ظنا منهم أنه سيختار الأولى، لعجزه عن مقابلة جيوشهم الوافرة العدد، بفئته القليلة المنقطع عنها المدد،

(١) زهاء: أي مقدار

ولم يؤمنوا بالله ، ليصدقوا قوله (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) وقوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فوجب عليه الدفاع عن نفسه ما أمكنه الدفع عنها ، وأراهم تصديق الآية الأولى ، حيث قابل جموعهم الوفيرة وعساكرهم الجرارة بأنصاره البواسل ، فضاقت الفئة الكثيرة ذرعا بالفئة القليلة ، ثم تجلت فيه عزة الله ورسوله والمؤمنين ،

وتجلت هيبة الله به إذ رمى الله به الجيش اللهاما فزلزل الأرض تحت أقدامهم ، وكاد يقضي وحده عليهم ، حتى صرخ في مسمع الدهر فأخذت صرخته تدوي في أذن الأبد ، وتتناوبها أجواؤه (لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما) فما سريته الرجيع وغيرهما أولى منه في التمسك بذيل الشريعة والتعلق بأهداب الشرف والعاطفة فقتل مبرأ من كل عيب في القتل ، بعد أن أقام الحجة على أهل الكوفة وجادلهم بالتي هي أحسن ، ودعم بالبراهين الساطعة وأتاهم بالسلطان المبين ،

(السابع) قدم الحسين طفله ليستسقي له منهم ، وقد نهى الإسلام عن قتل أطفال المشركين ، والجاهلية في خروجها عن سنن العقل والوجدان لم تبح قتل الأطفال ، فما هو المبرر

لبني أمية في قتله ، إذا كان المعارض لحكم يزيد مهدور الدم ويلزم قتله في شريعتهم الخاصة وعرفهم الذي هم أسسوه فليس للطفل الرضيع إصبع مشتركة في ذلك ، وإن كان طلب الماء له فليتركوا العطش يقتله ليستريحوا من إلحاف أبيه عليهم[1] ، وهم أنفسهم قد أبلسوا[2] ولم ينتحلوا لأنفسهم عذرًا تجاه قتلهم للرضيع بل سقط في أيديهم وكان عاقبة أمرهم خسرًا .

(الثامن) برز للجيش أنصار الحسين واحدًا بعد واحد أو مثاني بعد أن ضاعت فيهم خطبه وخطب أصحابه . وقد حضر بعضهم حروب الجاهلية ، وحضر الكثير منهم جهاد الإسلام فما بال الجيش بقضه وقضيضه وعدده وعدته يحمل على الواحد منهم أو الاثنين ، وههنا تتجلى الشجاعة وعدم المبالاة بالموت في أجلى مظاهرها في أنصار الحسين ، كما ينكشف الجبن والخور وسوء الأحدوثة في الفريق الآخر ، ويجلوه لنا التاريخ رأي العين ، وجاء دور عميدهم وأربطهم جنانًا حسين الشجاعة والفروسية ، فنبه بني أمية على أن يميطوا هذه النقطة السوداء من جبين تاريخ العرب ، فكأنهم أرادوا يزيلوها ، وإذا بهم يزيدونها ، فقد أعطوه حق البراز ، حتى قتل منهم في ذلك مقتلة عظيمة ، وعلموا أنه سيأتي على جيشهم ويمحوه تباعًا ، فغدروا وفجروا غدرة لم يتصورها الجهل ، ولم يحلم بها اللؤم ،

(١) الحف الحافا : ألح الحاحًا (٢) ابلسوا : انكسروا في امرهم وتحيروا

افترقوا اربع فرقٍ على رجلٍ فريدٍ ظنوا ان الخطوب قد اودت حدّ عزمه كلالاً ، فرأوها تزيده شحذاً وصقالاً ، وزعموا ان الوحدة قد اوهنت من عزمه وفتّت في عضده ، فوجدوها تضاعف قوته المعنوية وتزيد في بطشه وجلده ، يا للعجب العجاب يا لضيعة الاخلاق والسنن العربية ، تبعاً للمناهج الدينية في جيش بني اُميّة ، فناقضوه في هتافه وزجره في جمهرتهم (الموت خير من ركوب العار) فوطنوا انفسهم على خزي الدهر وعار الأبد ، وآثروا السلامة من سيفه والتخلص من بأسه ، وان تحملوا عارها وشنارها ، لاسيما لما برز اليه البهمتان المعدان للشدائد المدخران للقاء الاقران ، فالحقهما باصحابهما احدهما تميم بن قحطبة ، فقال يا ابن علي الى متى الخصومة ، وقد قتل اولادك ومواليك وانت بعد تضرب بالسيف مع عشرين الفا ، فقال ؏ انا جئت الى محاربتكم ام انتم جئتم الى محاربتي ، انا منعت الطريق عنكم ام انتم منعتموه عني ، وقد قتلتم اخوتي واولادي ، وليس بيني وبينكم الا السيف ، فقال اللعين فلا تكثر المقال ، فتقدم اليّ ، حتى ارى ما عندك فصاح الحسين صيحة عظيمة ، وسل السيف وضرب عنقه ، فابتعد راسه عن جسده خمسين ذراعاً ضربة لم تعهد في عرفهم و لم يحدثهم بمثلها التاريخ ، فاضطرب العسكر على كثرته

البهمة وهو الشجاع الذي يُبتهم مأتاه على اقرانه وجمعه بُهَم

وَعِنْدَهَا جَيَّ فَارِسُهُمُ الأَخْ ـ ـ يَزِيدُ الأَبْطَحِي ، وَصَاحَ وَيْلَكُمْ إِنَّكُمْ عَجَزْتُمْ عَنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ وَتَفِرُّونَ عَنْهُ ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَى الإِمَامِ - وَكَانَ اللَّعِينُ مَشْهُورًا بِالشَّجَاعَةِ - فَلَمَّا رَآهُ العَسْكَرُ أَظْهَرُوا البَشَاشَةَ وَالسُّرُورَ ، وَعَلَّقُوا بِهِ آمَالَهُمْ وَبَشَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِالنَّجَاحِ ، فَصَاحَ بِهِ الإِمَامُ أَلاَ تَعْرِفُنِي، تَبْرُزُ إِلَيَّ كَمَنْ لاَ خَوْفَ لَهُ ، فَلَمْ يُجِبْهُ بِشَيْءٍ ، وَسَلَّ سَيْفَهُ عَلَى الإِمَامِ ، فَسَبَقَهُ الإِمَامُ وَضَرَبَ وَسَطَهُ بِالسَّيْفِ ، فَقَدَّهُ نِصْفَيْنِ ، فَلَمَّا انْقَطَعَ أَمَلُهُمْ مِنَ الظَّفَرِ بِهِ بِالبِرَازِ ، وَإِنْ تَمَادَى زَمَانُهُ ، وَعَظُمَتْ وَاشْتَهَرَتْ أَقْرَانُهُ ، رَجَعُوا إِلَى طَبِيعَتِهِمْ فِي الغَدْرِ ، وَشِنْشِنَتِهِمْ مِنْ عَدَمِ التَّمَسُّكِ بِالعَهْدِ فَافْتَرَقُوا عَلَيْهِ أَرْبَعَ فِرَقٍ ، كَمَا أَمَرَهُمْ قَائِدُهُمُ ابْنُ سَعْدٍ فِرْقَةٌ بِالسُّيُوفِ ، وَفِرْقَةٌ بِالرِّمَاحِ ، وَفِرْقَةٌ بِالسِّهَامِ وَفِرْقَةٌ بِالحِجَارَةِ

فَزَتَ لِلْمَلأِ الأَعْلَى بِأَجْنِحَةٍ　　　أَعْنِي الظُّبَى وَالقَنَا وَالسَّهْمَ وَالحَجَرَا

أَعَلِمْتَ أَيُّهَا المُحِبُّ، مَا صَنَعَتْ هٰذِهِ الفِرَقُ بِمَوْلاَكَ الحُسَيْنِ ، أَمْ هَلْ تَسْتَطِيعُ سَمَاعَ أَفْظَعِهَا مِنْ مُمَثِّلاَتِهَا ، وَقَدْ فَاتَكَ أَنْ تَرَاهَا نُصْبَ عَيْنٍ ، أَمَّا مُمَثِّلُ الحِجَارَةِ ، وَهُوَ حَجَرُ أَبِي الحُتُوفِ فَقَدْ وَقَعَ فِي جَبِينِ مَوْلاَكَ الأَزْهَرِ ، حَيْثُ سَطَعَتْ عَلَيْهِ دُرَّةُ تَاجِ الخِلاَفَةِ الإِلٰهِيَّةِ الَّذِي عَصَبَهُ بِهِ مَوْلاَهُ

الجليل الأكبر ، وأما ممثل السهام التي تركت جلده كالقنفذ فقد وقع على قلبه الحزين العطشان وكان مثلثاً مسموماً ، فكش على فؤاده ونفث السم فيه ، ولم يخرج إلا من قفاه بعد أن خرج معه منه الثلثان ، وأما ممثل الرماح فقد طعنه به سنان بن أنس النخعي فأرداه صريعاً يجود بدمه ،

وجاء سنان طاعناً بسنانه يرى أنه كان الهزبر المشجعا

وعظم الله أجرك ، وأحسن عزاك ، ويعز عليك أن تسمع ما صنعه ممثل السيوف بمولاك . حيث أخذ شمر لعنه ، يفري به أوداجه ويقطع بشفرته أوردته - واسيداه - وقد تربع على صدره العظيم ، وداس برجله خزانة علم الخلاق العليم ،

وجاء الشمر يقطع منه نحراً بماضي الحد مصقول الحديد
يعز على الكرار أن ينظر ابنه ذبيحاً وشمر ابن الضبابي ذابحه

﴿ مُقتَدٍ و مُقتَدىً به ﴾

لقد نهض الكثير من رجالِ الدهر والأفذاذ المصلحين في العالَمِ ، فبثّوا إرشاداتهم وخدموا الانسانية بإصلاحهم وتعاليمهم في الأُمَمِ ، غير مبالين بما يهدّدهم من الأخطارِ ولا محتفين بما يلاقون من الكوارثِ ، بل مستسهلين الصَعْبَ في سبيلِ نشرِ دعوةِ الإصلاح في الناسِ والقيامِ بمهمّتهم الواجبةِ في تقويم المجتمع والأخذ بيدهِ إلى اعتناقِ المُثُلِ العليا على حدّ قول الشاعر ،

لأستسهلنّ الصَعبَ أو أدرِكَ المُنى فما انقادت الآمالُ إلّا لِصابرِ

وكانَ في الرعيلِ الأوّلِ مِنْ حسناتِ الدهرِ ومفاخرِ الأجيالِ وعُظَماءِ التاريخ أنبياءُ اللهِ ورسلُه الذين خلعَ اللهُ عليهم خِلعةَ السَنيّةَ في نحو قولهِ ﴿ اللهُ يَصْطَفي مِنَ المَلائكةِ رُسُلاً ومِنَ الناسِ ﴾ وفي قولهِ ﴿ اللهُ أعلَمُ حيثُ يجعَلُ رسالَتَه ﴾ فقاموا بوظيفتهم الكريمةِ وثابروا على بعثِ الخلقِ مِن رَقَدَتِه ، وكانَ ذلكَ هدفَهم الوحيدَ الذي جعلوه قُبالَةَ أعينِهم ، فلَمْ يروا غيرَه ، ولم يبصروا سِواه ، ولا تطلب في قِصَصِهم وامتهانهم في أُممِهم أثَرًا بعدَ عينٍ ، فهذا القرآنُ الكريمُ ينادي بأعلى صَوتهِ بما لاقوه من مصاعِبِ حياتِهم ، مِن تكذيبهم ورَميِهم

ـ وحاشاهم ـ بالسحر والكهانة والشعر والجنون ، ثم عقب ذلك بما أكرم به أنبياءه ورسله من القتل على يد شرار أممهم بقوله تعالى (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (وقتلهم الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) إلى غير ذلك من الآيات ، وفي الحديث أن بني إسرائيل كانوا يقتلون في كل يوم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبيا ثم يجلسون في أسواقهم ويتقلبون في أعمالهم ومعايشهم كأنهم لم يفعلوا من ذلك شيئا ، وربما اقتضت المصلحة الالهية أن يكف عن بعض أنبيائه ورسله بأس المعتدين من الأمة وينجيه من القتل نجاة عادية إذ أبى أن يجري الأشياء الا بأسبابها ، أو خرقا لناموس العادة وإرغاما لأنف الطبيعة وهو بعباده حكيم عليم ، ولم نر من صدع بالرسالة معززا بالقوة الكافية الطبيعية والقدرة القاهرة العادية الا أقل القليل الملحق بالفروض النادرة ، أما سليمان بن داود الذي أوتي ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فسخر الله له ملك الانس والجن وسخر له الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، فإنما كان ذلك من باب المعجزة وخرق العادة ، ولكن هلم الخطب إلى سيد بني آدم ومفخرة العالم

نبيّنا محمّد بن عبد الله صاحب الارادة الصادقة الماضية التي لا يثنيها القدر ولا يعارضها القضاء، وربّ العزيمة الجبارة التي كان بها سيّد أولي العزم من الرسل، فقد عاش على ما خاطبه الله تعالى يتيمًا فآوى وعائلًا فأغنى، وإذا به يصدع برسالته العامة على الصفا والمروة في موسم الحاج، وكان المتنفذين في زمانه قريش وحلفاؤها التي ما ذلّت منذ عزّت، وكانوا يعبدون من دون الله ثلاث مأة وستين صنمًا، فيهيب بهم بملأ فيه ويدعوهم لعبادة الله وحده ويسبّ أصنامهم ويسفّه على عبادتها أحلامهم، فنزلت عليهم هذه الدعوة نزول الصاعقة من دون إنذار، وفاجأهم هذا الأمر العظيم من الصادق الأمين المعروف عندهم بالفقير اليتيم، فغلت مراجل شنآنهم عليه وحرصوا على قتله فضلًا عن تكذيبهم له بكل ما أوتوا من قوة، وبذلوا في تحقيق ذلك غاية جدهم وجهدهم، فهم يقتلونه في كل يوم مرارًا، لكنّ الله يعصمه من كيدهم جهارًا، فاحتمل منهم الأذى، وصابرهم بالحلم والأناة وجادلهم بالتي هي أحسن، وتكبّد المشاق في سبيل الله ولوجه الله وحده، وإذا عظمت الغاية عند النفس هانت لديها المقدمات مهما كانت عظيمة،

فلما عجزوا عن مقاومته بالقوة والعنف لجئوا الاستمالته اليهم بالطمع واللطف ، فوعدوه ان يجمعوا له من الأموال ما يكون به أغنى اهل مكة جميعًا ، ويسوّدوه على قبائل قريش كافة ، ان هو ترك الدعوة الى ربه ، وان لم يعبد معهم تلك الحجارة التي يزعمون أنها أربابهم ، فرفض ذلك رفضًا باتًا لا هوادة فيه ، وأجابهم بكلمته الخالدة التي ضرب بها مثل الصبر والجلد ، وصدق العزيمة في التمسك بالمبدأ المقدس ، فقال (والله لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته حتى يظهره الله أو اموت دونه) فشكر الله سعيه واظهر على يده أمره وأتم دينه ولو كره المشركون ، وقد اعاد التاريخ نفسه ولم يمض قرن من الزمن على تلك الرسالة الكريمة ، فرأى سبط ذلك النبي العظيم دين جده الذي ضحى بمهجته المفداة بجملة عالم التكوين في سبيل علاء كلمته ورفع مناره قد تداولته أيدي الأحفاد من أعدائه أول استهلاله وعند ما ترعرع وشب ، وعما قليل سيعود نسيًا منسيًا وتعفو معالمه وتندرس آثاره كأن لم يكن شيئًا مذكورًا ، يوضح لك ذلك قوله عليه السلام (وعلى الاسلام السلام اذ قد بليت الأمة بوال مثل يزيد) فهل تراه وهو وارث النبي ، وحامل عهد الله

على ان يسهر على حفظ دين الله يكتفي من نفسه بان يودّع دين جدّه بهذه الكلمة ليموت بين يديه ، وهو يرى في نفسه المقدرة على كبح عادية المعتدين ، إذن فقد ورث يزيد أبا سفيان في عداوته لدين الإسلام ، ولم يرث الحسين محمدًا باني كيان الإسلام ، وصاحب العزيمة الصادقة التي كان بها سيد أولي العزم من الرسل غير مدافع ، وواحد أبطال التاريخ وعظماء الكون بلا استثناء ، فلم يسوغ له واجبه الديني وجعل سيرة محمد وعلي نصب عينيه الا القيام لكبح عادية الضلال بنفسه وما ملكت يمينه ، ملبيًا صريخ الحق والهدى ، غير مبال أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، متممًا لسيرة جده ومقتديًا بهداه ، مشاركًا له في جنس قضيته وفصولها ، اما انه قتل وسلم الله جده من القتل ، بعد ان عرض نفسه للقتل مرارًا ، ووطنها عليه دائمًا ، فليس هذا بفصل تكثر فيه الانواع بل أمر راجع الى الله فيما يراه من المصلحة لعباده وهو بعباده حكيم عليم ،

وقد قتل الكثير من الانبياء والمرسلين ، كما قص الله علينا ذلك في الذكر المبين ، مبكتًا بذلك على القاتلين دون المقتولين ، بل كثيرًا ما نراه ينوه بذكر المقتولين في سبيله

ويسمهم بالأوسمة الجليلة ، كوسام الشهداء ، ويبرئهم من الموت ، وانما الميت ميت الاحياء (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون) فتمنى القتل في سبيله حياة حياة عز وشرف ، حياة روح طاهر وذكر خالد ، حياة مثوبة وافرة ونعيم مقيم ، ولو كان في القتل آية غضاضة ، ولو لم يكن فيه شرف عظيم لاشترط السلامة منه للمجاهدين في سبيله ، و لكنه تعالى قال (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم)

نعم اقتدى الحسين بجده ولم يأل الاسلام نصرا بجده و جهده ، ورفض طلب امية كما رفض جده اقتراح قريش ، نقتل الحسين وسلم الله جده من القتل بعد ان وطن نفسه عليه ، ولكن اقتراح يزيد على الحسين كان اشد من اقتراح سلفه على جد الحسين ، قريش ارادوا من النبي الا يدعوالى عبادة الله وحده ، وان عبده هو وحده ، ويسودوه عليهم ، ويجمعوا له من الاموال ما يكون به اغنى اهل مكة ، ويزيد

اقترح على الحسين ان ينزل على حكمه فاما يدفعه لسرجون ليقتله بعمه حنظلة او جده عتبة ، او خاله الوليد ، او يقتله قتلةً اخرى هي شرٌ من هذه واخزى ، فنمت به نفسه القدسية فتمنى الموت في سبيل العز والشرف سعادةً ، ورأى القتل في نصرة الدين والهدى شهادةً ، واثر الاستشهاد في سبيل المبدأ المقدس على الحياة مع الظالمين فضلاً عن القتل على الشاكلة التي الفها فيهم مع اصحاب جده و ابيه ، وكيف ينزع الحسين عن دعوته لدين جده طمعًا بحياة موهومة يمن عليه بها قوم انذال اجلاف ، او انتظارًا لقتلة ذليلة يعتقدها على يدي اشرار جفاة ، وهو يرى جده لا يتنازل عن دعوته بعد ان بذل له امجاد مكة واشرافها و انداد كبدها ما بذلوا ، ولكنها البصائر تعمى دون الابصار ، وتقدست ساحة النبي الكريم عن وصمة اعتراض المعترضين وا قتفى اثره وا قتدى بهداه سبطه المسدد وحفيده الكريم

وان تعجب من اعتراض القوم عليه فعجب عدم اعتراضهم على من زعم اقتداءه به ، بل ترى تاريخ الاسلام والعرب يسجل مواقف الكثير من اباة الضيم الذين نهضوا في وجه السلطة القاهرة مقتدين بالحسين بحسب اباءتهم للضيم وانفتهم على النزول على الخسف ، وان كانوا من وجهة تاريخهم في الدين قد خبطوا

خبط عشواء في الليلة الظلماء ، امثال ابناء الزبير و شبيب الخارجي وقطري بن الفجاءة ، وقد اعترفوا انفسهم بتقدم الحسين لهم وتفوقه عليهم وقالوا (ما ترك الحسين لابن حرة عذرا) فتجد الكثير من حملة الاقلام ، ولعل منهم المعترضين على نهضة الحسين يتشدقون بذكر مواقفهم ويعجبون بصبرهم و ثباتهم . زاعمين انهم يحملون للاجيال المتأخرة مفاخر اسلافهم لتكون لهم قانونا يعملون به ، وقاعدة كريمة يجرون عليها ، نقول فما اجدر الحسين ؏ بانشاد هذا البيت ، ولله در قائله ،

اذا مفاخري اللاتي أتيه بها عدت ذنوبا فقل كيف اعتذر

والا فما بال القوم يجعلون مفاخره حسنات لغيره سيئات له ، وانما له مكارم لاولئك المقتفين كما يظنون به ، ذنوبا له دونهم ، فهل كانت لاسم الحسين عليه السلام خصوصية في الاعتراض ، فقد سماه الله بذلك بعد اخيه الحسن وابيه علي وامه فاطمة وجده محمد ، فان اسماءهم تنزل من السماء ، وهي مشتقة من اسماء باري الارض والسماء ، ام هذه الخاصة في الاعتراض لليوم الذي قتل فيه ، فقد كان اهل الجاهلية

يُعظِّمُونَ الأشهرَ الحُرُمَ ، ومنها مُحَرَّمُ الحرامُ ،
وبنوا أُميّة لَمْ تَرْعَ حُرْمَةَ شَهرِها ولا حُرمَةَ نبيّها ، ❁
فقَتَلَتِ ابنَ بنتِ نبيّها في الشهرِ الحرامِ ، بعدما طلبوا
قتلَه في البلدِ الحرامِ ،

قتلوا الحرامَ من الأئمّةِ في الحرامِ من الشهورِ

وإن كانَ الذنبُ للأرضِ التي قُتِلَ فيها ، فإنّها أرضٌ مقدّسةٌ
ولولاها لَما خلقَ اللهُ مكّةَ ولا بيتَها العتيقَ ، وقد ظَفِرَتْ
بدمِهِ الذي نشأ من دمِ رسولِ اللهِ ، وأُريقَ فيها لوجهِ
اللهِ ، فاكتسَتْ به عرصاتُها قبالَ كِسوةِ الكعبةِ من
صنعةِ اليمنِ ،

يهنيكِ يا كربلا وشيٌ ظَفِرتِ به من صنعةِ اليمنِ لا من صنعةِ اليمنِ
حوتْ سبطَ عرشِ الجليلِ العظيم فكلّ المعالي لها راجعه

(حسب قدرتنا البشرية)

سأل سائل عن النهضة الحسينية أكانت جهاداً أم دفاعاً أم هي أمر ثالث فقلت له – على البديهة – كانت نهضته ع في أول الأمر جهاداً، ولكنها رجعت في آخر الأمر دفاعاً، والتفصيل لما كنت أجملته – أن نهضة الحسين كان ينطبق عليها قانون الجهاد، لأن أهل الكوفة بايعوه في بادئ الأمر وتبرعوا بوعدهم إياه بالنصر والقتال بين يديه إلى آخر قطرة من دمائهم – وهم من هم – في شدة البأس والصبر عند اللقاء وصدق الجلادة في ملحمة صفين وواقعة النهروان، والحسين وإن كان محبوباً لذاته ومرموقاً لمعناه، ولكنهم شددوا عليه الاستصراخ ولم يتركوا له عذراً في عدم الإجابة بأن معالم دين جده قد اندرست، وآثاره قد انطمست، فنبهوا منه غير غافل واستثاروا غير قاعد، إنه كان يرى ذلك قبل كل أحد، ويرى شريعة جده قد امحت أو كادت، بما أحدثه معاوية من البدع والضلالات، تكميلاً لما مهده له سلفه الغابر، فعاد يمحو الدين باسم الدين ويقتل باسم محمد بسيف محمد، أليس هو الذي قتل حجراً وأصحابه أن لم يبرؤوا من أمير المؤمنين

وسيد الموحدين ، وكان سبه والبراءة منه عند معاوية من صميم الدين ومن الفروض الواجبة في الاسلام ، وقد ذكر رسول الله مصرعهم وقتلهم ظلما وترحم عليهم ، كما انه قتل كثيرا ممن سواهم غيلة وجهرا باتهام قتلهم لعثمان ، واعظم من قتله لاولئك الابرياء بل قل الصلحاء الاتقياء اتخاذه سب علي بن ابيطالب سنة لا رخصة في تركها بعد الخطب وفي الصلوات ، وقد تواتر عن النبي ان من سب عليا فقد سبه والساب للرسول ساب لله ، فقد عاش معاوية طيلة عمره يسب الله جهرا ويبرأ منه علنا لأن الشكل الاول بديهي الانتاج تعرف ذلك حتى البهائم و الوحوش ، وقد قال لا اترك ذلك حتى يشيب عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ــ وكذلك فعل وقد نبه على ذلك ابن عباس ، اذ وقف على قوم يسبون عليا ، فاخذ الغايات وترك المبادئ ، اذ قال ايكم الساب لله ، ثم قال ايكم الساب لرسول الله ، ثم ذكر لهم المبادئ ، اذ انكروا النتيجة بتاتا ، فقال ايكم الساب لعلي بن ابيطالب ، وحقق لهم عن النبي ان من سب عليا فقد سبه ، ومن سبه فقد سب الله ، اذن فلا معنى لانكارهم سب الله وسب الرسول ، وهم يسبون عليا وما لنا نطيل الشواهد على ما ندعيه ،

وهذا الحسين سبط من أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب يقول في كتابه لأهل البصرة (فانا ادعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه فان السنة قد اميتت والبدعة قد احييت) هذا كله في زمان معاوية وقد كان الحسن عقد معه صلحا لم يف معاوية بشيء من شروطه، كما قال هو نفسه (ألا واني قد اشترطت للحسن شروطا ألا وانها كلها تحت قدمي) ولكن الحسن واخاه تاما بشروطهما، ورأيا السكوت في زمن معاوية أجمل لقلة الانصار كسكوت رسول الله ص من أول نزول الوحي الى واقعة بدر، أما بعد هلاك معاوية وبعد أن تربع يزيد على عرش الخلافة - خلافة الرسول - وهو المعروف بالانغماس في الشهوات والمجون(١) بين القرود والفهود والخمور والفجور والمزامير والمغنيات والقيان والطنابير، وقد أوصاه معاوية باكمال العمل واتمام الامر، وان لا يبقي لهذا الدين اسما ولا رسما، ويمحو أهل هذا البيت عن جديد الأرض، فلا يبقي منهم شعرة واحدة، فلم يسع شهيد الحق وبطل الاسلام وحامية الدين والهدى ان يسكت عن هذه المنكرات، وفيه عرق ينبض ونفس يتردد، وهو يرى دين جده يموت ضحية شهوات يزيد، هذا وأهل الكوفة ذوو المنعة والنجدة والعدد والعدة يهيبون به ان عجل قدومك الينا،

(١) مجن مجونا : مزح وقل حياءً كأنه صلب وجهه والاستهتار والخلاعة بفارابه

فليس لنا إمام غيرك ، حتى بلغت كتبهم عنده - في نوب متفرقة - اثني عشر ألف كتاب ، وكتبوا إليه فيما كتبوا أن لك في الكوفة مائة ألف سيف ، ويكفيك أن تقرأ خطبته عليه السلام بأصحاب الحر فإنه طبق فيها المفصل إذ قال (أيها الناس إن رسول الله قال من رأى سلطانا جائراً مستحلاً لحرام الله ، ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان ، وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود ، واستأثروا بالفيء ، وأحلوا حرام الله ، وحرموا حلاله ، وأنا أحق من غيري ، وقد أتتني كتبكم ، وقدمت علي رسلكم ، أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني ، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم ، فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله ص ، نفسي مع أنفسكم ، وأهلي مع أهليكم ، ولكم في أسوة ، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم ، وخلعتم بيعتي من أعناقكم ، فلعمري ما هي لكم بنكر ، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ، فالمغرور من اغتر بكم فحظكم أخطأتم ونصيبكم ضيعتم ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه ، وسيغني الله عنكم والسلام)

انتهى الحسين من خطبته هذه فلم يرد عليه احد في شيء مما اشتملت عليه ولم يعارضه بواحدة من فقراتها الا رئيسهم الحر الرياحي ، فانه قال له ما ادري ما هذه الكتب التي تذكر ، فامر الحسين عقبة بن سمعان ، فاخرج خرجين مملوين كتبا ، وسكوت الحر وغيره عن غير هذه الفقرة تقرير لغيرها وتصديق له بكل ما تفوه به • وهو الصادق الأمين ، واي شيء ينكرون من هذه الخطبة الشريفة ، أينكرون حديث رسول الله ، فانه لا بد ان يكون متواترا ، لأنه في الامور السياسية التي تمس لها الحاجة كثيرا ، ام ينكرون ان مضمونه ينطبق على يزيد ، فان يزيد في هذه وفي غيرها من المنكرات اعظم واشهر ، ام يقولون إنه ليس ابن رسول الله فهم يعلمون انه ما على ظهر الأرض من جد رسول الله غيره ، ام يجحدون مكاتبتهم له فهذه اثنا عشر الف شاهد على دعواه (وشهود كل قضية اثنان) ولكن أتدري ما كان جوابهم على سؤاله عن تمسكهم ببيعته ليجب عليه النهوض بهم لجهاد اعداء الدين ، او نكثهم لها ولا عجب في ذلك ، فلهم سوابق كثيرة مثلها ، وغدرات بابيه واخيه وابن عمه مسلم بعضها اعظم من بعض ، نعم لقد كان جواب ممثلهم وعميدهم الحر اشد مما يتصوره الحسين

فيهم ويأمله بهم من الغدر فقد أجابه بكل صلف ، وهم يقرؤون رأيه (إني أمرت أن لا أفارقك إذا لقيتك حتى أقدمك الكوفة على ابن زياد أو أمضي بك وبأصحابك إليه سلمًا)

يا سبحان الله الحسين يقوده الحر فيمضي به لابن زياد سلمًا بألف رجل كاد العطش يقضي عليهم لولم يسقهم الحسين ع الماء ومعه العدد والعدة والشدة والبأس والنفوس الأبية والأنوف الحمية . لقد أخطأ سهم الحر ووجب على الحسين قتله وقتال أصحابه كما أشار بذلك زهير ، ولكن سيرة الرسول والوصي والزكي نصب عين الحسين ، وهم يكرهون أن يبدئوا عدوهم بالقتال ، والحر لم يبدأ بالقتال بل أخذ يمانعهم بالسياط ثم أدركه العجز عن مقابلة سياط الهاشميين بها . فشرع للفريقين طريقًا نصفًا كانت له فيه العاقبة الكريمة ، وحلب حالبًا كان له شطره واقتطف من بذره تلك الثمرة الجنية ، إذ هداه الله بعد بضعة أيام ، وقتل شهيدًا بين يدي سيد الشهداء وفاز فوزًا عظيمًا .

إلى هنا كانت نهضة الحسين جهادًا إذ وفى أهل الكوفة ببيعته ، وبذلوا نفوسهم دونه كما كانوا وحيادًا

إذا وجدهم على الغدر الذي ألفه فيهم مع أبيه وأخيه وابن عمه ، وقد نزع عن الجهاد لما رأى مثلهم الحر على صدق الطاعة لبني أمية وأخبره أن الذين كاتبوه ، ورأى أسماءهم في صحفه هم جلساء ابن زياد ، أي خاصته وبطانته وعيبة نصحه ، فأراد الحياد بأن يمضي في هذه الأرض العريضة الطويلة ، حتى يأتي ثغرا من ثغور المسلمين ، فيكون له ما لهم وعليه ما عليهم ، لأنه إذا كان له في الكوفة مائة ألف سيف - كما زعموا - فقد قابل أبوه جيش الشام بسبعين ألف سيف من هذه المائة ، وقد كانوا (سبعين ألفا رامحا ونابلا) كما يقول معاوية ، فأخضعوهم وكادوا يقضون عليهم ، وحيث ألفاهم على الغدر أراد أن يرجع عنهم من حيث أتى ، وكأن لم يكتبوا له بشيء ، ولم يجبهم بشيء ، فيكون محايدا ، له عمله ولهم عملهم ، غير أنهم آنسوا من أنفسهم القوة وظنوا أنه يضعف عن مقاومتهم ، ولا بد أن يجيبهم على اقتراحهم كائنا ما كان ، ولا سيما عندما تلاحقت بهم العساكر في أسرع الأوقات ، كأنها السيل الآتي[1] أو كوكوف الهاطلين ، فلم تقنع منه ببيعة يزيد ، كما اقترحها عليه عامله الوليد في المدينة ، ولا بأن يمضوا به و

(١) هو السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك

باصحابه الى ابن زياد سلما ، كما فاجأه بذلك الحر قبل ايام يسيرة ، بل طلبوا عليه النزول على حكم ابن زياد ويزيد ، ولاشك عنده انه سيقتل اذا نزل على حكمهم حقيرا ذليلا ، فوجب عليه الدفاع عن نفسه واصحابه وذرية رسول الله ﷺ من اهل بيته ، ومن قتل مدافعا دون مظلمة عن اهله وماله قتل شهيدا ، فكيف اذا قتل مدافعا عن نفسه ،

هذا رسول الله حزن اعمق الحزن على ستة من اصحابه - وهم اصحاب الرجيع - حيث غدر بهم بنو هذيل ، فاظهروا الاسلام ، وسألوا الرسول أن يبعث معهم من يعلمهم القرآن ، ويبين احكام شريعة الاسلام ، فاجابهم الى ما سألوا ، ولما بلغوا بهم الى ماء هم الرجيع غدروا بهم ، وقالوا لهم (انا والله ما نريد قتلكم ، ولكنا نريد ان نصيب بكم من اهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه الا نقتلكم) يريدون انكم آمنون من القتل ، بل قصدنا ان نمضي بكم الى مكة فنجعلكم في أسر اهلها ، ليدفعوا لهم اسراهم بدلا عنهم ، لان محمدا لابد ان يلين لها جانبا ويعمل في فكاك أسراه ، فامتعض المسلمون من ذلك وآثروا ان يموتوا كراما على الحياة في ذلة الاسر ،

وان يلين جانب نبيهم لأعدائه من اجلهم ، فشهروا سيوفهم وقاتلوا حتى قتل منهم اربعة ، ووصل اثنان الى مكة اسيرين ، فاشترى صفوان بن امية زيد بن الدثنة ، ودفعه الى عبده نسطاس ليقتله بابيه امية ابن خلف الذي قتله بلال يوم بدر ، وصلب قرينه خبيب بن عدي في التنعيم ، في مجمع من الشامتين والمتفرجين وهنا تذكر المثل السائر بين الناس (ما اشبه الليلة بالبارحة) استدعى هذيل اصحاب النبي ليرشدوهم ثم غدروا بهم وارادوهم ان يستأسروا لأهل مكة اعداء نبيهم ، لعله يخضع لهم بعض الخضوع ، واستدعى اهل الكوفة الحسين سبط الرسول ، ليخرجهم من الظلمات الى النور ، وليقيم عمود الدين والاسلام ، ثم غدروا به ، وارادوا منه النزول على حكم يزيد وعامله ابن مرجانة ، ورفض اصحاب الرسول طلبة هذيل رفضا باتا ، وان علموا بسلامتهم ، ولكنهم قتلوا لاسيما الاسرى على غير حسبانهم ، وعلى غير ما تقتضيه النواميس العربية ومن يكون اصحاب الرجيع في جنب الحسين في تمسكهم بالدين وانفتهم عن النزول على الخسف ، وقتل نسطاس زيد بن الدثنة بسيده امية ، وصلب خبيب في مجمع قريش

العرب الأقحاح الذين يتحملون ثأر العرب إن هم خرقوا نواميسهم ونقضوا مناهجهم ، فأخفروا جوارهم وقتلوا أسارهم العزل من السلاح وقد أسروا غدرا ، وبعد أن رفعوه على خشبته ضربه أربعون رجلا منهم بأربعين سيفا ، والناس لا منكر منهم ولا مغير ، والمعترض يريد أن يستأسر الحسين بل ينزل على حكم يزيد وعامله ابن زياد بن أبي سفيان ، أو ابن عبيد ، عبد بني علاج أو ابن أبيه ، كما تقول عائشة ، ليدفعاه إلى دريد مولى زياد ، أو سرجون مولى معاوية ، فيقتله بعمه حنظلة الذي قتله علي بن أبي طالب يوم بدر ، أو يصلبه على خشبة في مجمع الشامتين والمتفرجين من الشامتين ، وعلم أصحاب الرسول أنه سيخضع لعدوه من أجلهم بعض الخضوع ، فرفضوا ذلك وقدموا أنفسهم ضحية عزته بعد الله ، وعزتهم بعد رسول الله ، والمعترض يريد من الحسين أن يقف موقف المتفرج ، وهو يرى يزيد يقتل جده رسول الله ص بقتل دينه ، ويمحو ذكره من حيز الوجود بمحق ملته وإطفاء سرج شريعته من حفاظ عهد الله وحملته ، فما ذكر لنا ويح لواحد

من بني الإنسان رفضاً للنزول على الخسف و اعطاء الدنية، كما ذكر ذلك للحسين عليه السلام، وهذه كلمته الكريمة تشع مع الأجيال، وتخلد في دنيا الآباء والعظمة خلود الشمس والقمر، (لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برما)

فسامته يركب إحدى اثنتين ... وقد صرت الحرب أسنانها
فإما يرى مذعناً أو تموت ... نفس أبى العز إذعانها
فقال لها اعتصمي بالآبا ... فنفس الأبي وما زانها
إذا لم تجد غير لبس الهوان
فبالموت تنزع جثمانها
فآثر أن يسعى الى جمرة الوغى ... برجل ولا يعطى المقادة عن يد
وهل كيف يضرع وهو الأبي ... وهل في الآبا سيد ضارعه

(وبعض الفوائد التي توخاها)

يقول المعترض ما الذي حصل للحسين في نهضته ، وهل هو إلا رجل شاغب السلطة القائمة ، وقد غرّه أهل الكوفة بما كتبوا إليه مع أنه قد جرّب غدرهم وخيانتهم بأبيه وأخيه فأكلوها بخيانتهم فيه ، ولم يستتب له أمر خلافته فيها ، ثم عرض نفسه للقتل إذ قابل تلك الجموع الغفيرة بعصابته القليلة ، فلم يكتب له النصر حتى قتل وأصحابه ، وأوقع عائلته بذل الأسر والسبا من بعده ،

تتصفح البلدان صورة بينها أشكال بارزة بذل المثل

هذا مبلغ علم النفوس الضعيفة ، هذا ما يتراآى من النظر في التاريخ سطحيًا ، هذا منتهى ما يتخيله أرباب العقول القاصرة عن التفكير العميق ، وسبر الحقائق الجليلة لأجل البلوغ إلى أغوارها ، ولقد ذكرنا في تضاعيف كلماتنا السابقة كثيرًا من الغايات التي توخاها الحسين ، وكانت أول الفكر في نهضته ، فأحرزها في آخر عمله بل ضاعفها الله أضعافًا كثيرة ، زيادة على ما أمل وعلاوة على ما كان يحسب (والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)

فلو أن الأمور واتت الحسين، كما يظهر من أنقياد الكوفة أهل المنعة والغلبة على جنود الشام في ملحمة صفين، بل القضاء عليهم - لو لم يخدعهم ابن النابغة - لأعاد الحسين دين جده غضًا طريًا، بعد أن أخلقته السياسة الأموية، وطوحت بنواميسه الأهواء الغاشمة والأيدي الأثيمة، وهذا ما لا يجد المعترض لإنكاره سبيلاً،

أما إذا لاحظنا ما وقع في خارج الأمر من خيانة الكوفة به، وقتله على يدها، بعد أن لم يعط الدنية من نفسه فينزل على حكم يزيد ليقتله شر قتلة وأخزى قتلة، و يمثل به أقبح مثلة، وليسومه الخسف والهوان والذلة،. فنقول لقد بلغ الحسين والله ما أراد من نصرة دين جده الذي أخذ الله عليه العهد لينصرنه ولا يخذلنه، وإلا كان - وحاشاه - ظالمًا، وقد قال تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) وقد سجل التاريخ للكثير من ذوي النفوس الكبيرة الذين لم يبلغوا الغاية في أعمالهم إلا بتضحية نفوسهم وقرت عيونهم في الحياة الخالدة الأبدية بنيل طلباتهم و إدراك آمالهم من هداية الخلق وتوجيههم إلى وجه الحق، و هذا القرآن الكريم - فوق الكل - يذكر توطين الأنبياء نفوسهم على القتل فيشكره لهم، سواء قتلوا كما أراد أممهم ذلك أو نجاهم الله

مِن كَيدِهم كخليله ابرٰهيم الذي نجّاه بلطفه مِن نارِ النمرودِ قهرًا للطبيعةِ وقسرًا للعادةِ ، وكافضلِ انبيائه لديه واكرمِهم عليه واحبِّهم اليه نبيِّنا محمّدٍ ، فقد وطّن نفسَه على القتلِ ، ولم يشُكّ في قتاله من سمع صيحةَ ابليسَ في وقعةِ اُحُد ، لِانّ الأمورَ مواتيةٌ على قتاله ، ونجاته لُطفُ مِن الله لم يكن بحسبانِ احدٍ ، وقد ذكر اسفُ الانبياءِ على اُممِهم الذين اهلكهم الله بدعوةِ انبيائهم ، فاصبحوا خامدين كقومِ نوحٍ وهودٍ واخوة صالحٍ وشعيب . فانّ الأنبياءَ ودعاةَ الاصلاحِ كلهم ، وانِ اختلفوا في النتيجةِ وواقعِ الأمرِ لكنهم في بدءِ الامرِ موطنون انفسَهم على القتلِ ، ونجاحُ الدعوةِ هو غايةُ امالِهم ، ادركه من ادركه ، ولو بعد قتله كالحسين ، وفاته من فاته كنوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيب ، وقُتِلَ من قُتِلَ منهم كالحسينِ ، ونجّى الله بلطفه من كانتِ الحكمةُ في نجاتِه كجدّ الحسين ، والله اعلمُ بمصالحِ انبيائه واوليائه ، وله فيهم حكمةٌ بالغةٌ ، وتدبيرٌ هو اعلمُ بوجهِ مصلحتِه ، وهو بعبادِه حكيمٌ عليمٌ ، ليس له معينٌ ولا ظهيرٌ ، ولا وزيرَ له في تدبيرِ مملكتِه ولا مشيرَ يريد فيقضي ويحكم فيمضي ،

اَمّا الاهدافُ التي اصابها الحسينُ في نهضتِه الكريمةِ وادركتها عقولُنا هذه المحدودةُ الأفاقِ ، فلا يكادُ يأتي

عليها البيان ، ودع عنك الأمور التي خفيت علينا و هي أجل وأكثر كما خاطبنا الله بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وهي تعتمد على قاعدتين ، وتدور على محورين (الأول) شرف العاطفة ، وعزة النفس واحياء المجد ، بمعانقة مصارع الكرام ، وتقديم ذلك على اعطاء الدنية والخضوع إلى مداني اللئيم ومساوي الاخلاق ، طمعاً بعيشة موهومة في ايام منكودة ، وهذا ما لا نحتاج في اثباته إلى التدليل عليه ، واستمع اليه ينشدك بلسان حاله

تريد على مكارمنا دليلاً ... متى احتاج النهار إلى دليل

فان في قوله (هيهات منا الذلة) وقوله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل كفاية لمن تدبر ، او القى السمع وهو شهيد ودع قوله (لا ارى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا برما) وحاشا مجده وعلاه وصدق لهجته أن يحابي نفسه ، فيصفها بما ليس فيها ، وهو من اهل بيت اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ،

(الثاني) - وهو الركن الأعظم والقاعدة الكبرى - نصرة دين الله وحماية سنة جده رسول الله ، فلقد ضرب - كما قال ابوه امير المؤمنين - انف امر زمانه وعينه ،

وَقلبَ ظهرَهُ وبطنَهُ ، فلم يرَ لهُ إلاّ القتالَ او الكفرَ بما جاءَ بهِ جدّهُ محمّدٌ ، وها نحنُ نبيّنُ لكَ ما نستطيعُ - كما يحتملهُ موضوعُ الكتابِ - مِنْ وجوهِ نصرهِ لدينِ جدّهِ في نهضتِهِ لأعلاءِ منارهِ واستشهادهِ في سبيلِ بناءِ مجدهِ، واللهُ وليُّ التوفيقِ ،

(الأوّل) لا إخالُ أحداً يشكُّ أنَّ معاويةَ أعظمُ مداراةً لأبناءِ زمانهِ مِنْ يزيدَ ، ويزيدُ أسرعُ انقياداً لميولهِ وأهوائهِ وعدمِ اكتراثهِ بما ستجرّ عليهِ العاقبةُ وبما يثمرُ لهُ هذا الاستهتارُ والخلاعةُ والمجونُ ، وقد نهاهُ معاويةُ عنِ الجهرِ بهذهِ المنكراتِ (وويلٌ لمن كفّرهُ النمرودُ) فما ذا قضى معاويةُ خلافتَهُ بسبِّ اللهِ ورسولهِ ، والكنايةُ عن سبّهما بسبِّ أميرِ المؤمنينَ ، كما في حديثِ ابنِ عبّاسٍ أفترى يزيدَ لا يقضي حياتَهُ بسبِّ اللهِ ورسولهِ جهراً وبصريحِ المقالِ وطيِّ المقدّماتِ ، مِنْ دونِ حاجةٍ إلى الكنايةِ والتوريةِ ، غيرَ أنَّ الظروفَ التي أحاطتْ بنهضةِ الحسينِ أخذتْ بمخنقِ(١) يزيدَ وأزعمتهُ أنْ يقسرَ نفسَهُ ، ويريدُ أنْ يسيطرَ عليها ، فيظهرَ مظهرَ محبٍّ للحسينِ حتّى بكاهُ وأنكرَ أنْ يكونَ أمرَ بقتلهِ ، وعضَّ إصبعَهُ ندماً على ما فرطَ بزعمهِ مِنْ عاملهِ ابنِ زيادٍ ، وأمرَ نسوتَهُ بالبكاءِ عليهِ ، وقالَ الهرّ

(١) المخنق : موضع حبل الخنق من العنق او العنق نفسه

(أنذ بنه فانه صريحة قريش) و والله لو لم يقتل الحسين، لأكمل يزيد سيرة أبيه واتمها بسب الرسول جهراً وسب الله علناً لا سراً. أما تراه في بعض الأحيان إذا جاشت به عواطفه، ولم يستطع كبح جماح هواه، يضرب بمخصرته ثغر حفيد رسول الله، بعد إنكاره في ملأه الحاشد لرسالة نبي الله ومصطفاه قائلاً،

لعبت هاشم بالملك، فلا خبر جاء ولا وحي نزل

ثم يأمر خطيبه أن يرقى المنبر ويسب علياً والحسن والحسين، وهكذا فعل عدو الله، فان هذا السب وهذا الأنكار لرسالة الرسول هو مقتضى طبعه وعفو قريحته، وذلك الثناء على الحسين والندم على قتله لم يكن له سبب إلا قتل الحسين عليه السلام، وكان قد تكلف ذلك (مكره أخاك لا بطل)

(الثاني) لقد ذكر الله الأمم التي هلكت بدعوة أنبيائهم ورسلهم - مبكتاً عليها - بعد أن كذبوهم وأصروا واستكبروا استكباراً كما قال تعالى (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) والحسين أرسله الله على يد جده رسول الله، لإصلاح المجتمع الإسلامي، وقد تدهورت أخلاقه في خلافة معاوية إلى حد بعيد،

وذلك بعد أن دعاه أهل الكوفة ، وحلفوا له بالأيمان المغلظة أن يتركوا بني أمية أعداء دينه ، وليوجههم لوجه الحق ، وما خرج أشرًا ولا بطرًا ، فأحيوا معه تاريخ الأمم السالفة ، وجاء نصر الله عليهم ، كما نصر رسله الكرام المتقدمين ، فهلكت تلك الأمم بالغرق وبصيحة جبرئيل وبالريح العقيم ، وما الى ذلك ، و هلكت أمة الكوفة بأن غرقت بدمها من سيف الحسين و أنصار الحسين ، كما قالت شقيقة الحسين (ان أخي ما ترك دارًا بالكوفة الا و فيها نائح أو نائحة) وهلكت بقية سيف الحسين بدعاء الحسين عليهم ، وقد أفاض الله على علمه أنه قد استجاب له فيهم ، حيث قال (اللهم احبس عنهم قطر السماء ، وابعث عليهم سنين كسني يوسف ، وسلط عليهم غلام ثقيف - يريد به المختار - يسقيهم كأسًا مصبرة ، ولا يدع فيهم أحدًا الا قتلة بقتلة وضربة بضربة ، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم ، فانهم غرونا وكذبونا وخذلونا ، وأنت ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير) أما ابن سعد ، فقد أخبره بعاقبة أمره خاصة مناصحًا له ، حيث قال ادعوا لي عمر بن سعد ، فدعي له - وكان كارهًا

لا يحب ان يأتيه - فقال (يا عمر انت تقتلني، و تزعم ان يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنى بذلك ابدا، عهدا معهودا، فاصنع ما انت صانع، فانك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصبيان ويتخذونه غرضا بينهم) والا فقد كان المختار نفسه لم يحدث نفسه بذلك، ولم يصدق ما حدثه به الثقات من انه سينجو من سيف ابن زياد وسجنه، ثم يتولى قتله وقتل جنوده الذين قتلوا الحسين بامره، وعلى رأسهم ابن سعد الذي عدة الحسين، فكان قتله على يد المختار، نعم والله

دعوة المظلوم لا ارد لها انه يسأل حقا فيجاب

نقول فقد خص الله الحسين وفضله على سلفه من الانبياء بان حظي لديه بالشهادة، وادرك غرضه من هداية امة جده حيث نهض ارادة اصلاحها وهداها، وهلكت الامة التي عارضته بأن يشق طريقه الى مقصده، فغرقت من سيفه بدماها ومن دعائه ببوارها، وقطع دابر القوم الكافرين، والحمد لله رب العالمين،

(الثالث) قتل بنو امية الحسين، ونسوا الله

فأنساهم أنفسهم واستدرجهم وأملى لهم ليكيد لهم الكيد المتين ، وليجعلهم سلفاً ومثلاً للآخرين غرّ يزيد هذا الاستدراج وخدعه هذا الإملاء له ، فعقّب قتل الحسين بواقعة الحرّة ، وأخذ جيشه يخوض بدماء المسلمين من أهل المدينة وأباحها ثلاثة أيام بلياليها لرجاله الأشقياء المتوحشين ، وختم أعماله الثلاثة في سني خلافته الثلاث برمي الكعبة بيت الله الحرام بالمنجنيق وعندها أخذه الله أخذ عزيز مقتدر - وأعوذ بالله من غضب الحليم - يقول أمير المؤمنين ع (ولئن أمهل الله الظالم فلن يفوت أخذه ، وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه ، وبموضع الشجا من مساغ ريقه) وانتهت حوالي هلاك يزيد دولة آل أبي سفيان ، وقامت على أنقاضها(1) دولة مروان وآل مروان ، أمّا إمرة مروان نفسه فكانت قصيرة حقيرة كلعقة الكلب أنفه ، كما أخبر عنها أمير المؤمنين قبل وقوعها ، وقام بالأمر بعده أول أكبشه الأربعة عبد الملك ، فكتب إلى عامله الحجاج (جنّبني دماء بني علي ، فإنّي رأيت آل أبي سفيان هلكوا بإراقتها) ولكنّ ابنه الأحول المشوه هشاماً لم يعتبر كما اعتبر أبوه ، بل ظنّ أنّ الله سيستدرجه ويملي له كيزيد ، فقتل زيد بن علي بن الحسين

(1) الأنقاض جمع نقض : اسم البناء المنقوض إذا هدم

وَصَلَبَهُ عُرْيَانًا بعدَ القتلِ اربعَ سنينَ ، ثُمَّ كتبَ الى عامِلِه اشقى ثقيفٍ ان انزِلْ عجلَ اهلِ العراقِ وَاحْرِقْهُ وَذَرِّهِ في الهواءِ ، وهكذا فعلَ الرجسُ الزنيمُ ، فاستاءَ رأيُ الامةِ الاسلاميةِ مِنْ بني امية كافةً سُفيانيهم وَمروانيهم ، وخرجوا مِنَ النفوسِ جمعاءَ ، ومجتهم مجموعةُ البشرِ ، وهكذا انتهت دولتهم بتاريخها المشوّهِ الممقوتِ ، غيرَ مأسوفٍ عليها ، وَتسنّى بسببِ طلبِ ثارِ الحسينِ وَزيدٍ منها انتزاءُ بني العباسِ على كرسيِّ الخلافةِ ، وَاصبحتْ دولةُ بني مروانَ في السجلِّ الاسودِ مِنْ خبرِ كانَ ، تبعًا للدولةِ التي قتلتِ الحسينَ مِنْ الِ ابي سُفيانَ ،

(الرابعُ) لقدْ صحَّ في التاريخِ انَّ الوليدَ بنَ يزيدَ لعنه بلغَ الحالُ به في فسوقِهِ وفجورِهِ انْ شربَ الخمرَ على ظهرِ الكعبةِ بيتِ اللهِ الحرامِ ، وقدْ كانتِ الجاهليةُ على وحشيتها وَهمجيتها تحرّمُ الصيدَ في حرمِها اربعةَ فراسخَ مِنْ اربعةِ جوانبها وَيرى الرجلُ منهمْ قاتلَ ابيهِ اوْ اخيهِ ، في هذا الحرمِ فلا يتعرّضُ لهُ بسوءٍ مِنْ تهديدٍ وتوعيدٍ فضلاً عنْ انْ يثأرَ منهُ وكانَ ذلكَ عفوَ الطبعِ وَمقتضى العادةِ ، وَالّا فانَّهم لايدينونَ بدينٍ ، وَلا يأتمونَ بكتابٍ ، وَجاءَ الاسلامُ فزادَ في حرمتها وعظمتِها ما تقتضيهِ شريعتهُ العظمةُ وَيفرضُه دينُ الحقِّ

والعفو والرحمة ، واستفتح خليفة المسلمين هذا يوما بالقرآن ، فجبهه القرآن بما يقتضيه حاله واعتباره المناسب له ، (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فغضب عدو الله على القرآن وتهكم بمن انزل القرآن ، وقام وقعد ، وطغى وتمرد ، وتكبر وتجبر ، و كفر وفجر ، فجعل القرآن غرضا للسهام وهدفا للنشاب ، وقد انتفخت اوداجه غضبا ، واسود وجهه غيظا وحنقا وانشد لعنه الله

تهددني بجبار عنيد ، وها انا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر ، فقل يا رب خرقني الوليد

ولا اخالك تشك ان ابن معاوية يزيد ، لا يقل باستهتاره وفجوره عن الوليد بن يزيد ، كلا لعمرك بل هو عليه يربو ويزيد ، ولكنه لما رأى نفسه قد افتضح بقتل الحسين وأخذته الالسنة من جميع اطراف مملكته ، حتى في عاصمة الشام المشومة ، بل في داره تهر طبيعته ، وسيطر على نخيرته واراد ان يظهر مظهر محب للثقلين ، صدين حميم للعترة والقرآن ، فيقول في العترة ثقل النبي الاصغر (لعن الله ابن مرجانة ، عجل عليه فقتله ، ولو كنت صاحبه لعفوت عنه ، ثم يأمر السفيانيات من عائلته واهل بيته ،

(أندبنه فلعمري إنه لصريحة قريش) وأما القرآن ثقل النبي الأكبر فتراه يحض الأمة الإسلامية على تلاوته ، ويحثهم على قراءته وأن لا يفارقوه آناء الليل والنهار ، حتى جعله أجزاء وأمر بتفريقها على أفراد كل كتلة وجماعة تجتمع في مسجد وغيره ، وكان غرضه أن يلهوا بقراءة القرآن عن الخوض في حديث قتل الحسين - لأنه كان ولا يزال حديث النوادي والمجالس ويشغلهم عن الفحص الدقيق عن تعيين قاتله ، فينتهي بهم التنقيب والتدقيق إليه ، أجل (يكاد المريب يقول خذوني) وأراك تعتقد معي أنه لو لم يقتل الحسين ثقل النبي الأصغر لسكر يوماً خليفة المسلمين هذا وأحرق كل نسخة توجد على جديد الأرض من كتاب الله الثقل الأكبر ، بدلاً عن تخريق الوليد لواحدة من نسخ القرآن المجيد ، وجعله غرضاً للنشاب ، حيث هدده بجبار عنيد ، إذن فالحسين قتل لأحياء القرآن ، وكأنه يشير إلى ذلك بل يصرح ، حينما يرتل آي القرآن برأسه المقطوع المرفوع على رأس السنان فيتلو (وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون)

غير ان يزيد ربما ضجر من هذا الخروج على طبعه (والطبع يغلب التطبع) فينفجر بركان عواطفه وتحتدم وقدة كفره والحاده ، فيأتي بأعظم مما اتى به الوليد بن يزيد ، كما قلنا انه يربو عليه ويزيد اجل فقد شرب الوليد الخمر على بيت الله الذي بناه خليل الله من الطين والحجر ، وشرب يزيد فسكر وصب فضلة الشراب - الله اكبر - على بيت الله الحقيقي الذي خلقه بيد عظمته وبناه من معدن الحكمة والفضل والعصمة قائلاً (ما شربنا الآن من هذا الشراب ورأس عدونا بين أيدينا ،

ويحمد رب العرش شكراً بقتله وكان فتى لا يعرف الحمد والشكرا

ولكنه صب الخمور ، فما له يصب إزاء الرأس رأس التقى خمرا

٭

البحث الآتي والذي يليه من مكملات هذا البحث

(والتشيع حسيني)[١]

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة

ولولا أبو طالب وابنه … لما مثل الدين شخصاً وقاما

فذاك بمكة آوى وحامى … وهذا بيثرب جس الحماما

أجل لقد مات والد رسول الله ، وهو حمل في بطن أمه في أشهر الروايات ، وأصبح رسول الله يتيماً من أمه وأبيه في السنة السادسة من سني عمره الشريف ، فكفله جده عبد المطلب ، وعلم من الرؤيا - والرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة - ومن اتصاله بأهل الكتاب الأول كالأحبار والرهبان ومن الكواهن والكهان ، أن سيكون لابنه هذا اليتيم شأن من الشأن وسيدعو الخلق لعبادة الله وحده ، وتبلغ دعوته منتهى الخف والحافر (والمكرمات كثيرة الحساد) فمن هذا شأنه لا بد أن يكثر حساده ، وتتوافر أعداؤه وأضداده ، لا يختص ذلك بالأبعدين الأجانب ، بل تهون عداوة أولئك إلى جنب عداوة الأقارب ، لذلك اختار أبا طالب من بنيه لأنه أخو عبد الله لأمه وأبيه ، ولما وجد من حبه له وحدبه عليه ، ولما ألفه من الصرامة

(١) لقائل أن يقول الإسلام … إسلام محمدي والعلوي إنما هو التشيع كما هو المتبادر إلى الذهن

والشجاعة وصدق العزيمة فيه ، فعهد اليه ان يكفله ويؤويه ، وينصره ويحميه ، وجعل الله عليه كفيلاً ، وكفى به شاهداً ووكيلاً ، فقام أبو طالب بحمايته وايوائه ، كأمر ابيه عبد المطلب ففداه بنفسه وما ملكت يمينه من القتل ، وغامر بحياته دون وصول كيد الاعداء لابن اخيه اليتيم الكريم ، ولم تزل الارهاصات تتوالى ببشارته ان سيولد من صلبه لهذا النبي اقوى ساعد ، واعظم معين ومساعد ، وسيكون له وصياً ، وتحقق ذلك لما هتف به هاتف السماء ان سمه علياً ، هذا علاوة على ما رآى من خرق العادة في حمل هذين الجليلين ، واشراق العالم واهتزازه فرحاً وطرباً لولادة هذين الجنينين ، واخذ الوليد ينمو في الشهر كما ينمو غيره في السنة ، وقد ملأ السرور قلب ابيه ان رأى الألفة تنمو اعظم من نمو الجسد بين ولده الجديد وبين حبيبه ابن اخيه ، واذا خلق علي لغاية نصرة محمد ، واذا رأى أبو طالب ولده ينمو في الشهر كما ينمو غيره في السنة ، حتى مضت على ذلك سنون ، فكان فيه القوة الكافية لحماية محمد ، بل القدرة العظيمة لنصره على اعدائه ، فما يمنعه ان يدفعه اليه ليفديه بنفسه احسن فداء ، وليقيه بمهجته

— فسترى ان علياً نفس محمد بمنطوق آية المباهلة ، وهم كلهم نور واحد وما عقل

شرّا الاعداء ، مع انه يرى ابنه يرحب بهذه الأمنية ، ويكبر من ابيه هذه اليد ، ويشكر له هذه النعمة ، التي خصّه بها دون اخوته الثلاثة ، وكلهم اكبر منه (وربّ صغير في الحال كبير) فاخذ عليٌّ يتبع الرسول ص اتباع الفصيل أثر امه ويلازمه ملازمة ظله ، كما قال في نهج بلاغته (وقد قرن الله به صلى الله عليه واله من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل أثر امه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، و لقد كان يجاور في كل سنة بحراء[1] ، فاراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله و خديجة ، وانا ثالثهما ، أرى نور الوحي و الرسالة ، واشمّ ريح النبوة ، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ص ، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد أيس من عبادته ، انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى ، الا انك لست بنبيٍّ ، ولكنك وزير ، وانك لعلى خير) وجاء جبرئيل و ميكائيل و اسرافيل يوماً الى النبيّ ، وهو نائم بالابطح على ساعده ،

واستمع إليه يحدثنا ، والحديث منه أعذب وأحلى
قال : رقدت بالأبطح على ساعدي ، وعلي عن يميني
وجعفر عن يساري ، وحمزة عند رجلي ، قال فنزل
جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ففزعت لخفق أجنحتهم
قال فرفعت رأسي فإذا اسرافيل يقول لجبرئيل الى أي
الأربعة بعثت وبعثنا معك ، قال فرفس برجله ،
فقال الى هذا ، وهو محمد سيد النبيين ، ثم قال من
هذا الأخر ، قال هذا أخوه ووصيه ، وهو سيد الوصيين
ثم قال فمن الأخر ، قال جعفر بن ابي طالب ، له جناحان
خضيبان يطير بهما في الجنة ، ثم قال فمن الأخر ،
قال عمه حمزة ، وهو سيد الشهداء يوم القيامة ،
نقول فهل يبقى بعد هذين الحديثين ومئات من أمثالها
شك يخامر قلب منصف ، يطلب الحق لوجه الحق أن
بذرة الاسلام هي بذرة التشيع ، وقد أنزلها الله لرسوله
على يد ملائكته ، وغرسها بيده رسول الله وكفرها[1] ،
وأخذ يتعاهدها بالسقي في مثل حين نزل عليه قوله تعالى
(وانذر عشيرتك الأقربين) فجمع بني عبد المطلب ،
ليبين لهم أنه لم يتخذ عليا وصيا له وخليفة ووزيرا محاباة
له ، لأنه ربيب بيته بل جعل لكل فرد منهم الخيار في اختيار

(١) كفر الحبة بالتراب : غطاها وسترها .

هذه المنزلة والاستئثار بها اذا سبق للتصديق برسالته، وكم عاودهم في مثل هذا الأمر قولا، كيوم عمرو بن عبد ود وفعلا كيوم مرحب، فلم يجب دعوته الا علي، ولئلا يضيع صوت الرسول ادراج الرياح قام علي وكان اصغرهم سنا فاجلسه النبي قطعا للمعاذير وخوف ان يقول قائلهم لولا تسرع علي لكنت الملبي للدعوة وعاودهم في ذلك ثلاثا، ثم اشهدهم انه وصيه وخليفته ووزيره،

فنمت بذرة الهدى وزكت اذ ثمر الدوح تابع للبذور

ونزل القرآن تباعا يذكر التشيع ولا يريد به الا الاسلام، ويذكر الاسلام ولا يعني به الا التشيع (انما انت منذر ولكل قوم هاد) فقال له النبي انا المنذر، وانت الهادي، (فان حزب الله هم المفلحون) فقال له النبي يا علي هم انت وشيعتك فان حزب الله اذا كانوا هم الشيعة لا يفلحون وهم شيعة فحسب اي ليسوا بمسلمين ولما نزل، (اولئك هم خير البرية) قال له النبي (هم شيعتك وانت اميرهم) افترى تكون الشيعة خير البرية، وهم شيعة لا مسلمون، واكدت المعجزات الصادرة على يد الرسول ما جاء به القرآن معجزة المعجزات، فكان النخل الصيحاني يحيي محمدا بالرسالة وعليا بالوصية والولاية

وكانت الحجارة التي يرميها بها الكفار تمر عليها وتجبها (١) تجبه النخل الصيحاني ، وجاءت الشجرة تخد الارض خداً ، كما اقترح ذلك قريش على النبي ، فوضعت غصنها الأعلى على رأس محمد ، وبعض أغصانها على منكب علي ، تشير الى النبوة والوصية ، فكانت براهين الاسلام ومعجزاته دلائل للتشيع وآياته ، وكان تحطيم الأصنام من صميم دعوة الاسلام ، فكان يركب النبي لغاية تحطيمها على كتف الوصي ، فلا يستطيع أن ينهض به او ينوء قيد شعرة واحدة وهو الباسل قوي العضلات عظيم الكراديس (٢) ، ولكن الدوحة لا ترسو على فروعها واغصانها ، بل تثبت على اصلها وجذورها ، فاذا استقرت رجلا علي على منكب محمد ص نهض به الى تحطيم الاصنام ورميها عن ظهر الكعبة ، ووجد الوصي في نفسه من نهوض النبي به ما لو اراد أن يتناول الكواكب الثوابت فيقلعها من فلكها لاستطاع الى ذلك سبيلا هذا وفي ظني ان الكفار من قريش يعتقدون ان دعوة الاسلام هي دعوة التشيع ودوحة التشيع هي دوحة الاسلام ولعلهم عرفوا ذلك من تنويه محمد به لذلك لم يأسفوا ان لم يظفروا بنبي الاسلام محمد ، ولم يفرقوا بين قتله وقتل امام الشيعة علي ، فقالوا لا نبالي

(١) تشقها شقا (٢) الكراديس كل عظمين التقيا في مفصل

اصبنا محمدًا او عليًا) وحرصوا على قتله ، لان قتل التشيع قتل الاسلام ، وظنوا انهم اصابوا بغيتهم ولعل صاحب الرسول في الغار يشير بكلامه الى ما فهمه قريش حيث قال له (لا ارى عليًا الآن الا وقد قتل في مكانه) ومراده انك لم تصنع شيئًا فانه اذا قتل علي قتل التشيع ، وقتل الاسلام ، وهو مبدأ ذلك الذي فرزت طلب سلامته وبغية حياته ، واقره الرسول على هذه العقيدة غير انه رد عليه ان الله كما نجاني من كيدهم و انا في الغار ، فصرفهم عني بعدان كانوا من قتلي كقاب قوسين او ادنى ، كذلك نجى عليًا من بطشهم به و ارادة مكرهم في تضييع دمه بين قبائلهم لان الله معنا نصره عليهم وردهم يدق بعضهم بعضًا بسيفهم الذي اخذه من يد ممثل بني مخزوم المقدم على قتله دون اصحاب خالد بن الوليد ، ولم يولهم ابو الحسن الدبر ، ولو تظاهرت عليه العرب كلها (وان ينصركم الله فمن ذا الذي يخذلكم) وما لنا نطيل على القاري كثيرًا ، وهذا كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ، وغيره من الكتب المعدة لهذا الغرض اذا راجعها المنصف وجد ما نقول كالنار على المنار واعدل شاهد قوله له ،

(يا عليّ ما آمن بي من كفر بك ، ولا اهتدى إلى من لم يهتد إليك) ونحوه مما يطول ببعضه الأملاء وأخذ التشيّع غزوات الأسلام كلها على عاتقه ، وقامت على كاهله

أيّ الغزوات خلت منه هذا التاريخ ونقده

غير أن الحسد لعلي في هذه الأونة أخذ يدب في صدور منافسيه ومن انضوى إليهم لأنهم قد أيسوا من أنفسهم أن يشقوا غباره وهكذا جرت سنّة البشر في كل عصر أن كل ذي نعمة محسود ،

إن يحسدوك على علاك فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا (١)

نصار للأسلام معنىً عام ، وله آثاره المختصة به ، كالأطلاق والمعاشرة والتوارث وما إلى ذلك ، وله معنى خاص هو الصحيح منه ، وهو مطلوب الشارع المعبّر عنه بالأيمان والتشيّع ، فكان محمد نبي المسلمين ، وكان عليّ أمير المؤمنين ، وعليه نزل قوله تعالى (لا تقولوا آمنا وقولوا أسلمنا ، ولما يدخل الأيمان في قلوبكم) ورأى الرسول أن تشعّب الأهواء والحوادث المتأخرة ستدعو إلى تشجن الآراء والعقائد وتفرعها عن الأسلام بمعناه العام كما رأى ذلك في أمة موسى وعيسى فقال مشيراً إلى الأسلا

(١) أما عداوتهم له لأنه قتل صناديدهم في غزوات الأسلام فلا يحتاج إلى بيان

الصحيح (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقون في النار) وفي كثير من روايات هذا الحديث التصريح لعلي بتفسير الفرقة الناجية ، (وهم أنت وشيعتك) وأراد الله ورسوله القضاء على كل شبهة تدعو إلى عقيدة من هذه العقائد ، وتكون فرقة من هذه الفرق ، اذا رأى المجتمع الأسلامي نور الحق فاستضاء به ، وأراد المبالغة في تسجيل الحجة على من ضل وغوى ، فنصب النبي عليا يوم الغدير ، حتى قال قائلهم (ما رأيت كاليوم ما صنع محمد بابن عمه ، لو قدر أن يصيره نبيا لفعل) وجرت أحداث وخطوب وانتهى الأمر إلى الملك العضوض ملك معاوية ، فغاظه واقض مضجعه أن يرى الأسلام راسيا على ركنيه ثقلي النبي الكتاب والعترة ، فجلل منبر الشام بقميص عثمان وجعله لواء للثار من محمد بالقضاء على دينه ، بادئا بالتشيع ، واذا فرغ منه ثنى بالأسلام العام فلو رجع الزمان معي بك القهقرى لرأيت التشيع يقضى عليه فيموت ، والأسلام بمعناه العام يضعف ويهرم ويهدد من لدن معاوية بالخطر العظيم ، (وما هو الا هامة اليوم أو غد[1]) وكيف يرى للأسلام الصحيح اثر ومعاوية يفرض في مملكة الأسلام سب امير المؤمنين ع

(١) مثل يضرب لمن يموت اليوم او غدا

وانّى يبقى للتشيع رمق ، ومعاوية يجعل بني امية هم آل محمد الذين تجب الصلاة عليهم في تشهد الصلوات ، بعد الاقرار لله بالوحدانية ، ولمحمد بالعبودية والرسالة ، أم كيف لا يقبل الرأي العام طامات معاوية الذاهبة ، وهو يرى المعمّرين من صحابة الرسول كأبي هريرة ومحمد بن مسلمة يروون لهم عن رسول الله ما يوحيه لهم كفر معاوية بالله والحاده برسالة رسول الله ، وهذا سمرة بن جندب يحبو الى الثمانين ، وقد حضر مع الرسول وقعة احد وغيرها فهو شهيد بالقوة بين يدي رسول الله ، يبيع معاوية ضميره ووجدانه بثلثمائة ألف درهم ، فيوطن نفسه على دخول جهنم ويصعد المنبر ، وقد اكتظّ(١) المسجد بأهل الشام فيقول اخزاه الله - سمعت رسول الله بأذني هاتين والا فصمّتا انه نزل في علي قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو الدّ الخصام ، واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) - وهي والله نزلت في اعداء علي من الخوارج المارقين الذين بشّره رسول الله بقتلهم(٢) - وانّ قوله تعالى (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله

(١) اكتظ : إمتلأ من الناس (٢) وقد روت عائشة عن النبي انهم شر البرية يقتلهم خير البرية

والله رؤوف بالعباد) نزل في ابن ملجم قاتل علي - و
هي ورب العزة نزلت في علي عليه السلام لما بات
على فراش النبي ص -

نعم قضى معاوية على التشيع بنشر هذه المبادئ
في مملكة الاسلام حتى درج عليها الصغير والكبير و تتبع
الشيعة قتلاً وسماً وتشريداً وسجناً وتمثيلاً ، ولكن
ما من عام الا وقد خص فقد بقي الحسين من عترة الرسول
وشرذمة يسيرة من الرجال تتخفى في زوايا الخمول ، في
البصرة والكوفة وحفنة من النساء اللاتي سجنهن عند
عماله كامرأة عمرو بن الحمق الخزاعي ، وهددهن بالقتل
اذا اشخصهن اليه بحجة رجزهن يوم صفين ، وتحريضهن
على قتال جيشه ، فكان هؤلاء الشجا المعترض في حلقه
والقذى الذي يجول في عينيه ، وادركه الموت ولم
يسترح منهم ، ليتفرغ لمحق الاسلام بمعناه العام ، ونعم
باله فلا يعود يصعق بسماع اسم محمد في الاذان وغيره ، او
قل لا يسمعه الا بالسب المقذع المترادف كسيل الأتي ،
تبعاً لاسم اخيه علي ، فاخذ على عاتقه خليفته يزيد
اكمال العمل واطراد السير ونجاح امنية ابيه التي دفنت معه
(وكم من حسرة تحت التراب) فساق له امض العتاب قائلاً

لا تقطعن ذنب الأفعى وتتركها ... إن كنت شهماً فالحق رأسها الذنبا
أتقتل الشيعة وتترك إمام الشيعة ، وتريد أن تمحو الإسلام واسم نبي الإسلام ، ولا تمحو ثقله عن جلد الأرض ، وتقلع دعامته من أساسها ، لذلك جعل قتل الحسين باكورة أعماله ، ونزوله على حكمه ليقتله وأنصاره براعة استهلال خلافته ، فإذا قتل الحسين ؑ وصفوة أنصاره الذين بايعوه على الموت وبذل مهجهم فيه ثنى بمن بايع الحسين من أهل الكوفة وعطف بهم على من سجنهم عامله ابن زياد فقتلوهم ، واستأصل شأفة التشيع ، ثم عطف على الإسلام العام ، وقضى لبانات[1] أبيه معاوية ، وتمناه أن يحضر مع أشياخه الذين قتلوا ببدر ، فإنهم لو حضروه على هذه الحال ولو من باب فرض المحال

لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

وعندما استيقظت عزيمة نصير الإسلام وحاميه مجمع النورين اللذين انبثق منهما في غار حراء ضياء (ألا لله الدين الخالص) الذي يقول الله فيه (إن الدين عند الله الإسلام) وعرف مغزى يزيد ، وقدر سوء عاقبة نواياه فوّدع الإسلام وداع الموت ، إن استتب الأمر ليزيد ،

(١) اللبانات جمع لبانة : الحاجة من غير فاقة بل من همة .

وابنه تأبين أصحاب القبور، إن هو لم يتداركه بنصرته ولم يستعن بالله على معارضته، والضرب على يد كفره وإلحاده فقال - وقد أرسلها زفرة من قرارة نفسه، وتصاعدت معها شظايا فؤاده - (وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براعٍ مثل يزيد) وفكر أعمق التفكير في معارضة هذا الخطر العظيم، والسيل الجارف لبناء الإسلام القالع له من أساسه، وإذا الكوفة تهيج كأنما في صدره، وتعده بالنصر لأبعد غاياته، فكان في قدومه إليهم على إحدى الحسنيين إما الفتح إذا وفوا له على خلاف جاري عادتهم، أو الاستشهاد والتضحية في سبيل الله، ولكنه رأى الطريق الثاني أسرع لنشر دعوته وإدراك مناه وطلبته، فإن أهل الكوفة هؤلاء هم أصحاب صفين الذين نصروا أباه، ثم خذلوه بخديعة ابن النابغة فكانوا - كما قال لهم - كالحامل لما أقربت أملصت، غير أن الحسين لم يجد بداً من مماشاتهم - لما ذكرنا - فسار إليهم طلب نصرهم كما وعدوه، وهو والله يسير إلى القتل بكربلاء، وبلوغ الدرجة المغشاة بالنور التي لا ينالها إلا بالشهادة، كما وعده جده حينما رآه في عالم الرؤيا، وهو لا يشك أنه رآه، وبالغ في تسجيل الحجة على خصومه، إذ طلب إليهم أن يتركوه يمشي في هذه الأرض الطويلة

العريضة، وهو يرى المنية اقرب من جوانحهم والقتل اسرع من ردّ البصر، فلم يبرح ان قتل، فكان المثل الاعلى لنصرة الدين وارتفع رأسه لواءً للتشيع وراية لنصرته، وشارة لعزة الاسلام، وانتقل عهد الخلافة الالهية لأول تكوينها الى خليفته زين العابدين فاراد يزيد قتله ليستريح من ثقل النبي الاصغر، فيثني بالاكبر فيقضي على الاسلام بهدم هاتين الدعامتين، فلم يجد هو وعماله وعسكره الذين قتلوا الحسين الى ذلك سبيلاً، لأن ولده الباقر لم يستعد بعد لتحمل العهد، وهيهات ان تخلو الارض من حجة (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) واراد يزيد ان يشفي غيظه، فيتدارك عدم قدرته من قتل ثقل النبي باسره وسبي عائلته، ليجعل الحسين خارجياً يجوز التفرج على عياله والشماتة بهم، فيؤكد في الاذهان ما ذكره فيها معاوية من ان امية آل محمد وثقله الاصغر واحدى الدعامتين لدينه، ولهذا ذادوا عن حوضه كل باغٍ خارج عليه ومن يبغي سوءاً او غائلة فيه، كهذا الرجل المجهول الحسين، ولا يعرف من مشخصاته الا تسميته بالحسين، فهو خارجي خرج على السلطان، لم يعرف الى اي قبيلة ينتمي ولم يعلم لولادته زمان، ولا لحياته بيئة او مكان، ولكن اترى يزيد ادرك غرضه ام اصاب هدفه، كلا لعمرك

بل أراد الله وأراد يزيد ، أراد الله أن يحيي التشيع بالحسين ، وأراد يزيد قتله بقتل الحسين ، ولله القدرة القاهرة ، وما شاء الله كان (له الأمر وله الحكم وإليه ترجعون) فقد تمثل التشيع بالحسين وعصابة الحسين ، ورفع رأسه بهم غالباً بعد انخفاضه في طامات معاوية ، ودبت في جسمه حياة جديدة ، بعد أن مات أو كاد ، ولم يبق منه إلا الصبابة كصبابة الأناء ، وارتفع رأس الحسين لواء له ، فكتب له فيه النصر ، وسرى خليفته وأساراه معه ، فبهر العالم ظهوره وشع في كافة الآفاق نوره وإذا بالأمر ينعكس على يزيد فعاش يزيد ليموت مبدؤ يزيد ، وقتل الحسين ليحيا مبدؤ الحسين ، وأخذ التشيع يشايع في تقدمه الساعات والأيام بماجريات[1] أسر عيال الحسين ، وما دعت اليه خطبهم من تذمر الرأي العام ، والأخذ بيد المظلوم ، واندحرت مبادئ معاوية ويزيد (وكل عزيز غالب الله مغلوب) أراد يزيد أن يدخل في نفوس المسلمين ، فخرج منها ، وأراد أن يحبب نفسه عند الرأي العام فأبغضه ومقته بل تبرأ منه ولعنه ، وكان عاقبة أمره خسراً وهكذا استدرجه الله وأملى له ، فأباح الحرم النبوي لجيشه الوحشي ، وهدم الكعبة المعظمة في آخر عمره ، فبتره الله ، وأخذه أخذاً عزيزاً ، وكان قتل

(١) الماجريات : الحوادث والكلمة محدثة مأخوذة من قولهم جرى ما جرى

الحسين هو السبب الوحيد لهذا الاستدراج وهذا الأخذ بعده ، وترعرع التشيع وشب في حياته الجديدة في موت دولة آل أبي سفيان بهلاك يزيدهم ، ودا هو البلوغ في هرم الدولة المروانية ثانية دول بني امية ، وأملى الله لها فقتلت زيد بن علي بن الحسين ، وصلبته اربع سنين وأنزلته وأحرقته وذرته في الريح ، فانفجرت براكين غيظ التشيع وهاج هائج الشيعة ، إذ نكأ[1] هشام بقتل زيد قرحة قتل الحسين بسيف يزيد ، والعهد قريب والجرح لما يندمل ، واستغل بنو العباس فرصة تحرق الشيعة بل الرأي العام على بني امية ، فثاروا بهم مظهرين الطلب بدم الحسين وآل الحسين ، ولبسوا السواد زاعمين انه كان حزنا على الحسين ، ولم يكفهم حتى جعلوا منه أعلامهم فسموا المسودة ، وقدموا الشيعة امام نيل بغيتهم من تسنم عرش الخلافة وطلبهم بثار ابراهيم وقد قيل (الظالم سيف الله ينتقم به وينتقم منه) فانتقم من بني امية ببني العباس ، وأدالهم الله منهم ، وأدرك التشيع يوم ذاك البلوغ والفتوة ودخل في ريعان الشباب وغضارة الصبا ، حيث ثنيت الوسادة للصادق سليل الحسين ، ليفتي شيعة علي والحسين ، بأحكام محمد جد الحسين ع ،

(١) نكأ القرحة : قشرها قبل ان تبرأ ، وفي العدو : قتل فيهم دجرح وأثخن

فكان المجدد لمذهب التشيع في أول قرونه هو باني كيان الإسلام ، وغارس نواته التي هي نواة الإسلام ، وكان المجدد له في ثانية مئاته ، حفيده الصادق بعد أن بعث الحسين فيه حياة جديدة يوم قتله وما جرى في نهضته فجدير أن ينسب رأي التشيع إليه ، بعد أن ينسب الإسلام بمعناه العام إلى أبيه ، والمذهب من حيث أحكامه إلى ولده الصادق ، فيقال (الإسلام علوي ، والتشيع حسيني والمذهب جعفري)

نعم ثنيت الوسادة للصادق ، وتظاهر بنوا العباس باكرامه والحفاوة به ، لأن دولتهم قامت على الدعوة للطلب بثار الحسين ، فكيف يعارضون في الأحكام الشرعية عالم آل محمد من ذرية الحسين وقد كان بشرهم بالخلافة بعد أن بايعوا عليها محمد بن عبد الله الحسني فتطلعت لها نفوسهم من ثنايا اشتباقها وراوه يردها ويدفعها عن نفسه وهم يعلمون أنه أولى من مهديهم بقول شاعرهم ،

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

فكثر رواد فضله ، وازداد منتجعو غزير علمه ، حيث أعاد على ذاكرتهم كلمة جده الوصي باب مدينة علم النبي ص ،

(سلوني قبل ان تفقدوني) حتى قاس بعض اصحابه صدور هذه الكلمة منه بجواز السلام عليه بامرة المؤمنين فقال له يوما (السلام عليك يا امير المؤمنين) فزجره الصادق، وبيّن له ان هذا الوسام اختص الله به عليا سيد الوصيين. ورأى الصادق ان الحسين في نهضته بعث في جسم التشيع روحا جديدة. فاخذ يمهد وسائل تجديدها ويرفع قواعد تخليدها اكبارا لها وتمجيدا لشأنها واعترافا لها بالفضل والاحسان. واذعانا لقاعدة ان علة الحدوث هي علة البقاء. فكان يحث شيعته على احيائها وكان اذا هلّ المحرم جلس للعزاء على جده الحسين، وكان يدعو الشعراء لرثائه. كابي هرون المكفوف ونحوه. وههنا سانحة فكر تدلهمها لعلك لا تشك بعد الاذعان اليها ان التشيع حسينيّ. وهي ان المجددين لمذهب التشيع من المعصومين في زمن الحضور كانوا ثلاثة اولهم غارس نواته في غار حراء - كما قدمنا - وحامل رسالة السماء نبينا محمد ﷺ، وثانيهما الثاني قرونه جعفر الصادق الذي عرّب التنويه بذكره، وثالثهما حفيده الرضا، حيث ثنيت له الوسادة كما ثنيت لجده الصادق جعفر الذي نسب اليه مذهب الشيعة، وقد وجدنا هؤلاء الثلاثة اعظم المعصومين تنويها بالحسين

وسيرهم مفعمة بالحزن على ما أصاب الحسين ، وقد تواتر الحث الأكيد عنهم زيادة على غيرهم على إقامة عزائه والبكاء على ما لحقه ، فهل يكون هذا كله من باب الصدفة ، أم أنهم كانوا أعظم المؤيدين به ، كلا ، فإن رأيي الخاص أنهم لما كانوا المجددين لمذهب التشيع - دون غيرهم من المعصومين - كانوا أعظم من غيرهم توجيهاً للناس لمأساة الحسين ، فهم يجددون التشيع بتجديد حادثة الحسين ، وهم يقرنون بين المعلول وهو التشيع وعلته وهي حادثة الحسين وأنت إذا تتبعت الأخبار الواردة في الحث على البكاء على الحسين عن مجموع أهل الذكر من آل الحسين ، تؤمن بما استفدناه كل الإيمان ، أما النبي فسل عنه كتب الفريقين من إخباره دائماً بقتل حبيبه الحسين ، وتقبيله لنحره دون أخيه الحسن لأنه موضع سيف شمر ، ولغيره من مواضع سلاح القوم الظالمين ، ولقد عدها الفريقان من دلائل نبوته وأعلام رسالته ، وسل عن الصادق أبا هرون المكفوف والحميري الشهير وغيرهما من شعراء زمانه ، وسل عن حفيده الرضا الريان بن شبيب وإبراهيم بن العباس وغيرهما من جلسائه ورجاله ورواة أخباره لا سيما دعبل بن علي ، وخذ المثل من حديثه نفسه ، وقد دخل عليه في أحد أيام المحرم ، إذ يقول دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى الرضا

- في مثل هذه الأيام - فرأيته جالسا جلسة الحزين الكئيب وأصحابه من حوله ، فلما رآني مقبلاً قال لي مرحبا بك يا دعبل مرحبا بناصرنا بيده ولسانه ثم إنه وسع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه ، ثم قال لي يا دعبل أحب أن تنشدني شعرا ، فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت ، وأيام سرور على أعدائنا خصوصا بني أمية ، يا دعبل من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحدا كان أجره على الله ، يا دعبل من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا ، يا دعبل من بكى على مصاب جدي الحسين غفر الله له ذنوبه البتة ، ثم إنه عليه السلام نهض وضرب سترا بيننا وبين حرمه وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين عليه السلام ، ثم التفت إلي وقال يا دعبل ارث الحسين ، فأنت ناصرنا ما استطعت ، قال دعبل فاستعبرت وسالت عبرتي وأنشأت أقول ،

أفاطم لو خلت الحسين مجدلا ... وقد مات عطشانا بشط فرات
إذن للطمت الخد فاطم عنده ... وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي ... نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بجنب النهر من أرض كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات

توفوا عطاشا بالعراء ، فليتني
توفيت فيهم قبل حين وفاتي الخ

في تضحية الحسين عليه السلام بنفسه

كان الأذان للصلوات الخمس من النواميس التي بالغ الرسول صلى الله عليه وآله في توطيد قواعدها وحرض المسلمين على تخليدها في الأمة قولاً وفعلاً ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وجاء دور الملك العضوض - دور خلافة معاوية - فسفى على وجه الزمان وفقئ في عينه الحصرم أن يسمع اسم محمد يهيب به المؤذن(١) في الصوامع وعلى منارات الجوامع ويدعو المسلمين لتكتظ بهم المساجد فيصلوا ويسجدوا لوجه الله وحده ، ويذكروا اسم محمد وآل محمد في كثير من أوراد الصلاة ولم يستطع لسره كتماناً - وهو المعبر عنه بالداهية - حتى أنشى ذلك إلى المغيرة ابن شعبة ، وقد خرج عن طوره الذي يعهده فيه من الدهاء حيث احتدمت وقدة غضبه وحنقه بسماع اسم ابن أبي كبشة يخلده الله إلى الأبد دون غيره من الخلائف مصرحاً له بأنه (لا أخبر في الحياة لا أم لك إلا دفناً دفناً) طبيعي والحالة هذه أن يفكر معاوية أعمق التفكير في إزالة هذا الحجر الذي يعتبره خال المؤمنين حجر عثرة في طريق عقيدته بديهي أن يسهر ليله متململاً تململ السليم إذ لم يجد الظروف مواتية لإمضاء عزيمته في محق هذه الكلمة من الأذان

(١) أهاب بصاحبه دعاه ، والراعي بغنمه صاح بها لتقف .

لأن مضمون هذه الكلمة زمام غيره من مضامين تلك الكلمات التي سنأتي على تفصيلها ، فما غاظه لفظها بل معناها ، ولكن ما يصنع إذا قدر في نفسه انتهاء حياته ، ولم يتسن له قلع هذا الحجر الأساسي من هذا البناء المحكم ، نعم لا بد أن يلتجئ لأن يوصي خليفته يزيد ، ليكمل سيرته ويبلغه مناه ، وإن كان في عساكر الموتى ، لأنه يعهده بالأقدام والصرامة لا يداري أحدا في نيل مقاصده ، ولا يداجي فيخشى العواقب في بلوغ أوطاره من شهواته ، ولم يكتف خال المؤمنين من نفسه تجاه ذلك أن جعل سب أمير المؤمنين من أعظم فصول الأذان ، فكان بعض المؤذنين يسبه كل يوم بعد الأذان ألف مرة ، وفي يوم الجمعة اثني عشر ألف مرة ، حتى شاب عليه الصغير وهرم عليه الكبير ، حتى جعل ذلك من العقائد الإسلامية في أذهان المتدينين البسطاء ، ولم يرض من وجدانه بأن يقنت عليه وعلى أصحابه ويجعل سبهم من أعظم أوراد الصلاة ، وأدركه الموت ولم يبلغ مناه بأن لا يذكر اسم محمد في الأذان ، فالتجأ الى الوصية لخليفته ماضي العزيمة صارم الإرادة لتحقيق كل ما هوى نفسه الأمارة بالسوء ، فأوشكت تاعد الأذان

ان تتداعى ، واشرف بناؤه المحكم ان ينهار ، وكل ذلك بعين الحسين ، ولم تخف عليه طامات معاوية وخلفته الجديد طرفة عين ، لذلك فكرا عمق التفكير في دحض مطالب امية والوقوف في تيار نوايا هم السيئة في الاسلام وعدم بلوغ امالهم وادراك امانيهم ، فاعطا الله مناه بقتله وشكر الله سعيه بمفاداته وتضحيته ،

وعساك تقول ما هو خطر الاذان ، وما اثره العظيم في المجتمع الاسلامي ، وماذا يكون اذا نقصت منه كلمة واحدة ، وهي الشهادة لمحمد بالرسالة ، ليقتل الحسين نفسه على تخليدها الى الابد كما تقولون ، وكيف كان قتل الحسين اخر الاسباب لهذه الامنية التي ادركها وحظي بها كما تزعمون ، ولكنا نقول اما الاذان فهو شعار المسلمين ليجتمعوا للصلاة التي هي احب الاعمال وافضلها عند الله بعد معرفته وهي عمود الدين ، واذا قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها ، وهي العلامة الفارقة بين المسلم وبين ان يكفر في كثير من رواياتنا ، ويكفيك ان ترى القرآن الكريم وثقل النبي الاكبر يكرر ذكرها ويوصي باقامتها ويبالغ في ذم تاركها بل يكفيك ان تتلو منه اية واحدة هي قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

تنهى عن المنكر والفحشاء   اقصر هذا منتهى الثناء

ولولا خطره لما كرر في اليوم خمس مرات لتقبل قلوب المسلمين قبل آذانهم وتستقبل بكل نشاط وارتياح مضامين هذه الفصول وتستشف هذه الجواهر والكلمات التي انتقاها الوحي من صميم العقيدة الاسلامية والدرر الغوالي التي تخيرها من معدن اصول الدين المحكمة وفروعه المقررة المتقنة . فيكرر المؤذن (الله اكبر) اربع مرات لان افضل الاعمال معرفة الله باثبات صفات الكمال كلها له وتنزيه جلاله عن صفات النقص ، فاذا قال المؤذن ، (الله اكبر) (١) بحذف المجرورين ، فهل تعرف ما للحذف من فوائد لا ينهض بها الذكر ؟ وتنبو الالفاظ عن ادائها حق الاداء اليس معناه ، تقدير كل ما يمكن ويناسب مقتضى الحال ، واعظمها الله اكبر من ان يوصف بصفة ، و اعلى من ان يعرف بكنهه حق المعرفة ، واعظم من ان تدركه العقول ، واجل من ان يلحقه نقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فاذا اذعنا لمعنى هذه الجملة لم نكن توهمنا بل نكون قد اكبرناه ان يحد بحد ، او ان يكون له مثل او ند (فليس يعرف الا الله ما الله) ونكون قد ناقضنا المشركين كل المناقضة اذ جعلوا له شركاء من خلقه ، وما قدروا الله

(١) ولهذه الفصول في الاخبار تفاسير اخر ، ولكنها بلون خفية فراجعها في مظانها

حق قدره ، ولما لمعرفة الله بهذا القدر الممكن لنا وخطرها في نظر الشارع الحكيم كررت على الملأ الأسلامي اربع مرات تأكيدا بعد تأكيد ، ولم يكتف بتوكيد واحد ، - جل جلال الله وعظمت كبرياؤه وتعالى جده ، سبحانك ربنا ما عرفناك حق معرفتك (سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) ثم ينتقل المؤذن بعد معرفة الله كما امر الله فيشهد ويشهد كل من سمعه موافقا لشهادته بنفي الألهة دونه نعم والله (ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) فان كل شيئ هالك الا وجهه وباطل ما خلاه ومخلوق له ومملوك لسلطانه فكيف يشاركه وانى يقاس به ان الشرك لظلم عظيم ،

أرأيت المؤذن الى اي اوج بلغ ، والى اي مرتقى رقى ؟ ، والى اي عقيدة صعد ، والى اي جو من العظمة حلق ، أعلمت من اين صوب الى الكلمة التي اقضت مضجع معاوية وتمنى الموت ولو بان يدفن حيا دون سماعها ، وهي تشنف اذان المسلمين بذكر اسم نبيهم المحبوب المشتق من اسم ربهم المحمود المعبود ، والأشادة بذكر رسالته الخالدة برغم الحاسدين

وعدم الاكتراث وقلة المبالاة بمنكريها المعاندين ، لتتفتح لها آذان قلوبهم تفتح الأزهار لنسيم الأسحار وتتشقق لها كتشقق الأكمام والبراعم(١) للريح العابلة والشمال للبلبل هذا وفي رأيي ان معاوية يشير الى الأذان كله ، لانه شعار الاسلام ، وجعل هذه الكلمة وحدها واسطة لتمنيه ان يدفن حيًّا ، لان الوقت لم يواته ان يعلن بعقيدته كلها امام المغيرة ، فاكتفى عن الكل بالجزء لان مضمون هذه الكلمة كالزمام لمضمون غيرها كما ذكرنا ، واعاد على ذاكرته تاريخ سلفه الذي لازال جريئًا يقتص اثره ، وقد سمعوا صوت بلال يهتف بالأذان على الكعبة ، فقال احدهم (لبطن الأرض خير من ظهرها) وقال الآخر (الحمد لله الذي امات ابي ، قبل ان يرى هذا الغراب ينعق على ظهر الكعبة) وقال الثالث (اما كفى ابن ابي كبشة الا ان يقرن اسمه باسم ربه) واذا اوعز معاوية ليزيد بان يحقق له مناه وهو في عداد الموتى ، فانما مناه قطع الأذان من اصله وقلعه من اساسه وكأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق فيسمع قول الحماني الشاعر العلوي ،

ولما تنازعنا الفخار قضى لنا عليكم بما نهوى نداء الصوامع

وبعد تركيز العقائد الحقة في اذهان المسلمين ، لان اعمال الخير لا تقبل الا من المسلم (انما يتقبل الله من المتقين)

(١) البراعم : جمع بُرعُم وبُرعمة : زهر النبات قبل ان يتفتح ، ودخيلها الجنبذ والجنبل

يبلغ المؤذن غرضه الذي من أجله مهّد تلك المقدمات الجليلة، فيدعو المسلمين إلى الإقبال على الصلاة ويرحّب بجيئهم لأدائها لأنها ركن دينهم الأعظم، ولأنها السبب الأكبر للفلاح والفوز عند الله في دار المقامة، ولأنها خير الأعمال وأفضلها بعد المعرفة كما قدمنا، ويعود ثانياً بكلمة الله أكبر مؤكداً لها خوف أن يكونوا قد غفلت عنها أذهانهم بالمبادرة لامتثال هذه الأوامر التي لحقتها، وترى الشارع الحكيم لا يكتفي بهذا التكرار حتى يجعل هذا التنزيه لله والإكبار لجلاله مفتاحاً لصلاة المسلم بعد توكيدها مرتين في أثناء إقامتها وبعد إعادتها ست مرات عند افتتاحها وندبه لأن يكررها أثناء أعمالها وأركانها المهمة كالركوع والسجود، ثم يودع صلاته بها ثلاثاً، ويكررها كثيراً في تعقيبه أثناء تسبيح الزهراء وغيره (الله أكبر كلما كبّر الله شيء وكما يحب الله أن يكبّر وكما هو أهله، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله) ويجعل المؤذن ختام أذانه مسكاً فيكرر لا إله إلا الله، من دون أشهد، تنبيهاً على الحقيقة وبياناً لواقع الأمر بقطع النظر عن شهادته وشهادة غيره من المسلمين، وبعدم لحاظ المعركة القائمة فيها بينهم وبين أعدائهم الجاحدين،

وههنا سانحة فكر ورأي لا بد من ابدائه والادلاء به ، الا وهو شهادة ان علياً ولي الله فقد اختلف المسلمون فيها ، ففريق منهم تركوها واعتقدوا انها بدعة لانهم لم يتلقوها في اخبار الاذان الاول عن الرسول المبجل وجاء بها فريق آخر شهادة ثالثة عزز بها شهادة الرسالة المشفوع بها شهادة التوحيد ، وهو يعتقد كالفريق الاول انه لم يتلقها عن الصادع بشريعة الاسلام ولا عن احد اهل بيته الصادقين ، لكنه يأتي بها تبركاً وتيمناً ، فانه (ما كل ما لا نص فيه بدعة) ولي فيها رأي - ولعله يختص بي - ان هذه الشهادة من فصول الاذان كالشهادتين الاوليين ، وقد نزل بها الوحي شروى اخواتها التي ذكرناها ، وبلغه النبي امته اما بنفسه وبلا واسطة او بواسطة احد عترته خزان علمه وحفاظ شريعته ، فان كان الرسول جاء بها مباشرة فقد طوحت بها اولى السياسات من بعده ، كما تناست بيعة الغدير وكل ما الى ذلك ،

ودع عنك نهباً صيح في حجراته وهات حديثاً ما حديث الرواحل

فليت شعري ما بال حي على خير العمل ذهبت من الاذان بعد وجودها في عهد الرسول وزمن الخليفة الاول ، ثم نادى بها فريق من حفاظ الصحابة ، وذكروا انها من الاذان الاول

ونقلت لنا عن طريق الآحاد ، وهي لا تضاد بيعة السقيفة من وجه إلا اذا فسرت بأن معناها أقبلوا على بر فاطمة و ولدها ، غير أن هذا من البطون الخفية كبطون القرآن، ولا أظن المانع سمع به ، فكان عليه أن يأخذ بظاهر اللفظ فان الصلاة خير الأعمال وأفضلها - كما ذكرنا آنفا -

فهل يا ترى يستطيع احد الحفاظ او غيرهم أن يأتي بشهادة الولاية في أذانه ، ثم يعتذر عند معارضيه بأنها من الأذان الأول ، وهي تناقض بيعة السقيفة كل المناقضة وتقلعها من أساسها ، ولو فرض أن ضحى أحدهم بمهجته دون الأشادة بها ، فأين النفوس التي يبذلها أربابها في سبيل نقل هذه التضحية ، وهذا سيف معاوية لعنه ينطف بدماء المؤمنين ، أن لم يبرأوا من أمير المؤمنين، وإعلاناته تتوالى (أن برئت الذمة ممن روى لعلي و أهل بيته فضيلة ، ومن قامت عليه البينة أنه يحب عليا فاقتلوه ، ثم ارتقى به البغض والشنآن فأعطى دستورا في جميع مملكة ملكه العضوض لأمرائه الذين باعوه آخرتهم بدنياه (أن اقتلوا على الظنة واحبسوا على التهمة)

ومع هذا كله فقد حدثني بعض المولعين بالأسفار والمنقبين فيها عن الآثار ، أنه رأى كتابا لا يزال مخطوطا في المكتبة الظاهرية

العربية بدمشق اسمه (السلافة في أمر الخلافة) لصاحبه (الشيخ عبدالله المراغي) من أعلام أصحاب السنة في القرن السابع الهجري ، وفيه روايتان مضمون إحداهما أنه أذن الفارسي ، فرفع الصحابة لرسول الله أنه زاد في الأذان (أشهد أن عليا ولي الله) فجبههم النبي بالتوبيخ والتأنيب اللاذع ، وأقر سلمان أن هذه الزيادة ومضمون الأخرى أنهم سمعوا أبا ذر الغفاري - بعد بيعة الغدير - يهتف بها في الأذان ، فرفعوا ذلك إلى النبي فقال لهم أما وعيتم خطبتي يوم الغدير لعلي بالولاية أما سمعتم قولي في أبي ذر (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر الغفاري) إنكم لمنقلبون بعدي على أعقابكم ،

هذا ويمكن أن يكون النبي جاء بها بواسطة أحد عترته المتأخر زمانه عن عصره ، لأن الأمور كانت غير مواتية ، والأحوال غير مناسبة ، لتنجيز جميع أوامر الشريعة الخاتمة لشرايع السماء ، وقد بقي الكثير من أحكامها في مرحلة الاقتضاء شطرا من حياة الرسول ، أي اطلاع الشارع على وجود المصلحة في الشيء المأمور به ، والمفسدة في المنهي عنه لأن الحسن والقبح ذاتيان في الأشياء ، وأوامر الشارع و

نواهيه كاشفة عنها، ولم يبلغ مرتبة التنجيز اي
امر المكلفين بها وايقاعها عملاً الا بعد زمن طويل،
كبيعة الغدير على ولاية الامير، فإن الرسول الأعظم
صاحب العزيمة الصادقة لم يستطع تنجيزها الا في آخر
عهده الشريف، بعد تكرار اخذ ورد، وبعد تهديد
جاءه من الله وتوعيد، وبعد ان ضمن الله له العصمة
من الناس، وكفى بالله وليًا وكفى بالله نصيرًا، واقام
الكثير الكثير من احكامها الأخر في مرحلة الاقتضاء الى زمان
الصادقين حيث وقعا في فترة وضعف من الدولتين الدولة
الاموية المدبرة بمقتها وخروجها من النفوس لتلوث ايديها
بدم الحسين وآل الحسين، والدولة العباسية القائمة
على الأخذ بثار الحسين وآل الحسين، لاجرم دخلت هذه
الأحكام في مرحلة التنجز والفعلية تصدع بها الصادقان
عن جدهما الصادق الأمين، وبقي بعض الاحكام لمن
خلفهما من ائمة الاسلام الى قيام القائم المنتظر خاتم
الأوصياء لخاتم الانبياء، وعلى كل فقد اتصل عمل
الشيعة بالمتأخرين من ائمتهم حفاظ الشريعة حتى عرف
ذلك البدوي والقروي والملل الخارجة عن نحلة الاسلام
وتناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل، وصاغرًا عن كابر،

وعضوا عليها بنواجذهم ، ولم يجدوا لأنفسهم ، في تركها رخصة ، اللهم إلا اذا خافوا على دمائهم ، فتكون في درجة سب امير المؤمنين وهي ادنى درجة من البراءة منه إذا عملنا بخطبته في شأن معاوية (ألا وانه سيأمركم بسبي والبراءة مني اما السب فسبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة و اما البراءة فلا تتبرئوا مني ، فإني ولدت على الفطرة وسبقت الى الإيمان والهجرة) فرقي الشيعة الكرام بأنهم هكذا اصفقوا[1] على البدعة واجمعوا على الباطل ظلم عظيم ، والاعتذار عنهم بالتيمن والتبرك ونحوهما عذر لا يرتضيه عقلي لأولئك الفحول لأني لا أراه يبعد كثيرا عن القول الأول وهذا احد الادلة على ان لا عصمة إلا لمن عصمه الله ، و الكمال لله وحده ، صحيح ان محض استبعاد صدور هذه العملية من الشيعة بدون صدور الأمر عن أئمتهم لا يكون دليلا كافيا ، ولكن ألا يجوز ان يكون مرجحا للاخبار الصادرة بالأمر على الاخبار التاركة لذكر هذا الفصل وحملها على التقية كالأخبار الدالة على تحريم المتعة ،

بعد ان عرفت شدة مدخلية الأذان في دين الاسلام وكونه الشعار له دون الدثار تؤمن كل الإيمان ان معاوية رمز لمحو الاسلام وقطع دابره حين امتعض[2] من تكرار ذكر اسم محمد

(١) اصفقوا على امر واحد : اجمعوا عليه (٢) امتعض من الامر : غضب منه وشق عليه

فيه وتعلم جيداً انّ الحسين عرف مغزاه وتحقق انه اذا ترك يزيد لشهواته ونزغاته الشيطانية ووصايا ابيه معاوية ، وهو يرى عبادة بقر الشام لابن هند كعبادة ابناء الهند للبقر ، لاجرم يحقق يزيد امنية ابيه معاوية ويزف له البشرى بانه عفى على آثار الاسلام وذهبت معالمه كالأذان وغير الأذان ، فدخلت في خبر كان ، فتقر عينه و ينشرح صدره بذلك وان حالت بينهما الجنادل والصفائح ولعله لايبقى لك شك يخامرك اذا استمعت معي الى الحديث الدائر بين زين العابدين خليفة الحسين والمطلع جيداً على سرار نهضة الحسين وبين ابراهيم بن طلحة بن عبيد الله التيمي ، كما ذكر المفيد انه لما انتهوا الى باب يزيد استقبلهم هذا الشقي ، وقال يا علي بن الحسين من غلب ، وهو يغطي وجهه - لانه يتبسم شماتة ولكنه يستخفي من الناس لايستخفون من الله - فقال له الامام روحي فداه (اذا اردت ان تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة فاذن واقم)[1] افلست تفهم معي انّ الحسين ادرك غرضه بهذا القتل ، لانه لولم يعارض يزيد فيقتله يزيد لعفى يزيد على آثار الاسلام اذن فالحسين احيا بقتله الاسلام وآثاره فهو الغالب الظافر بمقصده ، واعاد هذا المعنى بابلغ واظهر من هذا البيان حين خطب بالشام ؎

(١) لذا ثبت ان ابن الزبير ترك اسم محمد في خطبة جمعته فلو ان يزيد رغم بريد اسم جده ... الاذان ولا تشهد

في مجلس يزيد الحاشد خطبته المعروفة التي ذكر فيها كثيرًا من فضائل جده المصطفى وابيه المرتضى بعد ان نزل خطيبه عن المنبر وقد فرغ - بالله وللمسلمين - من سب امير المؤمنين وابناء امير المؤمنين، فلم ينزل الامام الا بفضيحة يزيد وفضيحة آل ابي سفيان كافة ، كما توسم ذلك فيه يزيد قبل تسنمه ذروة المنبر ، ولكن هل تعلم كيف افتضح يزيد وآل ابي سفيان امام اهل الشام على يد خليفة العصر والزمان ، ذلك لان معاوية توغل في اهل الشام واستغل سذاجة عقولهم ، فأثبت عندهم انه واهل بيته من بني امية هم آل محمد الذين فرض الله الصلاة عليهم في فروض الصلوات ، وكرر على اذهانهم ان عليًا واهل بيته هم اعداء الاسلام ونبي الاسلام فوجب سبهم والبراءة منهم (رمتني بدائها وانسلت)[1] وخاف يزيد ان لا تنطلي هذه الفرية على اهل مجلسه الحاشد الجامع للغث والسمين ، فاظهر ان هؤلاء السبايا عائلة احد الخوارج الذين خرجوا على سلطان المسلمين وجاء زين العابدين ع بالحجة البينة والبرهان الساطع بل الدواء الناجع ، لدحض مزاعم يزيد ومعاوية ، وانه ليس ابن خارجي - كما يزعم يزيد - بل ابن محمد صفوة العالم الصادع بشريعة السماء

(١) هذا مثل يضرب لمن يعير غيره بما هو فيه

الخالدة وتسلسل في خطبته إلى دحض مزاعم معاوية ، بان علياً عدو دين الاسلام ونبي الاسلام فبيّن - لأنصّ فوه ما لجدّه امير المؤمنين في دفع قواعد الدين ، وانه هو الذي ضرب خراطيم الخلق - اي انا هم - حتى قالوا لا اله الا الله فهو شريك المصطفى ، وعلى كاهله ثبتت اركان الهدى ، وطبعاً ان الجو لم يصف حينذاك فان مجلس يزيد لم يقتصر على اهل الشام بل يضم كثيراً من الروادا لها والمترددين عليها ، وسيصدقون زين العابدين لو اراد لقوله تفنيداً ، والله شهيد على ما قال وكفى بالله شهيداً ، واذا كان خطبه الآن قد فرغ من سب هذا المساهم الاول والمشاطر الوحيد في دفع قواعد الاسلام ، واذا كان جيشه قد فرغ من قتل ذريته عترة النبي ، وها هو قد جاء بعيالهم اسارى ، فقد خرج يزيد وآله من دين الاسلام ، وان لم يدخلوا فيه وقتل الاسلام بقتل نصار الاسلام ، وبسبه وسبابه لمن كان الساب له ساباً لله ورسوله ، فانعكس الامر على يزيد ، وبهت الذي كفر ، وسقط في يده وتحير ، وكان أولى به من ابيه ان يتمنى لو يدفن حياً فيعيد كلمة أبيه الغابرة (لاخير في الحياة بعد هذه الفضيحة — الا دفنا دفنا) غير انه لما رأى البينة قد قامت عليه ودمغته الحجة

الواضحة والسلطان المبين ، وأنه هو وآله أعداء الدين وقتلة الإسلام ، تحيّز إلى جانب من الدفاع عن نفسه ، ظنّ أنه أعظم أثرًا وأبلغ نفعًا من جميع ما عداه ، فأمر المؤذن بأن يقطع خطبة زين العابدين ؑ بالأذان ليخفّف من وطأة العار الذي وسمه به الإمام والفضيحة في خروجه من دين الإسلام ، بل إرادة قتله لدين الإسلام ، ظنًّا منه أن المؤذن إذا هتف عن أمره بفصول الأذان - وهي ما هي - في الإشادة بصميم عقائد الإسلام كان معارضًا لخطبة الإمام بعض المعارضة ، وستعود بتكرار الأذان في الأوقات حجته داحضة ، وأني لو لم أكن مسلمًا لما أتيت بشعار الإسلام ، ولو كنت أذنت الدين بالقتال لتسلحت بقطع الأذان دون الإشادة بفصول الأذان ، وإلا فمن كان يتصور يا ترى أن معاوية وهو الداهية ، يقطع خطبة الحسن ؑ ، بأن يقول له (خذني نعت الرطب) ويزيد المستهتر الخليع الثمل بسكراته المتعددة يقطع خطبة زين العابدين ، ويعارضها بفصول الأذان ، ولكنه لعنه الله وأخزاه فر بذلك من المطر إلى الميزاب ، و استجار من الرمضاء بالنار ، فقد أنصت الإمام ؑ

بكلمته لسماع الاذان . وارهف لمضامينه العالية منه الاذان . فلما قال المؤذن الله اكبر وكررها ، قال لاشيء اكبر من الله . فلما قال المؤذن اشهد ان لا اله الا الله قال علي شهد بها شعري وبشري وعظمي ولحمي ودمي فلما قال المؤذن اشهد ان محمدا رسول الله . التفت الامام من فوق المنبر الى يزيد - ولعل لمعاوية حدسا خاف به مغبة دوام هذه الكلمة في الاذان - حيث قال له - وكانه ينتزع كلامه من لسان حال الراي العام في ذلك الحفل الحاشد الحاقد عليه - محمد هذا جدي ام جدك يا يزيد فان زعمت انه جدك فقد كذبت وكفرت ، وان زعمت انه جدي فلم قتلت عترته ، ولم قتلت ابي وسبيت نساءه . معاشر الناس هل فيكم من جده رسول الله ، ثم اهوى الى جيبه فشقه صارخا بلسان حاله

تالله انك يا يزيد قتلته   سرا بقتلك للحسين علانية

☼

(كيف يعرض عائلته للأسر)

لعل ختام الكلام عند المعترض حمل الحسين نساءه وحرمه وأطفاله معرضاً لها بالهتك والسبي الذي ابتليت فيه بعد قتله مصحوبة برأسه ورؤوس أعاظم أصحابه،

ولكننا نعتقد أن سيتجلى للمعترض غلطه عندما يظهر له الوجه في قصد الحسين الكوفة التي يعتقد كل أحد على أثر كتبا بتهم له أن الأمر قد استتب له فيها، فكيف يترك حرمه في المدينة، وقد ترك الفتنة قائمة فيها على ساق وقدم، وقد بذل بنو أمية جهدهم في قتله نفاتهم بأجله المقدر له، فهل تراهم يحترمون الرسول فلا يهيجون نساءه مادام كفيلها غائباً، ومتى كان الحرم النبوي محترماً عند أمية وأتباعها، أحين رموا جنازة سبطه الحسن في روضته بالسهام، أم حين تطلبوا به قتل حبيبه الحسين فأزعجوه منفياً عنه، أم يوم الحرة، وما أدراك ما يوم الحرة، يوم أباح المدينة جيش يزيد ثلاثة أيام بلياليها، فقتل المهاجرين والأنصار وذبح الأطفال وهتك أعراض المخدرات.

والذي يظهر لي من أسرار حمله لها ستة وجوه

(الأول) ما أشرنا اليه من نقلها من موضع الخوف والخطر الى مباءة الأمن والاطمئنان ، فيما يظن ويظهر له من انقياد الكوفة برمتها اليه ، ولعل المعترض يصول علينا بما أخبر به الحسين عند خروجه من مكة الى المدينة أنه سيقتل وتسبى نساؤه من بعده ، فقد حملها الى الأسر فيما يتوسم من الحالة الحاضرة ونظره الى الغايات من مبادئها ، فيكون قد فر بها من المطر الى الميزاب ، قلنا ان اخباره بقوله (شاء الله أن يراني قتيلاً ويراهن سبايا على اقتاب المطايا) ليس من التوسم بشيء بل هو اخبار عما أراده الله منه واطلعه عليه بأحد الطرق التي قدمنا ذكرها لعلم الامام ، فقد رجع المعترض الى الحق من حيث لا يدري وهذا ما كنا نبغي ، فجعل الحسين قائماً بوظيفته التي رتبه الله تعالى فيها منقاداً لأمر مولاه بتوطينه نفسه على القتل وتقديم حرمه للأسر ، وما ذلك بكثير في جانب امتثال أمر المولى الجليل عند آحاد المسلمين ، فما بالك بسبط سيد المرسلين وسليل أمير المؤمنين ،

(الثاني) انه لو ترك عياله في المدينة كان ذلك أعظم مانع عن معارضة أمية ، حتى لو اتسق له أمر الكوفة

ومَن يقدر على نكاية عدوّه وعياله وحرمه في قبضة ذلك العدوّ ، ألا ترى طلحة والزبير - والحق لا يشتبه بالباطل - لمّا انقادت لهما البصرة وظفرا بعاملها من قبل علي لم يتمكنا من قتله خوفاً على عيالهما بالمدينة ، وهي تحت سلطة أخيه عامل أمير المؤمنين أيضاً على المدينة .

(الثالث) النقض بسيرة جدّه رسول الله فقد ذكر التاريخ أنه كان في كل غزوة من غزواته يقارع بين نسائه فمن خرجت عليها القرعة منهن حملها معه ، فخرجت على عائشة في غزوة بني المصطلق ، وعلى أم سلمة في غزوة الحديبية ، وعلى غيرهما في غيرهما ، والعرض أعز من النفس سواء كان واحداً أو متعدداً ، ولعلّك لا تشك أن الرسول لم يخترع هذه القاعدة ، بل جرى على نسق غيره من أمراء الجيوش في لقاء العدوّ ، فقد غزا المدينة أمجاد مكة ورؤساء قبائلها يوم أحد ، ومعهم الظعن أي النساء ، وعلى رأسهن هند بنت عتبة أم معاوية ، فلما قتل الحمزة شقت بطنه وأخرجت كبده ولاكتها ثم لفظتها ، فكان معاوية ابن آكلة الأكباد من ذلك اليوم ، ولم ينكر أحد من الناس على أحد منهم

حمل النساء الا ما كان من دريد ابن الصمة ، فقد انكر على مالك بن عوف النصري جعل بيضة هوازن في نحور الخيل ، في واقعة حنين ، وقد صدقت كهانته وافتضح في اهله وماله ، فكانوا الغنيمة العظمى للمسلمين ، غير ان من الرسول عليهم بكرمه وعطفه الالهي زادهم شرفا وابدلهم بذلهم عزا عملا بقوله العزيز الكريم ، (اكرموا عزيز قوم ذل) اما الحسين فلم ينو الرجوع عن الكوفة ليرجع الى بيضته التي درج منها وهو يعلم - بما علمه الله - ان الله مانع بني امية من ان ينالوا عيا له بسوء الا ما كان فيه تميم غرضه الذي استفتحه ، وفضيحة بني امية واندحارهم امام سلاح الحق وقوة عزيمة الصدق ، وامهلنا قليلا نوضح لك الامر الثالث

(الرابع) ان الحسين لو لم يحمل النساء لم يتأت له حمل طفله عبدالله الرضيع ، وقد ذكرنا الفتح العظيم الذي شارفه الحسين حين عرضه على القوم يلوك بلسانه من شدة العطش ، ثم افتضحوا بقتله بل هلكوا بذلك بدعاء الحسين حيث قال (اللهم لا يكن اهون عليك من فصيل ناقة صالح) فضرب لهم من الفصيل مثلا حيث هام بعد عقر امه ، فاهلكهم الله بعد ثلاثة ايام ،

وأصبحوا في ديارهم جاثمين ، والأيام قد تكون عند الله سنين كما تكون آلافاً من السنين (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون).

(الخامس) لقد رأى الحسين أباه منَّ على أهل البصرة حيث خرجوا عليه فظفر بهم ولم يهج نساءهم لعسكره الظافر ، وأقنعهم إذ عارضوه في ذلك بأن رسول الله منَّ على بني المصطلق وغيرهم ، وهم مشركون فصدق بفعله هذا قوله الذي كان دائماً يوصي به عسكره قبل التحام الحرب إذ يقول (فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تصيبوا معوراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم ، فإنهن ضعيفات القوى والأنفس والعقول ، وإن كنا لنؤمر بالكف عنهن ، وإنهن لمشركات ، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة ، فيعيَّر بها وعقبه من بعده) بل قد صح في رواية الحرقة ابنة النعمان أن الرد على المرأة كان عاراً على الرجل ، وإن سبته وحيه كما ذكر أنها لما هربت من كسرى ملك الفرس جعلت تطوف في أحياء العرب ليجيروها من كسرى فلم يفعلوا ، فاتفق أن سبت أهل

حي امتنعوا - كأصحابهم - من جوارها ، فأجابها حدث من أحداث الحي قائلاً لها (يا ابنة الكرام كيف نجيرك من كسرى ، وأنت تعلمين أن السلاح لا يعمل في أجساد العجم شيئاً) - وكانت هذه عقيدة العرب فيهم إذ ذاك - فقام له شيخ من شيوخ الحي ولطمه قائلاً له (أتريد أن تجمع علينا عارين استجارت بنا فما أجرناها ثم ترد عليها كلامها وهي امرأة) فان كان المعترض لا يرضى أن يجعل بني أمية العرب الأقحاح عنده من سائر عرب الجاهلية وهم في دور الإسلام ، ليلزمهم أن يكفوا عن نساء الحسين سياطهم وهراواهم ، بل ألسنتهم البذيئة بل المطبوعة على النطق بالهراء وقول الزور ، لئلا يعيروا بها وأعقابهم من بعدهم ، بل يريد أن تخرج بهم عن القواعد العربية ، قبل المناهج الدينية ، فليجعلهم كيف شاء فان الله حافظ من مكرهم ورادّ كيدهم في نحورهم (وان ربك لبالمرصاد) والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

(السادس) - وهو العمدة من الوجوه - ان أسر عيال الله متمم لنهضته ومكمل لسيرته ، فان معاوية أسس لعتاته الكذب بل ملأ أقطار مملكته كلها بالفرية وقول الزور ،

حيث جعل أمير المؤمنين عليًا - وحاشا قدسه وعلاه - يقطع الطريق في العراق وانه لا يصوم ولا يصلي، حتى فضح الله معاوية فقتل عليٌّ أمير المؤمنين صائمًا في محراب الصلاة، وكان ساجدًا لوجه الله رب العالمين وأطلق معاوية عنان هواه واستمر يجري منطلقًا في مضمار الكذب إلى حدٍّ بعيد، حتى حقق في الأذهان وجوب سب أمير المؤمنين بل أكد فيها وجوب قتل من لم يتبرأ منه مسندًا ذلك إلى رسول الله (وإن الله بريءٌ من المشركين ورسوله) وجاء يزيد يقتص أثره ويجري في عنانه (ومن عِضَةٍ ما ينبتن شكيرها)[1] فأراد أن يجعل الحسين من بعض الخوارج، بل هو هيان بن بيان، لا يعرف له نسب ولا يدرى من أي عش من هذه البلدان درج، فانطلت فريته بادئ الأمر على كثيرٍ من الناس - ولعل منهم المعترضين إلى يومنا هذا - وقدر يزيد في نفسه - فقتل كيف قدر، أنه إذا علم الرأي العام حقيقة هذا الخارجي طبق عليه أنه هذا ابن الرجل الذي نزل فيه - كما روى سمرة بن جندب لعنه - (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) غير أن الله ليزيد بالمرصاد، فقد أراد يزيد وأراد الله (وما من يدٍ إلا يد الله فوقها)

(١) العضة: كل شجرة تعظم ولها شوك، والشكير ما ينبت في أصول الشجر الكبار دون ضئيله فرع

ففضحه كأبيه وأشياعه بما ظهر لرأس الحسين ع من تلاوة القرآن إعلاناً بأنه قتيل لأحياء القرآن ، و ظهور النور من غرته الشريفة حتى يلحق بعنان السماء إعلاماً بأنه جاء ليخرج أمة جده من الظلمات إلى النور بإذن الله ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وغيرهما من الكرامات الخارقة للعادة ، وبما ألقى زين العابدين سليل الحسين وحوراء النساء شقيقة الحسين ، و غيرهما من عياله من الخطب في مجامع الخلق التي أخذت في مجامع القلوب ،

أي سلاح هذا الذي كافح به الحسين يزيد ، أية قوة جبارة ضرب بها الحسين على أيدي الظالمين أية سياسة إلهية اندحرت أمامها مبادئ سياسة شيطان بني أمية ، أي تفكير عميق ردّ كيدهم في نحورهم فاتضح الأمر بعد التباسه وأسفر الصبح لذي عينين ، (وإنما يكذب الفاجر ويفتضح الفاسق) كما قالت زينب لابن مرجانة ، وكما قال يزيد لما سأله أهل الشام أن يأذن لزين العابدين بالخطبة (إنه إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان) وقد هدى الله من أراد هدايته على أيدي عيال الحسين ، فاعتنق الكثير

مِنَ النَّاسِ دِينَ الْإِسْلَامِ بل طريقة التشيّع ، وَأَخْرَجُوهُم مِنْ ظُلُمَاتِ الزيغ إلى نور الحق ، ككثيرٍ مِنَ الأحبارِ والرهبان فقتل يزيد وجيشه من قتلوا ثُمَّ اتسع الحزن على واقعه وسُقِطَ فِي أَيْدِيهِم وأُرتجت عليهم أبواب العذر ، فعضوا أناملهم ندمًا ، وباءوا بخزيٍ مِنَ اللهِ (وَمَا رَبُّكَ بغافلٍ عمَّا يعملُ الظالمون) ،

هذا ولا تحسبنَّ طمع الحسين محدودًا بهداية أولئك الأحبارِ والرهبانِ أو غيرهم عِندَ ما سمعوا خطب عياله وَرَأَوا رأسه الشريف مرفوعًا على الرمح ، مشرقًا بآيات الهدى ، وأعظمها تلاوة كتابِ اللهِ المجيدِ ، مُشْعِرًا بأنه قتل لأحيائه ، وَمُصَرِّحًا بأن تلاوته للقرآن مِن أعجب آياتِ اللهِ التي ترغم بها أنوف الطبيعة وأنصارِها فإنَّ أكثر أولئك قد قتلهم يزيد وأعوانه بل لمّا كان سُنَّة البشرِ ومِنَ العاداتِ الجارية بين النَّاسِ نزوع كُلِّ أحدٍ لاتباع آبائه في الرأي وتقاليده في الدين ، وقولهم بلسانِ الحالِ إن لم يكن بلسانِ المقالِ (إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون) فوافق الحق من وافقه لذلك الداعي ، وزاغ عن الحق أكثر الخلق لغضِّ نظرهم عمّا سواه مِنَ المقدماتِ والأدلةِ على عتيا

الدين بالبرهان دون التقليد ، كما نظمنا هذا المعنى في احدى رباعياتنا فقلنا

أكثر الناس لا يضلون إلا باتباع الآباء والأمهات
فتبصر طريق رشدك واسلك فيه ، لا اتبع خابط الظلمات

وقد تتابعت الأعقاب الكثيرة وخلفت الجيل الذي هدى بذلك التاريخ أجيال وقرون ، فدخلوا كلهم في دين الاسلام و (إن الدين عند الله الاسلام) وصاروا من أنصار الحسين ومحبيه ، ولا شك أن الواحد من ذلك القرن قد صار في ضمن اربعة عشر قرنا شعوبا وقبائل ، فأي ظفر أعظم من هذا الظفر (لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد) ولعل هذا هو السر فيما ورد من خطاب النبي لخليله الوصي قائلا له (يا علي لأن يهدي بك الله نفسا واحدة خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت) ومن أجل ذلك كتب الله على بني اسرائيل أنه (من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا) أجل والله لقد كان الفرد الواحد من القرن الذي قتل فيه الحسين في قرننا هذا شعوبا وقبائل ، وسيكون كل فرد من هذه الشعوب والقبائل شعوبا وقبائل وأسرا وفصائل ، وسيجعلها السير

الزمني وا لاطراد المذهبي وا قتداء الخلف بسلفه الصالح في طريق كلمة نبيهم المشعة[1] عليهم من عالم الغيب ، والمتألقة من أفق الرسالة لبشارة بضعته الزهراء ، حيث أخبرها بقتل وليدها الحسين في زمان خال منه ومنها ومن علي والحسن ، فتضاعف حزن الوالدة الحنون على ولدها الحبيب الشهيد ، ان لم يخلفه من يبكي عليه ، فلم تتمالك ان سألت اباها (اذن من يبكي على ولدي) فبشرها بان الله ينشئ له شيعة فيقيمون عزاءه جيلاً بعد جيل ، وكانت تتذكر جيداً كلمة ابيها التي خاطب بها الانصار بلهفة وحسرة وحزن مضاعف عميق (لكن حمزة لا بواكي عليه) وكان قد اجتاز بعد رجوعه من جبل أحد على دور الانصار ، فسمع بكاءهم على قتلاهم ، وعندها امر السعدان وغيرهما من رؤساء الأوس والخزرج نساء الانصار ان يأتين بيت النبي ويبكين الحمزة ، واطردت القاعدة في تقديم البكاء على الحمزة قبل أي فقيد من اهل المدينة قرونا واجيالا ، واطمأن بذلك خاطر الرسول وتسلى عن عمه بعض التسلية ، وسكنت فورة وجده عليه الذي عبر عنه باعظم ما

(١) اشعت الشمس : نشرت اشعتها اى انوارها ، وفى الكلام هنا مجاز الاستعارة

تعبر به الالفاظ عن مكنون القلوب (ما وقفت موقفا اغيظ علي من موقفي على عمي حمزة) وذلك بعد ان بكى - بابي وامي - حتى بلغ به الغشي هكذا طمأن الرسول بضعته وسكن فورة حزنها، وهدأ بلابل صدرها التي جاشت عند ما اخبرها بقتل وليدها، وتضاعفت عند ما ذكر ان زمان قتله خال من قرابته التي من شأنها القيام بوظيفة اقامة عزائه، لو بقيت في قيد الحياة بعده، كما ورد في الحديث (لو كان رسول الله حيا لكان هو المعزى بهم - اي شهداء الطف - وما احسن قول الشريف الرضي في هذا المعنى في مقصورته الشهيرة

لو رسول الله يحيا بعده قعد اليوم عليه للعزا

ميت تبكي له فاطمة

وابوها وعلي ذو العلى

الكلمة الاتية والثلاث التي تجدها من مكملات هذه الكلمة

(في حادثة أخيها العظمى)

ولو أن النساء كمن ذكرنا | لفضلت النساء على الرجال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب | ولا التذكير فخر للهلال

لا أرى أي مبالغة او اغراق في قول من قال ان زينب كانت شريكة أخيها الحسين في نهضته ، ومشاطرته في جهوده التي بذلها في سبيل تحقيق امنيته ، وقد اعاد تاريخ محمد نفسه حيث قال (ما قام ديني ولا استقام الا بسيف علي واموال خديجة) فكما ان عليا وخديجة كانا وزيري الرسول وقوامي دعوته من الناس ، هكذا كان علي حفيد علي وزينب الكبرى حفيدة خديجة وزيري الحسين حفيد الرسول ومكملي سيرته ومتممي نهضته بل كانا هما السياج[١] الاعظم لحركته ، ولولا هما لذهبت جهود الحسين ادراج الرياح حيث يجعله يزيد واتباعه - اتباع معاوية وسمرة بن جندب - خارجيا من الخوارج خرج على سلطان المسلمين وامسهم رحما بنبي المسلمين فقتل بسيف نبي المسلمين واراح الله منه مجموعة المسلمين ، واذا بصوت زين العابدين يجلجل في ذلك الجو الصاخب ويدوي في مجلس يزيد الحاشد بجماهير الوفود

(١) السياج : الحائط وما احيط به على شيء كالكرم والنخل

والمتفرجين والمهنئين له في عيده عيد الظفر ، فيلقي عليهم خطبته التي فضح بها يزيد - كما توسم - وتلك بلسان حالها عليه وعلى كاذيبه وجهوده وزخارفه ، بل على قوته ودولته ونزغات مبدئه (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً)

وأرى المعترض لا يدع هذه الفرصة السانحة تمر عليه مر السحاب فلا ينتهزها ويقول أليس في زين العابدين كفاية لأتمام عملية الحسين والقيام بمهمته عن حمل زينب معه فضلاً عن غيرها من النساء ، مع أنه إمام زمانها وحجة عصرها ، وأين قوة إرادة الأمام من المأمومين

ولنا في الجواب عن هذا الأعتراض وجهان أولاً بالنقض برسول الله فإن الله قد زوده لما أراد إرساله من القوة البشرية - فضلاً عن الألهية - بما يستطيع أن يقابل بها الجيوش وحده ، وورثها الحسين فإندحرت أمامها قوة جيش الكوفة بأسره ، فما باله يدعو الناس أن يجيروه من أيدي الأعداء ليبلغ رسالة ربه ، وإن لم يؤمنوا به ، وما باله يدعو لنصرته المستضعفين من النساء والصبيان وهو هو العقل الكامل ومحرس العشرة العقول ، فلماذا يكون أكثر الناس مشاورة لاصحابه كما تقول عايشة امتثالاً لأمر ربه

الحكيم (وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله)
ولم يستطع من تنفيذ امره على المسلمين بالاحلال من الاحرام
وذبح الهدي في موضع الصد يوم الحديبية الا بعد ان
عمل بمشورة ام سلمة يوم دخل عليها خيمتها واخبرها ان
المسلمين هلكوا بعدم امتثال امره لانه امرهم بالاحلال و
نحر الهدي فلم يجد فيهم حركة ، بل الفاهم واجمين
في حيرة لا يبدون ولا يعيدون كانما على رؤوسهم الطير ،
فسرت الحيرة اليه وذهل رحمة لهم لهذا العصيان
الذي لم يالفه فيهم ولم يكن بحسبانه ، وقد انعقدت
بين عينيه سحابة من الباس ، فاما طنها ام سلمة
بمشورتها الحكيمة ، وما كان الرسول ليغفل عنها ، و
لكن هكذا شاء الله تسيير نظام البشر ، وان تتعلم الامة
الانصياع للحق اينما وجد ، وابى ان تجري الاشياء الا باسبابها
فقالت (يا رسول الله ان لهم فيك لاسوة حسنة وقدوة
كريمة ، فاخرج اليهم وانحروا حلق ، وما اظنهم الا انهم
سيسيرون في نهجك ويقلدونك في نعلك) وما راى
المسلمون رسول الله حلق ونحر وتحلل من الاعتمار حتى لانت
عريكتهم وثابت اليهم حلومهم وطابت نفوسهم واقبلوا على رؤسهم
محلقين ومقصرين ، ثم نحروا البدن وتحللوا من الاحرام

ونجيب ثانيا بالحل ، فان زينب قد قامت باعمال كبيرة ليس من شان زين العابدين القيام بها الا من باب المعجزة ، وقد شاء الله ان يسير دينه في الخلق سيرا طبيعيا وتنتظم اموره واحكامه في الاغلب نظما عاديا بقول الله تعالى (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ويقول (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ويقول (ولو شاء ربك - اى اكراه الناس على الايمان - لآمن من في الارض كلهم جميعا ، افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) نعم لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين اما الامور التي قامت بها زينب وليس من شان زين العابدين القيام بها فهي كثيرة وما غاب عنا ولم ينقل الينا اكثر واعظم ، واليك بعض ما نقل الينا مما يتحمله موضوع كتابنا ،

الاول ان زينب هي التي حفظت مهجة الامام اخيها الحسين لما القى نفسه على ولده الاكبر ، وهو شلو مبضع بل مبعثر الاوصال بالسيوف ، فانتهى به الحزن والوجد الى مرحلة الاحتضار ، ولما رآها بارزة بين العسكرين تنادي وا ابن اخاه انساه ذلك مصابه بولده وتركه لفتيانه يحملون اخاهم ، وردها بيده الى الخيمة ، لان العرض مقدم على الاولاد والنفوس ، وهو لا يزال يتذكر جيدا ان اباه اوصاه بها

ولم يزل عن ذاكرته ما كان يحوطه بها ابوها من عناية عظمى ورعاية كبرى فلم يسمع لها صوت (ولم تر حتى عينها ظل شخصها) لانها اذا ارادت زيارة جدها ومعها اخوها وابوها سبق ابوها الى المسجد فاطفأ القناديل ،

(الثاني) ان زينب هي التي اشارت على الحسين بحمل عبد الله الرضيع ليعرضه على القوم فيستسقي له ، وايم الله لقد شارك الفتح بعرضه ، واولى ان يفتح بعد قتله ، غير انه ضرب لهم المثل في قرب هلاكهم وانذرهم بان دولتهم الى بوار بعد ثلاث ، فانقرضت دولة آل ابي سفيان بعد ثلاث سنين . ولعله طلب من الله ذلك ، فالويل لمن طال إملاء الله له ، واستدراجه اياه ليكيده الكيد المتين ويأخذه الأخذ العزيز ، بئس للظالمين بدلا ،

(الثالث) لقد القى الحسين على عاتقها مسؤولية حفظ عياله واطفاله ، وما كانت لتنهض بهذا العبء الثقيل وهي في مثل تلك الحالة لولم يستجب الله دعاءه لها بان يربط على قلبها بالصبر حينما تنوء بهذا الحمل الثقيل فاخبر عنها حجة عصرها زين العابدين انها عاد قلبها بعد مصرع الحسين كزبر الحديد ، وبهذا الصبر كانت تلك الخطوب

وَثبتت لِتلكَ الاهوالِ ولَم تحرقها امام تلك الفوادح وَ لَم تتزلزل جبالُ حلمها بها نيك العواصف ولم تتحرك قيد شعرةٍ لِتلك القواصف ،

باَبي التي وَرِثَتْ مصائبَ اُمِّها فَغَدَتْ تُقابلُها بِصبرِ ابيها
لَم تلهُ عن جمعِ العِيالِ وَحِفظِهم بفراقِ اِخوتِها وَفقدِ بنيها

دَعا ابنَ سعدٍ لؤمُ غلبته ، بَلْ خُبثُ محتدِهِ وسوءُ مخبرتهِ اَنْ يسلبَ الحسينَ دِرعَهُ البَتراءَ ، وحتّم عليه طمعُهُ بولايةِ الرّيِ اَن ينادي بعسكرِه (يا خيلَ اللهِ اركبي وَ رُضّي صدرَ الحسينِ ، وابشري بالجنّةِ) قال زين العابدين (كنتُ نائماً بالخيمةِ وَاَنا اَسمعُ تكسيرَ عِظامِ اَبي بحوافِرِ الخيلِ) وتمادى ابن سعدٍ في غيّهِ ولجّ في طغيانِهِ فهجم امامَ جيشِهِ اللجبِ[1] على خِيَمِ النِساءِ الفاقِداتِ ، وَ عليهِ دِرعُ الحسينِ ، مُنادِيًا باعلى صوتِهِ - وَقدامِنَ مَكرَاللهِ - (عَلَيَّ بالنّارِ لاُحرِقَ بها بيوتَ الظالِمينَ على من فيها) فتنادى العسكرُ مِن جميعِ جوانبِهِ ، اَللهَ اَللهَ يا ابنَ سعدٍ ، تريدُ اَنْ يخسفَ بنا اللهُ الأرضَ ، اَوَما كفاكَ قتلُ الحسينِ حتّى تريدَ اَنْ تُحرِقَ اطفالَه وعيالَهُ فقالَ عدوُّ اللهِ اِذَنْ فالبسوا عليهِنَّ الخِباءَ بالخيلِ ، فَما ترى حالَ النِساءِ الفاقداتِ ، وكيفَ ترى هزيمةَ الاطفالِ

(١) الجيش اللجب : ذو الكثرة وضجيج الأصوات المختلطة

المذاعير من بين ايدي اولئك اللئام العتاة الجفاة ارأيت هزيمة سرب الحمائم الراعبة اذا حلقت عليها الصقور والبزاة

وما أنس لا أنس النساء كأنها قطا ريع من واكره وهو ماجد
خوارج من ابياتها وهي بعدها لابناء حرب بالحريق مواقد

وكل ذلك بعين زينب ، وبعضه يذيب الصخر الاصم و يزلزل الطود الأشم ، لكن شقيقة الحسين عليه السلام انطبعت بطابع الحسين ، وربط الله على قلبها بالصبر كما دعا لها اخوها الحسين ، فأخذت تجمع النساء من مفرها وتتفقد الأطفال في مهربها ، حتى نظمت عقدهم المنفرط ، وجمعت شملهم المتبدد ، وقامت بحراستهم في الليل بحزم وثبات ورباطة جاش (عادم الزمان نظيره لسواها) لم تغفل بحراسة من في الخيمة وتسليتهم جهدها عن تفقد مثل الرباب التي جاش بها الوجد وهاجها التذكار ، حيث درّ ثدياها ، فقصدت مصرع رضيعها ، مغالطة نفسها في موته متناسية مصرعه الفظيع ، وذبحه بالسهم المثلث المسموم بالسم النقيع ، بانية على حياته واحتياجه إلى امتصاص الثديين ، فجاءت اليها زينب - ساعد الله قلب زينب ع -

فوجدتها قد وضعت طفلها في حجرها وألقمته ثديها، وهو جثة هامدة لا حراك فيها، والسهم لا يزال مشكوكاً في نحره. فلاطفتها وردتها إلى الخيمة برفق ولين، و الوالهة الثكلى تتلفت إليه لتبصره بنواظر قلبها، و تصغي إليه لتسمع صرخة بكائه أو نغمة مناغاته بآذان فؤادها، ولما تمادى بها السير عن مصرعه عاد يتراءى لها فتحدق له بنواظرها، لأن حبها لها عاد يرسم لها وجهه الوضيء على لوحة الفضاء الواسع،

كلا ولم تله زينب بالرباب عن مثل سكينة التي خف بها الوجد والهيام، وطار بها الشوق والغرام إلى مصرع أبيها الذبيح، فألقت بنفسها عليه حاضنة له بكلتا يديها تستنهضه لرعاية عزها المضاعة، وتستنجده لإعادة مجدها التليد وصيانة شرفها الباذخ، وقعت على جسد الحسين وقلبها... المصدوع كاد يذوب في حسراتها لله قلب زينب الكبير ما أصبره، لله جلدها على الرزايا ما أشده، مصائب عظيمة ورزايا جليلة، خروجها عن الخيمة، وهي ملأى بالنساء الفاقدات والأطفال المذاعير ومرورها على جثث القتلى وهي أجساد بغير رؤوس هذا ملقى على يمينه، وهذا على شماله، وهذا مكبوب

على وجهه، ونظرها الى الحسين جثة بغير رأس، والجسد مرضوض بحوافر الخيل، بعد توزيعه بالسيوف والرماح، إن كل واحد من هذه المناظر، يوقد لاعج الوجد في القلب ويستدر الدموع الحارة من النواظر، وكل مشهد من هذه المشاهد، يزلزل الجبال الرواسي ويذيب الصخور الجلامد، وما تراها حين رأت سكينة حاضنة لأبيها بيديها، وسمعتها تندبه أشجى ندبة وترثيه أحر الرثاء، كان طبيعيا أن يسري حزن سكينة الى قلب زينب، وتعدها بكربها وجواها، لكن زينب ابنة فاطمة الصبور الوقور سيطرت على سكينة فردتها عن مصرع والدها كما سيطرت على أمها الرباب فأقامتها من مصرع ولدها،

وتابعت زينب سيرها بحفظ عيال الحسين عليه السلام ورعاية أطفاله في المسير من كربلا الى الكوفة، وفي الكوفة نفسها حيث حاطت شرفهم بعين رعايتها، وجعلت تأخذ الجوز والتمر من أيديهم وترمي به، قائلة (إن الصدقة حرام علينا أهل البيت) لأنها لو لم تعمل ذلك علق في الرأي العام أنهم ليسوا من أهل البيت لقبولهم الصدقة، وقد أكرم الله نبيه عن أوساخ مال الناس

وعوضته عنها بالخمس وصفوا المال ، ورعتهم في مجلس ابن زياد، وسهرت على حفظهم في مسيرهم الى الشام ، وفي الشام نفسها ، وفي مجلس يزيد وفي الخربة ، وفي طريق رجوعهم الى كربلاء والى المدينة ، الى آخر نفس من انفاس حياتها لفظته مع شظايا فؤادها المتصاعدة بزفراتها الحارة المتسعرة بشواظ الحزن ولواعج الأسى ونيران الوجد والشجى .

ولقد جاء في كثير من الأخبار انها قامت مقام اخيها الحسين في ترويج احكام الشريعة ، وكانت الكهف الذي يأوي اليه في الملمات الكثيرة من المسلمين والشيعة ، وانها حملت الكثير من وصايا اخيها الحسين ، حتى ادتها الى خليفته زين العابدين وانها كانت الحجة الظاهرة والقائمة مقام امام زمانها وحجة عصرها السجاد ، حيث كان في اغلب ازمان حياته يتجنب الضوضاء والسياسات المضطربة التي تتنازع خلافته المغصوبة ، هذه زبيرية ، وهذه مروانية ، وهذه خارجية ، ليكون في نجوة من هذه الاضطرابات كلها ، فكان يخلو بنفسه ويأنس بوجه الحق وحده ، ويتخلى لعبادته جل ذكره ، وربما ركب راحلته من موضع خلوته لعبادته ، وانطلق سائرا على ظهرها

لزيارة جده امير المؤمنين وابيه الحسين . وقصد مسجد الكوفة ليصلي فيه لوجه ربه ركعتين ، ولقد عاش بعد ابيه ثلاثين سنة ما قدم له طعام ولا شراب الا مزجه بدموع حزنا على ابيه الحسين ، وهو يقول أآكل وابن رسول الله قتل جائعا أأشرب وابن رسول الله قتل عطشانا ، وكانت زينب مع كونه امام زمانها تسليه وتلطف به لو كان للتسلية موضع ، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه ، وكيف يسلو برؤيتها وحديثها معه ونفس رؤيتها تزيده حزنا الى حزنه ووجدا مضاعفا الى وجده ، كما يقول في حديثه مع ابي حمزة ، (ما رأيت عماتي واخواتي الا ذكرت فرارهن من خيمة الى خيمة)

وكانت مع هذه الشواغل الكبرى والحوادث العظمى تنوب عن اخيها الحسين في وفادة وفوده وهم الكثرة الهائلة من الناس فمنهم من له عادة سنوية وعطية تقوم بمؤونة الحول ، ومنهم الذي تجذبه اليه مكارمه وجميل احدوثته جذب الحديد بالمغناطيس ، ولكنهم اذ يلحفون بالسؤال عنه ، ويعيدون في ذكراها عهد اخيها الكريم وعصره الذي مر عليها كالحلم اللذيذ كأنهم يضعون اصابعهم في جرح لا يزال وجيعا ، وينكأون قرحة في قلبها لم تندمل ، كما جاء في قصة الاعرابي الذي كان يفد على الحسين في كل عام مرة ، على ما في بعض المراسيل

فلمّا طرق الباب وعرفت زينب أنه احد وفود حجيها الحسين الذين يفدون عليه في كل عام مرة ، دفعت له من وراء الباب قلادة ، وقالت له خذها وانصرف الى أهلك فإن صاحب المنزل غائب ، قال أنتظره أياما قالت ما يعود ، قال فأسبوعًا قالت ما يعود ، وأخذ كلما زاد في آجال الانتظار والوعود ، أجابته زينب بحرقة وشجى مضاعف - ما يعود حتى انتهى الأمر به من الأسابيع بعد الأيام ، إلى الأشهر المتعددة ووصل الى العام ، وهو في كل تلك المراجعات يضع على جرح فؤادها جرحًا ويذر عليها بكثرة الحاحه ملحًا ، ولم يكن ذكيا ليعرف المعنى الذي ترمي اليه ، بل كان حريصا أشد الحرص على حضور مولاه والمثول بين يديه ، ليسرح طرف ناظره برياض تمائه ، ويمتع بسماع حديثه الشهي اللذيذ ويتزود من جميل أخلاقه وصفاته ، حتى انتهى بها الجواب أنه لا يعود ولو بعد عام ، أحس قلبه بالكرب والبلا ، ولم يكن خيا له ليحدثه بأن تلك الكف الكريمة يأكلها التراب والبلا ، وكأنه كان نائما فاستيقظ ، فسألها بلهفة التطلع وحرقة السؤال ، وأودى في قلبها لاعج وجد لم تخمد جذوته ، ولاهب حزن ما برحت تتسعر ولم تبرد

وَقدتُه ، قائلاً لها اِذَنْ قولي مات مولايَ الحسين ، وَيحكَ[1] وَيحكَ أيها الوافدُ ، اِنَّ الامرَ فوقَ ما نظنّ وَ الخَطبُ اجلُّ واعظمُ مِمّا نتصوّرُ ، فهل تستطيعُ اَن تسمعَ جوابها لكَ (عظّمَ الله أجرك بمولاك الحسينِ فلقد قُتِلَ في كربلا عطشاناً غريباً وَقُتِلَ مَعَهُ اهلُ بيته ، ولَم يَرجع اِلى اَوطانهم الا نساؤهم الأيامى واطفالهم اليتامى)

يا ضيفَ بيتِ المجدِ اقفرَ ربعه فاشدُدْ رحالكَ واحتفظْ بنزالِ

لِمَن بعدَ الحسينِ تشدُّ رحلاً
حرامٌ بعدهُ شدُّ الرحالِ

---

(١) ويح : اسم فعل بمعنى الترحّم ، وعن سيبويه ويح زجر لمن اشرف على الهلكة ، وويل لمن وقع فيها ،

(من عدوه ابن مرجانه)

فتح ابن زياد ابواب قصر الامارة ، واذن عدو الله للناس إذناً عاماً - ليروا ما فتح الله عليه بزعمه - و ليهنئوه بظفره بعدوه الحسين ، وادخل عليه السبايا والرؤوس ، فبذخ بانفه وشمخ بعطفه ، واخذ يسأل عن اسماء السبايا ليشمت بهم فرداً فرداً ، وقد اخذ الجمع مجالسهم على طبقاتهم ، وكان المجلس يضم الطبقات المختلفة من علية الناس واوساطهم واوشابهم ، ومن قواد عسكره ورؤساء اسباغ الكوفة وقبائلهم التي كانت تزخر اذ ذاك بجماهيرهم ، قالت الرواية وادخلت عليه زينب بنت علي وهي متنكرة ، وعليها ارذل ثيابها فجلست ناحية ، وقد حف بها إماؤها ، فقال ابن زياد من هذه فلم تجبه ، فاعاد القول ثانية وثالثة فلم تجبه ، ومن يكون ابن زياد حتى تجيبه زينب وما يكون قدره الى جنب عظمة قدرها لتلتفت اليه ، نعم قال له بعض الخدم من امائها هذه زينب بنت علي ، فاقبل عليها ابن زياد ، وقال الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم ، فانبرت عقيلة امير المؤمنين لمناضلته ، وردت كيده في نحره ،

بكلماتها القارصة التي نزلت عليه نزول الصواعق المحرقة حتى عاد عبده عليه يوما عبوسا قمطريرا ، وانعقدت سحابة من الحزن بين عينيه ، فكان يوم نعيمه يوم بؤس عليه حيث اجابته قائلة (الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه محمد ، وطهرنا من الرجس تطهيرا ، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر ، وهو انت يا عدو الله وعدو رسوله) فقال لها كيف رأيت صنع الله باخيك واهل بيته ، فقالت ما رأيت الاجميلا اولئك قوم كتب الله عليهم القتل ، فبرزوا الى مضاجعهم ، وسيجمع الله بينك وبينهم ، وتحاجون وتخاصمون عنده ، وان لك يا ابن زياد موقفا فاستعد له جوابا ، وأنى لك به وفي رواية انها قالت له في اخر كلامها ، فانظر لمن الفلج يا ابن مرجانة ، فغضب ابن زياد من ذكر امه في مجلسه ورفع قضيبه وهم بضربها فامسك ابن حريث به ولم يدعه يهوي به عليها . قائلا له انها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من خطابها ، وقد كان هذا الكلام من ابن حريث سياسة ومكرا وتمويها على ابن زياد المغرور بنفسه المزهو بظفره ، وانما امسك بقضيبه فلم يدعه يضرب زينب ، لانه رأى رؤساء قبائل الكوفة قد عادت اليهم الشمم العربي والنزعة القومية الطائفية

فتنكرت وجوههم ، وقفت شعورهم ، وتقززت نفوسهم ، ان رأوا ابن زياد يرفع قضيبه ، وهم بضرب عقيلة نبيهم العربي الكريم ، ومخدرة اميرهم بالامس علي بن ابي طالب ، وقد كان عارا في الجاهلية ان يرد الرجل على المرأة كلامها فضلا عن ضربها بسوط ، فانه يعتبر بذلك عند الرأي العام وعقبه من بعده ،

ولما انتهى ابن زياد للسؤال عن زين العابدين ، قال له من انت فقال له بعض الحاضرين هذا علي بن الحسين ، فقال ابن زياد اليس قد قتل الله علي بن الحسين ، قال له الامام قد كان لي اخ اكبر مني قتله الناس ، فقال ابن زياد قتله الله ، فقال علي بن الحسين (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) فغضب ابن زياد ، وقال ألك جرأة على جوابي ، وفيك بقية الرد علي ، اذهبوا به فاضربوا عنقه ، فتعلقت به زينب ، وقالت يا ابن زياد حسبك من دمائنا ، واعتنقته وقالت والله لا افارقه ، وان قتلتموه فاقتلوني معه ، فنظر ابن زياد اليها ، وقال واعجباه للرحم ، والله اني لاظنها تود ان اقتلها دونه ، دعوه فاني اراه لما به ، فانظر الى موقفها العظيم تجاه هذا العدو الالد ، وكيف انقذت حجة عصرها وامام زمانها

من مخالبه ، وخلصته من ان ينفذ به امره بالقتل ، لانه كما قدمنا ـ لم يستطع ضربها بسوط فكيف يتمكن من قتلها ، ولما رأى ان امره بقتل العليل لا ينفذ الا بقتلها معه ، وهو لا يتمكن من قتلها بل ضربها تنازل عن ارادته مرغما وتظاهر بالعفو عن زين العابدين حيلة ومكرا ، ومن ههنا تعلم ان حمل الحسين لزينب معه كان لا بد منه اذ لو لم تدافع عن السجاد لقتل الا ما شاء الله ، كما قتل عبد الله بن عفيف الازدي في غيبة عشيرته لان للحاكم المستبد رأيه قتل الرجال ولو كان بغير حجة بينة ولا سلطان مبين ، ولما اراد شمر قتله في كربلا لم تكفهم عن قتله الا اليد الغيبية والقدرة الالهية لان ابن سعد علم انه اذا صمم على قتله ، قام عليهم بالسيف فافناهم عن آخرهم بالقدرة اللاهوتية ، ولو دافعت عنه زينب وفدته بنفسها لقتلت قبله ، كما قتل الكثير من نساء انصار الحسين ، بلا نكير في ذلك العسكر الذي ضيع رشده وهداه في جميع السبل دينية او عربية او بشرية ، وهكذا يوم امر يزيد ان يأخذه الجلواز الى البعض البساتين ويحفر له قبرا ويقتله بالسيف ، فلما رفع السيف ليضرب عنقه ضربته يد في الهواء وقتله الله بها فامر يزيد ان يدفن في حفيرته ، وقد كان ذلك في غيبة

زينب، فحفظ الله لها إمامها ورد كيد الذين كفروا في نحورهم،

وادخل السبايا على ابن زياد يوماً آخر، فرأى زينب وهي تختفي بين النساء وتستر وجهها بكمها لأن قناعها أخذ منها - وقد عرفها اللعين في مجلسه الأول فلم يحتج للسؤال عنها - بل قال لها يا زينب كأنني بحق جدك رسول الله، لأنه عرف في مجلسها الأول أنه ليس أهلاً لأن تكلمه، فتذرّع لكلامها معه بهذا القسم العظيم، فقالت وما الذي تريد، وقد هتكتني بين الناس، قال كيف رأيت صنع الله بأخيك، أراد يكابر الأمير يزيد في ملكه، فخيب الله أمله وقطع رجاءه، فقالت زينب ويلك يا ابن مرجانة، كم تسحب علينا أثواب غيك، فإن أخي إن طلب الخلافة فلا عدوان عليه، فإنه طلب ميراث جده وأبيه، ولأنه أحق بالخلافة منك وممن أمرك لكنك استحرت الجحيم لنفسك، فاستعد لله جواباً، إذا كان القاضي هو الله، والخصم جدي رسول الله، والسجن جهنم، قال فغار علي بن الحسين على عمته - وقد علم مما تقدم أن ابن زياد لا يتمكن من قتله - فانتصر لها قائلاً لابن زياد إلى كم تهتك عمتي بين من يعرفها و

من لا يعرفها ، قطع الله يديك ورجليك) قال فاستشاط ابن زياد وأمر بضرب عنقه ، فمنع من ذلك . نقول لم يمنع عن قتله إلا لأن حاشيته علمت مما تقدم انه لا يقتل زين العابدين حتى تقتل زينب ولن تقتل زينب حتى يقتل رؤساء قبائل الكوفة ، ولن يقتل رؤساء الكوفة حتى تقتل قبائلهم ، وقتل ابن زياد وحده أهون من ذلك كله ، فكف عن قتله مرغما ، وتنازل عن ارادته مخذولا مدحورا ، وما ابن زياد في الكوفة العلوية بأعظم سلطانا وأنفذ أمرا من طاغيته وأميره يزيد في عاصمة ملكه الشام الأموية ، وقد اتفق له أن أمر بقتل زين العابدين فأخرجوه فخرجت أم كلثوم من ورائه ، وقالت إلى أين يا حبيبي ، قال عمتي إلى السيف ، فصاحت واغوثاه بالله عز وجل وابقية من لا يبقى ، يا سلالة نبي الهدى ، يا بقية بني علي المرتضى ، فضج الناس بالبكاء ، فقال رجل من القوم يا يزيد ردّ الغلام وإلا فانك مقتول ، فردوه ، فاذا قدر أهل الشام أن يقتلوا يزيد إذا صمم على قتل زين العابدين فقتل ابن زياد في الكوفة أيسر وأهون ، فقد انتصر الامام لعمته في مجلس ابن زياد (بحد لسان ما عن السيف ينقص بل هو والله أقطع وأمضى من حد السيف وحد السنان ،

وانقذته زينب من القتل بسبب ما صدر في المجلس الاول من عجزه عن ضربها فضلاً عن قتلها الذي حتمت ان يكون مساوقاً لقتل خليفة عصرها غير ان اللعين كان اذا عجز عن معارضة زينب بالسب ، ونكل عن مقاومة كفلها بالتهديد والوعيد عمد الى راس اخيها الحسين ، فشفى قلبه بضربه ، وثار لنفسه بالتبسم في وجهه والاستهزاء به ، ولكنه يستجير بذلك من الرمضاء بالنار ، لان الراس الشريف يتكلم خرقاً للطبيعة وينذره بتلاوة القرآن خلافاً لمجاري العادة وما الى ذلك من تهديد والتنديد به ، أحضر بين يديه يوماً فقال له يا حسين ما اسرع الشيب اليك يا حسين لقد كنت حسن الثغر ، وبيده قضيب يضرب ثناياه - الاشلت يداه -

اتضربها شلت يمينك انها وجوه لوجه الله طال سجودها

فانتصر له زيد بن ارقم وقال له ارفع قضيبك عن ثنايا ابي عبد الله فطالما رأيت رسول الله يقبلها بفيه ، وحمله بين يديه يوماً فارتعدت يداه ، فوضع الراس على فخذه ، فقطرت قطرة من الدم من نحره الشريف على ثوبه فخرقه ، حتى اذا وصل الى فخذه فجرحه ، وصار جرحاً منكراً ، فكلما عالجه لم يتعالج ، حتى ازداد نتناً وعفونة ، فلم يزل يحمل معه المسك لاخفاء تلك العفونة

وأمر به أن يصلب على خشبة في الصيارفة وهو أول رأس صلب في الإسلام على خشبة، فتنحنح الرأس وقرأ سورة الكهف إلى قوله تعالى (إنهم فتية آمنوا بربهم فزدناهم هدى) فلم يزدهم إلا ضلالاً، وتمادى ابن زياد في بغيه، ولج في عتوه وتمرده، فصلب الرأس خارج الكوفة على شجرة فسمع منه (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وأصر ابن زياد في طغيانه واستكبر استكباراً فأمر أن يطاف برأس الحسين على رمح طويل في سكك الكوفة فمر بزيد بن أرقم وهو يتلو (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) قال فقف شعري وناديت رأسك والله يا ابن رسول الله وأمرك أعجب وأعجب، وعن الحارث بن وكيدة، قال كنت فيمن حمل رأس الحسين، فسمعته يقرأ سورة الكهف، فجعلت أشك في نفسي وأنا أسمع نغمة أبي عبد الله، يا ابن وكيدة أما علمت أنا معاشر الأئمة أحياء عند ربنا نرزق، قال فقلت في نفسي أسرق رأسه، فنادى يا ابن وكيدة ليس لك إلى ذلك سبيل، سفكهم دمي أعظم عند الله تعالى من تسييرهم إياي، فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون،

لهفي لرأسك وهو يرفع مشرقاً كالبدر فوق الذابل المياد
يتلو الكتاب، وما سمعت بواعظ تخذ القنا بدلاً عن الأعواد

(امام يزيد في عيد ظفره)

طارت الانباء ونمت البشائر الى يزيد الجبار العنيد ، بقدوم رأس الحسين ورؤوس اعاظم اصحابه ، ومعهم عيالهم فأحدث في شامه المشؤمة عيداً سماه عيد الظفر ، وأعاد تاريخ سالفه معاوية ، حيث أمر ان تزين الشام بقتل امير المؤمنين المسلم الأول في رفع قواعد الاسلام ، ولا بدع ولا عجب ، فانه (عبد وسوم)[1] وهو ابن هند اكلة الكبود ، ودعي ابي سفيان قائد الجيوش لحرب الله ورسوله في اهم الوقائع احد وبدر الموعد والاحزاب ونحوها وامر يزيد ان تبيت الرؤوس والاسارى في جيرون ، ليدخلوا البلد بعد تزيينها نهاراً جهاراً ، وصعد عدو الله على علية[2] قصره ، فبدت له الرؤوس مع طلوع الشمس على ربى جيرون ، وقد خضع نور شمس النهار ، لانوار شموس آل النبي المختار ، فلم يرعه الاغراب البين ينعب ببينه وبناديه بلسان الحال بانقراض دولته وقرب هلاكه وحينه ، فتجبر وتمرد وعتا عتواً كبيرا ، ولم تزده الموعظة الا نفورا ، فأجاب غراب البين بما املاه عليه الكفر والالحاد ولم يخفض من غلوائه ان الله له بالمرصاد ، قائلاً :

(١) مثل يضرب للئيم اذا خلي وطبعه واطلقت يده؟ (٢) بيت منفصل عن الارض بيبت ونحوه

لمّا بدت تلك الشموس وأشرقت ... تلك الرؤوس على ربى جيرون
نعب الغراب ، فقلت نح أو لا تنح ... فلقد قضيت من النبي ديوني

وأمر منادية أن ينادي في شوارع المدينة وحاراتها أن اخرجوا فتفرجوا على عيال الخارجي وأساراه ، وانظروا ما فتح الله على أمير المؤمنين يزيد ، فخرج الناس أفواجا ، وطاروا إلى باب البلد زرافات ومواكب يقفو بعضها إثر بعض وبأيديهم الطبول والمزامير ، والمعازف والطنابير يستقبلون بها رأس الحسين عليه السلام وحرم الله ورسوله ، فأوقف الرؤوس والأسارى ثلاث ساعات على الباب ليستوفي المتفرجون نصابهم الكامل من الشماتة والتفرج على عيال الخارجي ، ثم دعاه خرقه ونزقه[1] ولؤم غلبته أن يفتح أبواب الخضراء ، ويأذن للناس إذنا عاما ليهنئوه بعيد ظفره بقدوم رأس الخارجي - بزعمه - ورؤوس أصحابه وأساراه ، حيث أراح الله منه المسلمين ، ونصر عليهم يزيد أمير المؤمنين ، صفوة آل محمد الذين تجب عليهم الصلاة في الصلوات الخمس ، كما قرر ذلك كله معاوية في أذهانهم منذ سنين وأعوام ، فلما اكتظت الساحة بالوفود والمهنئين والجنود والمتفرجين أمر خطيبه أن يصعد المنبر ، ويمدح معاوية ويزيد وآل أبي سفيان ، لا أنهم آل محمد - كما زعمون -

(١) خرقه ونزقه : الخرق ضعف الرأي والحمق وضد اللين ، والنزق : الطيش

ويسبّ عليّاً والحسن والحسين ، لأنهم أعداء محمد ودينه دين الإسلام ، كما حقق ذلك معاوية خال المؤمنين وقرّره في نفوسهم تقريراً لا لبس فيه ولا اشتباه ، حتى عاد لا يقبل الإنكار والتشكيك ،

وأن لجولة الباطل أن تندحر أمام صولة الحق ، والحق وإن طال عليه الأمد فهو إلى انتصار ، والباطل وإن تمادى به الزمن فإن مغبة أمره إلى اندحار (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، وما يبدئ الباطل وما يعيد) فانتصب الإمام خليفة الحسين لرد عاديته وكبح جماح عتوه وتكذيب أحدوثته ، على رؤوس الأشهاد ، فاستأذنه أن يرقى الأعواد ، ليلقي كلمات لله فيهن رضا وللحاضرين أجر وثواب ، فامتنع يزيد - وحق له أن يمتنع - لأنه قدّر في نفسه سوء مغبة الأمر ، وصرّح للناس في عذره أنه (إن صعد المنبر لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان) مما زاد الرأي العام حرصاً على سماع هذه الكلمات التي أعظمها يزيد وأكبرها ومنع من إلقائها (والمرء حريص على ما منع) فخرق رأي يزيد تبادرآهم ، وخدعته نفسه ، وكذب يقينه ، فظن كما ظنوا إذ قالوا له (ما قدر ما يحسن هذا الغلام) وصعد الإمام المنبر فاقتحمته العيون واتلعت

لہ الاعناق وارھفت لخطبتہ التی اعظمھا یزید آذانھم فنضنض(۱) بلسان فتیق کانہ حسام جذب من غمدہ ، فحمد اللہ واثنیٰ علیہ احسن الثناء ، ووعظ فبلغ بوعظہ الی قرارات النفوس وتجاوز شغاف الأفئدۃ ، وانحدر فی بیان حسبہ ونسبہ کالسیل المنحدر من قنۃ الجبل الشاھق وکان الالفاظ تتنافس علی بیانہ ، والجمل البالغۃ یاخذ بعضھا باعناق بعض الی حلو منطقہ وعذوبۃ لسانہ ، حیث قال (ایھا الناس من عرفنی فقد عرفنی ، ومن لم یعرفنی انبأتہ بحسبی ونسبی ، ایھا الناس انا ابن مکۃ ومنیٰ ، انا ابن زمزم والصفا ، انا ابن من حمل الرکن باطراف الردا ، انا ابن خیر من ائتزر وارتدیٰ ، انا ابن خیر من انتعل واحتفی ، انا ابن خیر من طاف وسعیٰ ، انا ابن خیر من حج ولبیٰ ، انا ابن من حمل علی البراق فی الھواء ، انا ابن من اسری بہ من المسجد الحرام الی المسجد الاقصیٰ ، انا ابن من بلغ بہ جبرئیل الی سدرۃ المنتھیٰ ، انا ابن من دنا فتدلیٰ ، فکان قاب قوسین او ادنیٰ ، انا ابن من صلی بملائکۃ السماء مثنیٰ مثنیٰ ، انا ابن من اوحی الیہ الجلیل ما اوحی ، انا ابن محمد المصطفیٰ ، انا ابن علی المرتضیٰ ، انا ابن من ضرب خراطیم الخلق حتی قالوا لا الٰہ الا اللہ ،

(۱) ای حرک لسانہ والحیۃ النضناضۃ التی اذا نھشت قتلت من ساعتھا ، وفی الکلام مجاز الاستعارۃ

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين ، وقاتل ببدر واحد وحنين ، ولم يكفر بالله طرفة عين) وهكذا تسلسل في أوصاف أبيه الوصي ، على شاكلة نعوت جده النبي ، ثم أراد أن يصرح للملأ الأسلامي بما صنع يزيد بأبيه الحسين الذي هو مجمع هذين البحرين وملتقى ذينك النورين فقال (أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة النساء ، أنا ابن خديجة الكبرى ، أنا ابن المقتول ظلماً أنا ابن محزوز الرأس من القفا ، أنا ابن العطشان حتى قضى أنا ابن طريح كربلا ، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء ، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء ، أنا ابن من ناحت عليه الجن والطير في الهواء ، أنا ابن من رأسه على السنان يهدى ، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تسبى) يا لجلال الله ، يا لعظمة الله ، يا للعجب العجاب ، ماذا سمع الحاضرون مما لم يكن بحسبانهم من هذا العليل النحيف أسير الخارجي - كما يزعم يزيد - أحقاً هو ابن محمد المصطفى الذي يعجز عن مقامه بالغ المدح والثناء ، أحقاً هو سليل علي المرتضى ، الذي ضرب خراطيم الخلق - أي آنافهم - بسيفه حتى قالوا لا إله إلا الله ، أحقاً كان

جزاء النبي من يزيد قتل قرباه الذين لم يرد على رسالته أجراً الا مودتهم ، أصحيح أن هؤلاء أسارى الحسين بن فاطمة بضعة الرسول ، فكيف يكونون خوارج وهم من الإسلام في صميمه ومن الدين في صريحه ، لا جرم أن هذه إلى الكثير من أمثالها تستلفت الأذهان وتستدر الدموع ، وتستفز الشعور ، وتحفز العزائم على البطش بيزيد ، فضلاً عن لعنه والبراءة منه ومن أفعاله التي تبرأ منها الجاهلية قبل الإسلام ، وأخذ يتنازع قلوبهم ومشاعرهم تصديق الإمام في خطبته والعروج إلى أوج نسبه وحسبه ، من ذلك الحضيض الذي وضعهم فيه يزيد ، من كونهم خوارج مجهولين ، والبكاء عليهم ، فأي فؤاد يفقه ذلك الرثاء الحار من فم زين العابدين - وليست الثكلى كالمستأجرة - ثم لا يحترق ، وأي عين تنظر إليه يؤبن أباه - وهو على تلك الحالة من الحزن والكآبة - ثم لا تسيل دموعها وتندفق ، أما يزيد فقد ارتبك في حراجة الموقف ، وقد سمع لعنه وشتمه ومسبة آل أبي سفيان ملأ أذنه ، ورأى تنكر الرأي العام له وتربد وجوههم عليه ملأ بصره ، وظن أن الأذان سيلفت آذانهم إلى استماعه ، وأن اسم محمد نبيهم

المحبوب سيجذب قلوبهم إليه ويميل بها عن كل شيئٍ دونه إذ ليس فيها مكان لحبّ غيره ، وما علم عدوّ الله انهم ينتقلون من آل محمّد ، ومن الثناء على محمّد وآل محمّد ، ومن مظلومية محمّد وآل محمّد - وقد فاجأت اسماعهم و ذهلت بها عقولهم - الى التنويه باسم محمّد والشهادة له بالرسالة ، ففتح للأعتراض عليه طريقًا واضحًا ونهجًا لاحبًا فكان كالباحث عن حتفه بظلفه ، وكان الامام إذ يوجّه عليه الأعتراض الأبي كان لسان حال ذلك المجتمع ، وكأنه يأخذ كلامه ليزيد من قلوبهم ، و ينتزع خطابه له من مجموعة نفوسهم ، فانتقض على يزيد فتله وأجهز عليه عمله ، حيث أبان له الامام محمّدٌ هذا الذي يؤذّن مؤذّنك على منارة جامعك برسالته جدّي أم جدّك ، فإن قلت إنه جدّك كما أظهرت أوّل الأمر تبعًا لمعاوية أبيك فقد كذبت ، ولا يفلح الكاذبون ، لأن مجلسك لا يختص بأهل الشام الذين اشترى معاوية دينهم وضمائرهم ، واستغل سذاجة عقولهم ، بل يشهد معظم ما يحويه مجلسك من جميع النواحي بكذبك ، وإن قلت إنه جدّي - ويلزمك أن تقول بذلك مرغمًا - فلم قتلت أبي الحسين ، وهو

فرخ فاطمة بضعة محمد هذا الذي تنوه برسالته، أفكان هذا جزاء محمد منك، يا عدو الله وعدو محمد وعدو الانسانية، ويزيد لم يستطع أن يمنعه عن إلقاء خطبته - وقد كان مجهولا عند الرأي العام - فكيف يضربه أو يقتله وقد ظهرت الحقيقة ملموسة باليد بارزة للعيان، وهو يراهم يسبونه أقذع السب، ويلعنونه جهرا بصراحة القول وحرارة اللهجة والخطاب ويتبرئون منه تالين عليه وعلى نزعاته وأفعاله (براءة من الله ورسوله إلى المشركين).

أترى يزيد بعد هذا كله أقلع عن بغيه، ونزع عن طغيانه، وخفض من غلوائه، كلا بل زاده ذلك طغيانا وكفرا، وأعرض عن آيات الله، كأن في أذنيه وقرا، وأمعن بالنكاية والتشميت بآل رسول الله، وتكرر ذلك منه على رؤوس الأشهاد، ولكن الله رد كيده في نحره فنصر وليه ويخذل عدوه (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) وكانت معاودته لهذا الشر سلواه وعادته، بل عيده ومسرته، ولعله لا يبقى شك يخامر ذهنك فيما قلنا، عندما تستعرض أخبار وقائع مجلس يزيد وتعدد ألوان ما جرى بها،

وخذ المثل من أمر اللعين بقتل زين العابدين عليه‌السلام ابتغاء اطفاء نور الله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره المشركون) فطوراً تتعلق به أم كلثوم، فيتظاهر بالعفو عنه رقة لها، وطوراً يهيب به لسان حال مجتمعه (يا يزيد ردّ الغلام، وإلا فإنك مقتول) و يوماً يخاطبه الإمام وبيده سبحة صغيرة يديرها بيده فيتربد لذلك وجه يزيد، لأن تسبيح الله وتنزيهه يفقأ في عينه الحصرم، ويوماً يقول له الإمام عليه‌السلام - بأبي وأمي - (إذا عزمت على قتلي، فابعث مع هذه النسوة من يردّها إلى المدينة)

وترى يزيد لأول وهلة يأذن للناس إذناً عاماً ليلقمه زين العابدين بملأهم حجراً بخطبته التي سكبها في آذانهم، فوعتها قلوبهم قبل أسماعهم، فلم ينزل إلا بفضيحته وفضيحة آل أبي سفيان، وكادت تقضي على يزيد لولم يستجر، من آل محمد رسول الله باسم محمد رسول الله، فتراه كلما أراد أن يثأر لنفسه وينتصر لها من مصيبة أصابته وقع في أخرى أعظم منها وأخرى فهو كالضال الحيران كلما مضى لوجهه ازداد عن مقصده بعداً، و تحير ولم يهتد رشداً، ودعا أشراف الناس خاصة

في بعض مجالسه التي اخذ يكررها فاجلسهم حوله ، ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونسائه ، فادخلوا عليه ، والناس ينظرون ، ثم قال لعلي ابن الحسين يا ابن الحسين ابوك قطع رحمي ، وجهل حقي ونازعني سلطاني ، فصنع الله به ما قد رأيت فاقتبس له الامام جوابه الحاضر الشديد ، من كتاب الله المجيد وان اباه الحسين ع سارع الى ما قضاه الله عليه ، وارتضاه منه وحتمه عليه ، فاين هو ممن باء بسخط من الله ووقع عليه غضب منه - واعوذ بالله من غضب الحليم - فتلا عليه قوله تعالى (ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور) فقال يزيد لابنه خالد اردد عليه فلم يدر خالد ما يرد عليه ، وكان ضلال يزيد اعظم من ضلالة ابنه خالد ، حيث اجاب الامام بقوله تعالى (ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير) فانظر الى حرارة جوابه ليزيد وكيف قلع بناءه من اساسه ودوحة غروره وخيلائه من جذورها[1] ، اذ قال له يا ابن معاوية وهند وصخر

(١) الجذور : ما امتد من الشجرة في الارض ، ودخلها العروق

لم تزل النبوة والأمرة لآبائي واجدادي من قبل ان تولد ، ولقد كان جدي علي بن ابي طالب في يوم بدر واحد والأحزاب في يده راية رسول الله ﷺ ، وابوك وجدك بيدهما رايات الكفار ، ثم قال علي بن الحسين ؏ ويلك يا يزيد ، إنك لو تدري ماذا صنعت ، وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وعمومتي ، إذاً لهربت في الجبال ، وافترشت الرماد ودعوت بالويل والثبور ، أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي ؏ منصوبا على باب مدينتكم ، وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكم فأبشر بالخزي والندامة ، إذا اجتمع الناس ليوم القيامة ،

راس ابن بنت محمد ووصيه | للناظرين على قناة يرفع
وراس حسين في الرماح وخصمه | على راسه تاج الخلافة عاقد
يبوء به الخطار حزنا وغبطة
اتعلم تحقيقا بمن هو ماثد

(في عاصمة الأمويين)

أُنظر إلى ظفر النبي محمّدٍ بقريش بعد الطرد والتكذيبِ
تزدد يقيناً أنّ خير الخلق إن يظفر بنا هي الفوز للمغلوبِ

نعم لقد ظفر رسول الله خير خلق الله بقريش ، بعد أن كذبوه وعذبوه ومن آمن معه أنواع العذاب ، ولا ذنب له إلا أن دعاهم ليعبدوا الله وحده ، وليُنقذهم من هوّة الضّلالة وحماة الرّذيلة ، ولم يكفهم أن طردوه عن مسقط رأسه ومنزل الوحي مكّة المكرّمة ، حتّى غزوه في عقر داره ، وقتلوا الكثير من أنصاره وأطايب أرومته كعمّه الحمزة ، ثمّ أظفره الله بهم ، فدخل مكّة في عشرة آلاف فارس مدجّجين بالحديد ، يقدمهم سعد بن عبادة الخزرجي ، وبيده الراية العظمى هاتفاً بما توحي إليه طبيعة الحال وتملي عليه مناسبات الظروف ،

اليوم يوم الملحمه اليوم تُسبى الحرمه أذل الله قريشا

فانخلعت قلوبهم خوفاً وهلعاً وارتعدت فرائصهم رُعباً وفرقاً ، فرفعوا أمره إلى النبي الأعظم ، فأمر بدفع الراية إلى شريكه في وتره ومشاطره في أمره علي بن أبي طالب ،

نعرف مغزى ما أراد الرسول ﷺ ، ونادى بعكس ذلك النداء
اليوم يوم المرحمه   اليوم تصان الحرمه   أعز الله قريشاً
ثم دخل المسجد الحرام والأحداث والخطوب فيما بينهم و
بينه كلها تهددهم بخطر الثأر ، وتنذرهم بالقتل
فتقطعت أمامهم خيوط الرجاء ، وضاقت لديهم رقعة
الأمل ، فما راعهم إلا وهو يهب لهم حياة جديدة
ويعفو عنهم عفواً عاماً ، بكلمته التي ضرب بها المثل
الأعلى للصفح بعد المقدرة (اذهبوا ، فأنتم الطلقاء)
وإن تعجب فعجب فعله مع أبي سفيان قائد جيش أحد
والأحزاب وكل زحف كان حاضراً فيه ، حيث قد
جعل داره في المرتبة الثانية من المسجد الحرام في
الأمن ، إذ جعله ينادي بملأ من قريش بملئ فيه ،
(من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار
أبي سفيان فهو آمن) ودار أبي سفيان تعيدها
هند بنت عتبة التي شقت بطن الحمزة وأخرجت
كبده من جوفه ، فلاكها ولم تسغها ، وفعلت غير
ذلك ما فعلت مما يندى منه جبين الانسانية ،
فقد حاز أبو سفيان في هذا الأمان أعظم فوز و
أجل مكرمة لم يحظ بمثلها طيلة عمره ، كما مر في الرابعة ،

الآنفة (تناهى الفوز للمغلوب)

ولكن هلم معي فأعجب ، وما عشت أراك الدهر عجبا ، حيث ظفر زيد حفيد أبي سفيان لعنه بعائلة الحسين حفيد محمد هذا (فهل تدرون ما كان الجزاء) وهل علمت بماذا كافأه عن حسن صنيعه ، أم هل تراه يشير إليه في الحديث المتواتر عنه (اتق شر من أحسنت إليه) فقد أحدث في عاصمة الشام عيدا سماه عيد الظفر ، وأمر أن يخرج الناس أفواجا وبيدهم الطبول والمزامير ، يتلقون بها أسارى الخارجي المجهول ، وهكذا فعلوا ، إذ الناس على دين ملوكهم ، وأذن للناس إذنا عاما في مجلسه الذي عقده للتفرج عليهم والشماتة بهم ، وأخذ بعد ذلك يتفنن بالتنكيل بهم وإفشاء الشماتة فيهم ، وإيصال الأذى إليهم ، كما يوحي إليه كفره وإلحاده ، و يملي عليه بغضه لدين الإسلام ونبي الإسلام ، وهو في كل ذلك يريد قتلهم وأن لا يبقى لأهل هذا البيت على وجه الأرض شعرة واحدة لأنهم الشجا المعترض في حلقه والقذى الذي يجول في عينه ، حتى أن لزينب بنت أمير المؤمنين أن تعيد دور أمها فاطمة الزهراء

سيدة نساء العالمين ، وتصبّ عليه سياط زواجرها وتصكّه بقوارع تأنيبها وقوارص توبيخها ، فنزلت عليه خطبتها نزول الصاعقة المحرقة ، حيث ابتدأت بعد حمد الله ، والصلاة على جدها رسول الله ، بهذه الآية التي اقتبستها من كتاب الله (ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوئ ان كذبوا بآيات الله ، وكانوا بها يستهزؤن) ثم قالت اظننت يا يزيد حيث اخذت علينا اقطار الارض وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تساق الاماء ان بنا على الله هوانا ، وبك عليه كرامة ، وان ذلك لعظم خطرك عنده ، فشمخت بانفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسرورا ، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة ، والامور متسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلا مهلا ، لا تطش جهلا ، أنسيت قول الله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ، ولهم عذاب مهين) امن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا ، قد هتكت ستورهن وابديت وجوههن ، تحدو بهن الاعداء من بلد الى بلد

وَيَتَشَرَّفُهُنَّ أَهْلُ المَنَاهِلِ وَالمَنَاقِلِ ، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ وَالدَّنِيُّ وَالشَّرِيفُ ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ وَلَا مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ ، وَكَيْفَ يُرْتَجَى مُرَاقَبَةُ ابْنِ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أَكْبَادَ الأَزْكِيَاءِ ، وَنَبَتَ لَحْمُهُ بِدِمَاءِ الشُّهَدَاءِ ، وَكَيْفَ يُسْتَبْطَأُ فِي بُغْضِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ مَنْ نَظَرَ إِلَيْنَا بِالشَّنَفِ(١) وَالشَّنَآنِ وَالإِحَنِ وَالأَضْغَانِ ، ثُمَّ تَقُولُ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ وَلَا مُسْتَعْظِمٍ ،

لَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحًا ثُمَّ قَالُوا يَا يَزِيدُ لَا تُشَلْ

مُنْحَنِيًا عَلَى ثَنَايَا أَبِي عَبْدِ اللهِ سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُهَا بِمِخْصَرَتِكَ ، وَكَيْفَ لَا تَقُولُ ذَلِكَ وَقَدْ نَكَأْتَ الْقُرْحَةَ ، وَاسْتَأْصَلْتَ الشَّأْفَةَ بِإِرَاقَتِكَ دِمَاءَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَنُجُومِ الأَرْضِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَتَهْتِفُ بِأَشْيَاخِكَ ، زَعَمْتَ أَنَّكَ تُنَادِيهِمْ ، فَلَتَرِدَنَّ وَشِيكًا مَوْرِدَهُمْ ، وَلَتَوَدَّنَّ أَنَّكَ شُلِلْتَ وَبَكِمْتَ ، وَلَمْ تَكُنْ قُلْتَ مَا قُلْتَ ، وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ - إِلَى أَنْ قَالَتْ - وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُخَاطَبَتَكَ ، فَإِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ ، وَأَسْتَعْظِمُ تَقْرِيعَكَ ، وَأَسْتَكْبِرُ تَوْبِيخَكَ ، لَكِنَّ الْعُيُونَ عَبْرَى وَالصُّدُورَ حَرَّى الخ

إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْحَارَّةَ إِلَى الْكَثِيرِ مِنْ أَضْعَافِهَا

(١) الشنف والبغض والأحنة والشنئان والضغن الفاظ مترادفة او متقاربة

وأمثالها أوما هو أشد منها لو صبّت على سوقة من الناس مغلوب لذاب وانماث فؤاده كما ينماث الملح في الماء فضلاً عن ملك ظافر يعقد لظفره محفلاً يزخر بمختلف الطبقات ليتم سروره وأنسه ، ويزهى أمامهم كما يزهى الطاووس بألوان ريشه ، ويختال بينهم كما يختال الغراب ، لكن يزيد غليظ جلدة الوجه ، وهو من أبرز مصاديق الحديث (شر الناس البذيء الوقاح ، الذي لا يبالي بما قال وما قيل له)

وعلى كل فإنا نستنبط من حوادث مجالس يزيد أموراً كثيرة (الأول) أن زينب وابن أخيها قد كررا توبيخ يزيد ، أضعاف ما نقل إلينا ، واختلاف نسخ خطبتهما هذا الاختلاف العظيم يفصح عن ذلك ، وأن لهما معه خطباً متعددة ،

(الثاني) لم يختص زين العابدين وعمته بتوبيخ يزيد وتقريعه ، فإن صغير أهل البيت جمرة لا تداس ، وكبيرهم بغيره لا يقاس ، وقد فتح لهم الباب على مصراعيه كبيراهم زينب وابن أخيها السجاد ،

(الثالث) لقد رجع يزيد الظافر العزيز مغلوباً ذليلاً أمام أسراه الذين أراد أن يفخروا الاستطالة عليهم ، فما حدثنا التاريخ بأسير عاد مغلوباً لأسيره ذليلاً بين يديه

كما وقع ليزيد وأساءه ، وأيم الله لقد كان بنو أمية مغلوبين في فتح مكة أعز منهم غالبين يوم الطف (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) فقد نادى أبو سفيان يوم فتح مكة في شعابها وأحيائها - كأمر الرسول - (من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) وعاد يزيد بعد الطف وبعد ذلك التأنيب الذي لاقاه بملأ من الناس يدخل داره ويخلو بنفسه ويندب حظه التعيس ويلطم على رأسه قائلاً (مالي وما للحسين بن علي بن أبي طالب)

(الرابع) أخذ يزيد - كما سماه أبوه - يزيد على التوبيخ عتواً واستكباراً ، وعلى كثرة العبر ضلالاً عن الرشد وتمادياً في البغي والطغيان إرادة الانتصار لنفسه ، والثأر لها وتدارك ما وقع في المجلس السابق في محفله اللاحق ، غير أن كيد الشيطان كان ضعيفاً ، فما أسرع أن تعود جولة باطله مغلوبة أمام صولة الحق ، مهزومة لقوة سلاحه أقبح هزيمة ، مندحرة لشدة بأسه أعظم اندحار ، - نعم وجلال الله -

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

(الخامس) استشار يزيد أهل الشام في أساراه بعدما

عرفوا لديهم ، وأهل الشام قد أشرب معاوية في قلوبهم بغض علي بن أبي طالب وبنيه ، بما روى لهم سمرة بن جندب وأضرابه ، وبما قرر معاوية في أذهانهم أنه قتل عثمان ، وعلى أثر هذا التقرير وقعت ملحمة صفين ، فقتل فيها الكثرة العظيمة من رجالاتهم ، فكان طبيعياً أن يقولوا له (لا تتخذ من كلب سوء جرواً) ليقول له الباقر على صغر سنه إذ ذاك (جلساء أخيك فرعون خير من جلسائك ، لأنهم أبناء رشدة ، وجلساؤك ليسوا بأبناء رشدة) فوقعت مشورة أهل الشام موقع القبول من قلب يزيد ، وصادفت هوى في نفسه ، وتلقاها مرتاحاً لها كما يتلقى الفؤاد المحرور بارد الماء النقيع ، وإن كانوا لم يأتوه برأي منكر ، بل لابد لجليس السلطان أن يتكلم بهوى السلطان ، فإن يزيد - كما استنبطنا من مجموع سيرته ، وصرحنا به كثيراً - كان إبادة أهل هذا البيت عن جديد الأرض هدفه الوحيد وضالته المنشودة وغرضه الذي لا يرى في الوجود سواه ، لأنه بالقضاء على ذرية محمد يقضي على دين محمد ، وفي خطبة زينب الآنفة الذكر دلالة واضحة على ما قلناه وبرهان ساطع ، إذ تقول له (فكد كيدك ، واسع

سَعْيَكَ وناصِبْ جَهْدَكَ ، فوالله لا تمحو ذكرنا ، ولا تُميتُ وَحْيَنا ، ولا تُدرِكُ أَمَدَنا ، صدق الله ورسوله وصدقت ابنةُ رسوله ، يريد بن معاوية يزيد ، بسعيه وجهده - أن يمحو ذكر محمد ، ويميت وحي محمد ودين محمد ، بإبادته لذرية محمد (ويريد الله أن يظهره على الدين كله ، ولو كره المشركون) فجعل الله زينب من أبرز الأسباب الظاهرة لحفظ دينه وخلوده في الوجود بحفظ سدنته (مصادر وحي الله ، خزان علمه) حيث أسند لها ذلك شقيق عظمتها أخوها الحسين ، وزوّدها بوصيته لها بالثبات ، ودعا لها أن يربط الله على قلبها بالصبر ، ووفّر لديها معدات الكفاح بل جهّزها بأسلحة الظفر بالعدو والانتصار عليه حيث عرف بها زين العابدين أنها ابنة علي سيد البلغا وسليلة فاطمة التي احتكرت بلاغات النساء في خطبتها العصماء ، وقد ورثت من هذين الأبوين قوة العارضة والبيان ، وفصاحة المنطق ومضاء اللسان ، كشقيقها الحسين خطيب الطف الذي شهد له عدوه ابن سعد بعد ما تدفق بيانه خطباً منسجمة (تدفق الماء في الأمثال والحكم) فقال لأصحابه (ويلكم

كلموه فإنه ابن أبيه . والله لو وقف فيكم هكذا يوما جديداً لما انقطع ولما حصر) وبعد فإذا عجزت قوتها البشرية فقد ادخر لها الحسين ما يكفيها لمهمتها من القوة الإلهية ، من استجابة الدعاء ، فكم دعت الله على من تحرش برأس الحسين ، أو لأحد عياله ، فحقق الله لها أملها ، واستجاب دعاءها ، وإذا تدلى العذاب على القوم الظالمين ، بدعاء فضة أمة فاطمة ، فما بالك بدعاء زينب بنت فاطمة التي تدلى العذاب وتقاعت الحيطان أن همت برفع قناعها وأنشدت بلسان حالها ،

خلوا ابن عمي أو لأكشف بالدعا رأسي وأشكو للإله شجوني

فمن دعت عليه زينب فأهلكه الله ، اللخمي ، الذي طلب من يزيد سكينة يتيمة الحسين ع ، لتكون خادمة له ، وكان عارفاً بها ، فأراد أن يتخذها تنكيلاً بأهل البيت وامتهاناً لهم ، لأنه من القوم الذين غرس معاوية في قلوبهم بغض أهل هذا البيت ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر استجابة لدعاء زينب وأهلكه من وقته وساعته ، وجاء الشامي الآخر المسكين المخدوع بأكاذيب يزيد وزخارفه فطلب من يزيد يتيمة الحسين فاطمة الصغرى وقال له

يا أمير هب لي هذه الجارية من هذه الغنيمة لتكون خادمة لي في منزلي فلاذت اليتيمة بعمتها زينب ع الكهف الذي أمرهم الحسين ع أن يعتصموا به كلما نزلت بهم إحدى الملمات ، قائلة (عمة أوتمت على صغر سني وأستخدم) تريد أما تكفيني مصيبة واحدة هي مصيبة اليتم وكفى بها ذلة وسوء حال ، حتى تقرن إليها مصيبة انفصالي عنكم انفصال الغصن من دوحته ثم أستخدم مهانة في بيوت الشاميين ، فهدأت روعها عمتها زينب ، وبشرتها أنه ما جعل الله ذلك له ولا للأمير الأعظم منه ، فانتفخت أوداج يزيد لعنه غيظاً وغضباً ، لأنه اتخذهم مغنماً يهب منه لمن يشاء ويقسمه حيث أراد ، وقد رأى زينب تلحد في سلطانه وتغض في مجلسه من قدره ، فقال ذلك لي ولو شئت لفعلت ، قالت له (إلا أن تخرج من ديننا وتدين بغير ملتنا) فأحدمت وقدة غضبه وتسلح بالسب والشتم ، وهما سلاح البذيء المخذول قائلاً لها (إياي تستقبلين بهذا الخطاب إنما خرج من الدين أبوك وأخوك) قطع الله لسانه أيظن زينب من أهل الشام ، تؤمن بكل ما تسمع من يزيد أو سمرة بن جندب ، كلا فقد ردت كيده في نحره

بلسانٍ أمضى من شفرة السيف الصقيل، وأبلغ أثراً من وخز السنان الرديني (بدين جدي وأبي وأخي اهتديت إن كنت مسلماً) فجاءت بكلمة إن وهي للشك إيذاناً بأن إظهاره للإسلام هو مثار الشك، وفعله وقوله هذا يصرح عن حقيقة أمره وصريح كفره، وما لبث المسكين المخدوع الذي طلب من يزيد أن تكون الطفلة خادمة له في منزله أن أسلم وجهه لله وتبرأ من يزيد ولعنه، فقتله يزيد، وظن أن في قتله ثأراً من زينب وأهل البيت، وكم قتل هو وجنوده من الأحبار والرهبان وغيرهم من المستبصرين أمثال هذا، ستراً للحقيقة وكتماناً لأفعالهم الشنيعة (وليس لما قد أظهر الله كاتم)

يحاول أن يخفي على الناس أمره ضلالاً، ومن ذا يستر الشمس باليد

ضاق يزيد ذرعاً بأساراه، وبطلت في قتلهم أو التنكيل بهم حيله، وحاق به - دونهم - مكره - (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) أراد أن يجعلهم خوارج مجهولين، فصار أنبه شأناً من الشمس في خطبة زين العابدين، وحاول أن يؤكد في الأذهان أنهم أعداء الإسلام والدين الذين أوجب سبهم والبراءة منهم نبي المسلمين، كما حقق ذلك

عندهم معاوية تعزخال المؤمنين ، فصرّح المحض عن زبده ، وكشفت الرغوة عن الصريح ، وإذا هم الشعار للإسلام دون الدثار ، وإذا هم أركانه ودعائمه التي قام عليهم بناؤه بعد جدهم المختار ، وكان طبعيّاً أن يعود ذلك البغض في نفوسهم حبًا ، وينقلب سبّهم وشتمهم ذكرا حسنًا وثناءً جميلًا ، وبجبّر ابن ميسون وأراد أن يرى مبلغ قوته ، فأمر بقتل زين العابدين جهرًا ، فناداه لسان حال مجتمعه (يا يزيد ردّ الغلام وإلّا فإنك مقتول) وأمر بقتله سرًّا فضربت جلوازه اليد الغيبية من الهواء ، وأوقعه الله في البئر التي حفرها له ، وأراد أن يتخذهم مغنمًا يقسمهم على أهل الشام ، فوجدهم مغرمًا ، ورأى السلامة منهم غنيمة ، كما توعّدته زينب ، أمّا فصاحته وفصاحة خطبائه فقد عادت أول جيوشه المهزومة أمام فصاحة عدل القرآن وورثة محمّد الذي أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ،

وأنتج له تفكيره الطويل ، وكفره بالله العظيم ، وخروجه عن الإنسانية ، وعدم مبالاته بما يقول وما يقال فيه ، أن يتخلص من هذه الحيرة ، ويخرج من هذا المأزق لضيق الحرج ، بأن يحيط أساراه بهالة من المخاطر ودائرة من المخاوف

وتجعلهم في مجتمع السبيل من التهديد والتوعيد ، لعله ينجح في واحد منها إن أخفق من مجموعها ، فوضعهم في دارٍ خربة ، لا تكنّهم عن حرٍّ ولا بردٍ ، حتى تقشرت من شدة الحر فيها ولهيب الشمس وجوه الفاطميات ، وكانت متداعية الجدران ، فهم يراقبونها ويترصدونها في كل وقتٍ خوف أن تسقط عليهم جدرها فتقتلهم جميعًا بأسرع من ردّ البصر ، وكل فيهم من يهزأ من خوفهم أن تسقط الجدر عليهم ، ويزيد غدًا يخرجهم ويأمر بقتلهم على بكرة أبيهم ، والوقوع في الخطر أهون من الخوف منه والحذر ، واتخذ حثالة الناس والسفهاء من النساء والصبيان يتفرجون عليهم في الخربة ويشمتون بهم ، والشماتة أعظم المصائب وعنها خار صبر أيوب ولا أن أمامها عوده الصليب نعم ؟

كل المصائب قد تمر على الفتى فتهون غير شماتة الأعداء

وبينا هو يستشف برق الأمل ويتنسم ريح النجاح ، إذ سمع الصيحة تتصل من الخربة بداره ، وتتناوب دونها الأجواء ، وما ألذ تلك البشارة لديه ، وما أحسن وقعها في نفسه ، عند ما عرف سبب هذه الصيحة أن طفلة للحسين رأت أباها في الطيف ، فانتبهت وهي تلح على عمتها

وَلا تقبلُ عذرًا ولا تهدأُ - كما كانت سابقًا - بوعدٍ دون رؤيتِه بشخصه في الوقتِ الحاضر، فتبشّر نفسه بالفوز برغبته والنجاح بأمنيتِه، وقال الآن وقعوا في شَرَكِ الموتِ وتوغّلوا في حِبالةِ الردى، الآن آزفت لمعاويةَ البشرى وهو في عساكرِ الموتى، فإنّه لابُدّ أن يكون سمع بمثلِ حادثةِ المتنبّي مَعَ جدّتِه إذ غاب عنها مُدّةً طويلةً، ثمّ رجع وكتب لها من بغداد - وهي في الكوفةِ - يُبشّرها برجوعِه، فماتت بمجرّدِ رؤيةِ كتابه، حيث اضطرعَ في قلبِها الشوقُ لرؤيتِه، والحزنُ لطولِ غيبتِه، والفرحُ بوصولِ نبأ عودتِه، فما بالُ هؤلاءِ الأسرى الذين أكلَ الشوقُ للحسينِ قلوبَهم، وذهبَ الحزنُ على مُصابِه بنفوسِهم، وطالَ فراقُهم له وغيبتُه عنهم، وإذا هم برأسِه المقطوعِ يقعُ في متوسّطِهم، وهل هنالكَ سلاحٌ أعظم من هذا السلاحِ لقتلِهم، وهل من مظنّةٍ لسلامتِهم أو مطمعٍ لبقائِهم في الحياةِ بعدَ رؤيتِهم له بتلكَ الحالةِ ووقوعِه بينَ أيديهم، وما علمَ عدوُّ اللهِ أنّ اللهَ منذُ قدّرَ عليهم هذه الفوادحَ خلعَ عليهم سرابيلَ منَ الصبرِ تقيهم بأسَه، وتفلُّ حدودَ حيلِه ومكرِه بل تردُّ كيدَه في نحرِه، لأنّه لا يُكلّفُ نفسًا إلّا وسعها، وهم وإن كانوا في شوقِهم للحسينِ

وعميق حزنهم عليه كأسنان المشط ، ولكن الدوحة
العظيمة لا بد أن تكون أصلب عوداً ، وأثبت جذوراً
لمقاومة الرياح العواصف ، والروائع الخضرة أضعف
جلداً وأرق جلوداً ، وأوهى قوى وأوهن كبوداً ، فما
إن رأت الطفلة رأس أبيها القطيع - وقد كانت فارقته
الآن في منظره المبهج ومنطقه الحلو الفصيح - حتى
انحنت عليه حاضنة له بكلتا يديها ، تضع عليه
القبل الحارة ، وتشبع نهمة وجدها من لثمه المتتابع
شاكية له ما لاقت ولاقى أهل بيتها من قاتليه اللئام
نادبة له أشجى ندبة ، راثية له أحر الرثاء ، وهي
تقاطع كلماتها التي تخرج معها شظايا فؤادها بقولها
(أبتاه يا أبتاه) ساعد الله قلوب أهل البيت
على رؤية هذا المنظر الشجي ، ولله صبرهم لسماع
هذا الرثاء الذي لو وعاه الصخر الأصم لذاب ، ولو صبت
على البحار لسجرت نيراناً ، وأخذ صوتها يذوب
قليلاً قليلاً ، ونبرات رثائها وشكاتها تتضاءل
رويداً رويداً ، حتى عادت أنفاساً متصاعدة
وزفرات مترددة ، ثم أصمتت فعادت ، وهي
صوت خافت وطرف باهت ، يا ليت شعري أهل البيت

ما هذا السكوت الذي فاجأها (ليتهم يعلمون ما ذا دهاها) يا لله للعجب ما هذا الصمت والسكون الذي اعتراها، فحركوها وهم يظنون أنهم ينبهونها من نومها، ويوقظونها من غفوتها، وإذا بها ميتة قد فارقت روحها الدنيا ورأسها على رأس أبيها المقطوع، الله أكبر الله أكبر،

وطفلة قد برأها فقد والدها ... بري القداح فلم تهدأ ولم تنم

وجهاً لوجه أروها الرأس فانعطفت ... وقبلته على وجد فما لفم

فشق منها فؤاداً سيف رؤيته ... فلم تعش وهو صدع غير ملتئم

(لماذا تقيم عزاء الحسين)

إذا جرّد المعترض لسانه على مفخرة الشيعة، وإمامهم الحسين، فماذا يمنعه ويكف لسانه عن الاعتراض عليهم أنفسهم، في إقامة عزاء إمامهم جيلاً بعد جيل، حتى مضت على ذلك قرون كثيرة وأجيال متتابعة، ومصيبته عندهم لا تزال حيّة، بل هي مع الأجيال غضة طرية، نعم وربك،

بنفسي من لا زال غضاً مصابه ... كما لم يزل غضاً مدى الدهر مصحف
وفجائع الأيام تبقى مدة ... وتزول وهي إلى القيامة باقية

يقول المعترض إنها بدعة، فنقول له ما أبدع هذه البدعة وما أروعها، ويقول إنها توجب أضراراً بالمال وبالجسد، فنقول له نحن نعد هذه الأضرار منافع، فماذا يضرك أنت،

والقول الفصل في الجواب أن هذا موضوع آخر ساقنا إليه الاستطراد، وقد أفرد لأجله تأليف كتب، ولكننا نتبرّع لك في الجواب بما يحتمله موضوع كتابنا في وجوه؟

(الأول) أننا نروي الشيء الكثير عن حامل رسالة السماء الخالدة جده رسول الله أنه كان يحث على زيارته والبكاء عليه جيلاً بعد جيل، بعد أن يخبر بقتاله قبل وقوعه، ويشمه ويقبله في مواضع سهام القوم وسيوفهم، وهو أحد دلائل النبوة، وتشترك في ذلك كتب الفريقين. وسيأتي ذكر بعضها في آخر البحث

(الثاني) قوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج ونحوه، وقول النبي ص (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) إنما ترفع به الأحكام الأولية التي لم تبن أول الأمر على الضرر والحرج، أما التي أمر بها الشارع مبنية أول الأمر على العسر والحرج وإنفاق المال، كالجهاد والصوم والحج ونحوها فلا يرفعها العسر والحرج والضرر، وذلك واضح لمن تأمل في أحكام الشريعة،

(الثالث) أننا نروي الكثير عن أئمتنا قبل غيبة ثاني عشرهم أنهم كانوا يحثون شيعتهم على ذلك، وكانوا في طليعة المطبقين أعمالهم على أقوالهم، و أفعالهم على أوامرهم، لأن الأقوال بغير الأفعال تعد جزافاً، فإنه عضاضة على الشيعة في امتثال

أو أمر أئمتهم ، وأيّ اعتراض عليهم في اقتدائهم بأفعال هداتهم وقادتهم ، ولا أرى المعترض يجد فرقاً بين القرنين وما زاد عليهما ، فإنّ الحكم بين هذين الخطين واحد ، لعدم ما يدل على تحديده في أقصرهما أمدا ، أما إذا زعم المعترض أن الخلفاء من آل محمد مبدعون ، والأئمة الذين جعلهم الله يهدون بأمره ، قبل شيعتهم ضالون فما أحسن هذه البدعة ، وما أرشد هذا الضلال إنا والله نحيا ونموت على طريقتهم ، ونحشر وننشر على هداهم ، لا نبغي عنهم بدلاً ، ولا نريد إلى غيرهم حولا ،

أبا حسن إن كان حبك مدخلي جحيماً فإن الفوز عندي جحيمها

الرابع لقد وردت الأخبار الكثيرة المتواترة في الحث على زيارة الحسين ، وقد روى بعض ذلك الجمهور عن النبي (صلى الله عليه وآله) في بيت عائشة أم المؤمنين إذ أخبرها بقتل الحسين عليه السلام ، وكان إذ ذاك طفلاً رضيعا ، وذكر لها أن من زاره بعد قتله فله حجة من حججه صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعجبت أم المؤمنين ، فقال له حجة من حججك ، قال نعم بل حجتان فأعادت

استفهامها التعجبي ، وزاد الرسول في النصاب حجة اخرى من حججه ، فكلما اعادت استفهامها متعجبة زادها الرسول حجة ، حتى بلغت السبعين فانقطعت عن الاستفهام ، لان السبعين من غايات الكثرة في عرف العرب ، وقد ورد في غير هذا الخبر ما لا يتحمله عقل المعترض ، فلنعرض عن ذكره لنقبله ونريح فكره منه ، والآن ماذا يروم المعترض ايقترح علينا ان نزور الحسين عليه بغير بكاء منا عليه ، ولقد جاء بكاؤه في كثير من اخبار زيارته مقرونا بها ، وان الملائكة تناديه (ايها الباكي لو علمت ما لك من الاجر لكان فرحك اعظم من حزنك) واذا كان البكاء على الحسين (عليه السلام) جائزا عند زيارته في حضرته ، فان المعترض يقول بعدم الفصل بين هذا البكاء وغيره في اي زمان من الازمنة وفي اي مكان من بقاع الارض ،

نقول وبهذا الخبر وغيره وبهذه الادلة وامثالها نرد كل متحفز للاعتراض علينا بزيارة الحسين ، حيث يدعي بدعيتها ، او ما شاكل هذه الدعوى

الزائفة من أدلة هي أوهن من بيت العنكبوت ،

(الخامس) لا زالت الأمم الحية تقدس عظماءها من علماء وشعراء ، وتحتفل لهم الاحتفالات المئوية والألفية ، كاحتفال العرب احتفالا ألفيا لأبي العلاء المعري ، وإيران للشاعر الفردوسي ، وغيرهما بين الأمتين مما يطول بتعدادها الاملاء ، فماذا يكون إذا قدست الأمة الإسلامية ، بطل نهضتها حفيد نبيها الحسين (عليه السلام) ولعل المعترض يزعم أن ليست أفعال هذه الأمم أدلة شرعية ، ليخرجها من البدعية ، قلنا نعم ، ولكن إن أقام المعترض دليلاً على التحريم فإن ما ذكرناه من الأدلة ترجح جانب دليل الحلية ، بل المشروعية على دليله دليل التحريم كما يزعم ، وإن عجز عن إقامة دليل التحريم ، فيبقى دليل أصالة الحلية بلا معارض ، ونكون تابعين لسيرة العقلاء والأمم الراقية الحية ، إذا ضعفت أدلتنا عن حجية المشروعية ، ولن تضعف أبدا (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا)

(السادس) يقول الحسين عليه السلام (أنا قتيل العبرة) وقد فهمنا أنها العبرة بكسر العين دون فتحها ، لأن مفهومها مذكور في الفقرة الثانية ، فيكون تأكيداً لما في الفقرة الأولى والتأسيس خير من التأكيد ،

نقول فإذا كان الحسين قتل لأجل العبرة ، وأن تأخذ أمة جده من نهضته دروساً نافعة تصحبها إلى اليوم الآخر ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فكيف تستطيع الأمة من كسب العبرة من نهضته ، ما لم تكررها على ذاكرتها ، وتجددها لئلا يخلقها مر العصور وتعاقب الملوين ، فإن الإذن في الشيء إذن في لوازمه ، بل الأمر بالواجب أمر بمقدمته شرعاً وعرفاً وعادة و عقلاً ، ولعل المعترض يقول أية عبرة في نهضة الحسين ولكنا نقول له أما مر عليك الكثير منها في تضاعيف الكتاب من رد الحسين غادية بني أمية عن دين الإسلام والنواميس العربية ، ومن عدم إعطائه من نفسه الدنية ، واستخذائه(١) للضيم فدون ذلك ارتكاب المنية ، ومن تعليمه العلماء من الأمة ألا يقاروا على كظة(٢) ظالم ولا سغب مظلوم ، ومن صبره على الحوادث وعدم اكتراثه بالنوازل ، فقل حدودها بديع صبره

(١) التضامن والانقياد (٢) الكظة : امتلاء البطن ، والسغب شدة الجوع والمراد بهما شدة الظلم

السابعة (وكل ماض بدرع الصبر مفلول)، وليس في الإعادة إفادة، وما سنجدد بتكرار ذكرى نهضته من أسرارها أكثر، وما خفي علينا أشد وأعظم، وكل من سار على الدرب وصل والله يهدي من يشاء إلى سواء السبيل،

(السابع) يقول الحسين عليه السلام، في هذا الحديث (ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة إلا بكيا لمصابي) فقد جعل أرواحنا فداه البكاء عليه عند ذكر مصابه علامة للإيمان في هذه الفقرة الثانية. فأشبه الحديث الوارد عن جده في أبيه (يا علي حبك إيمان وبغضك كفر) أجل فإن المؤمن يرث الحزن على الحسين من قبل الأبوين الأب العنصري وهو آدم، فقد تلقى كلمات من ربه وهي أسماء الخمسة الأشباح محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وذلك بعد معصيته وهبوطه إلى الأرض، وقد كان رآها مكتوبة على ساق العرش، منذ أن كان في الجنة، فكان إذا ذكر الأربعة تسلى بهم وانشرح صدره، وإذا ذكر الحسين هاجت بلابل حزنه وسالت الدموع على خديه،

إلى جبرئيل ذلك ، وسأله عن سبب هذا الحزن وهذا البكاء ، فأخبره أن هذا الخامس يقتل في تفصيل طويل ، وسأل الله آدم أن يحول أنوارهم من صلبه إلى أصابع كفه ، لينظر إليها بعيني رأسه ، ويشاهدها طيلة حياته ، فيأنس بها ويبتهج وتنبسط نفسه ، فصار نور الحسين ؏ في إبهام كفه ، فكان إذا نظر إلى أصابعه الأربع فرح وانشرح صدره ، وإذا نظر إلى إبهامه حزن وتجدد لوعته ، ومن هنا يؤمر من غلب عليه الضحك بالنظر إلى إبهام كف يده اليمنى (الثاني) الأبوان الروحيان محمد وعلي ، كما يقول ؐ في الحديث المتواتر عنه (يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمة) والمؤمن ينتسب لآدم حقاً فيرثه لأنه ليس في سلسلة نسبه إليه زنا ، لأن الزاني يفسد النسل ويهلكه إلى يوم القيامة ، وإذا لم يكن في سلسلة نسبه فساد ورث الإيمان من محمد وعلي أبوي هذه الأمة ، وورث معه عنهما الحزن على فلذة كبدهما الحسين ، فاستحق أن يخاطب من قبل الصادق ؏ أنتم الطيبون وبنا وكما لطيبات يشير إلى آية (والطيبون للطيبات

والطيبات للطيبين) واستحق ان يخلع عليه الحسين هذه الخلعة السنية (ما ذكرت عند مؤمن ولا مؤمنة الا بكيا المصابي)

(الثامن) رأى الصادق عليه السلام - وهو رئيس مذهب الشيعة - ان التشيع انما قامت دعائمه وثبتت اركانه وانتشر طائرا صيته في جميع انحاء المعمورة بقتل جده الحسين ، ومن هنا قيل للاسلام علوي ، وللتشيع حسيني ، وللمذهب جعفري ، فكان لزاما عليه ان يحيي في جميع اجيال تابعيه ذكرى جده الحسين عليه السلام ، وان يجعلها دائما نصب اعينهم وملء آذانهم ، وهجيراهم[1] الذي عليه يحيون وعليه يموتون ، كل ذلك قياما ببعض الواجب ، وعرفانا للجميل ، وجزاء للاحسان بالاحسان وتحقيقا لكون علة الحدوث هي علة البقاء ، فان عرض مظلومية الحسين لو لم تحي مع الاجيال ، وذهبت مع امس الدابر لذهبت بمفعولها ، وانطمست باثارها ، وقد ذكرنا كثيرا ان الآثار تتبع الاشياء بوجودها الخارجي دون الذهني ،

(١) الهجيرى والاهجورة والاهجيرى والهجرياء والاهجيراء : الدأب والشأن

(التاسع): دع ما ادّعته النصارى في نبيّهم، حيث جعلوه ربّهم أو جزءً لربّهم، ودع احتفالاتهم العظيمة لعيد ميلاده وغيره ودع اليهود وأعيادها المتعدّدة، ودع غيرهما من المليّين، وصوّب النظر وصعّده في المسلمين تجدهم يقدّسون يوم ميلاد نبيّهم الأعظم، ويحتفلون به احتفالاً منقطع النظير، في كلّ سنة وفي كل صقع من الأصقاع على اختلاف نحلهم ونزعاتهم وألسنتهم ولهجاتهم،

ثمّ نقول فما هو الفارق بين الفرح والحزن، وقد جاء عن أئمتنا (شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا) وها نحن لا نختص الحسين بهذا الأمر بل نفرح بعيد ميلاد الرسول ونحزن أعمق الحزن في يوم وفاته، أمّا زيادة حزننا على الحسين طول السنة دون جدّه وأبيه وأمّهما، فإنّما ذلك لعظم مصيبته على جميع المصائب يا معشر المسلمين، ولماذا لا تعذرونا وأنتم ترونا نترك مصائبنا الخاصة بنا، وندّس بها في أوّل صدمتها مصيبة الحسين، ثمّ تنكص تلك المصائب على

عقبيها ، وتجري مصيبة الحسين إلى أمد لا يعلم مداه إلا الله رب العالمين ، أليس في ذلك برهان واضح وسلطان مبين أن الله حافظ هذه المصيبة في كل جيل ، وفي كل صقع لأمر هو بالغه كما حفظ دينه الإسلام وكتابه القرآن

نفسي من لا زال غضاً مصحف ... كما لم يزل غضاً مدى الدهر مصحف
أنست رزيتكم رزايانا التي ... سلفت وهونت الرزايا الآتية

(العاشر) أن الشيعة ترجو وتتوخى من إقامة عزاء الحسين فوائد كلها معقولة ، وأكثرها مجربة ، والوجدان فضلاً عن البرهان قائم عليها ، وإليك بعضها لأن موضوع البحث لا يتحملها كلها ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، (الأولى) أن الكثير من خدام المآتم العزائية - ومنهم الذاكرون - يعيشون بفضل الحسين عيشة راضية هنية (وأحب عباد الله أنفعهم لعباد الله (الثانية) أن الفقراء والمساكين ينتفعون في مجالس العزاء كثيراً ، وربما أعدى بعض الحاضرين كرم الحسين ، فجاد على بعض الفقراء ، حتى جعله في مصاف الأغنياء (وخير الصدقة ما أكسبت غنى) (الثالثة) ينتفع الأدباء من شعراء

ومؤلفين ووعّاظ ونحوهم ، فإنّ تعزية الحسين لو لم تكن سوقاً رائجة لم تنفق بها بضائعهم ، وإذا لم يشترها منهم أحد وكسدت في أيديهم ، فلماذا يصنعونها وهم يعلمون أنّهم لا يبيعونها (الرابعة) من المحقق انّ تعزية الحسين مدرسة سيّارة ، حيث تنشر فيها الآداب وتلقى بها الخطب العصماء ، والأشعار الرائقة في جميع اللغات ، فهي مهد الحضارة و معهد الآداب ، ومنبر الوعظ والإرشاد ، ومجمع النصائح ، وملتقى العلوم الحاضرة الحديثة والقديمة الكريمة ، وما لا يحصى من هذا القبيل (الخامسة) إقامة عزاء الحسين لا تكون إلا بالاجتماع ، وهل تدري ما هي فوائد الاجتماع فإنّ الإنسان مدنيّ بالطبع ، واليد الواحدة لا تصفق ، وعيشة الوحدة والانفراد عيشة الوحوش ، إلا لمن يريد تهذيب نفسه وتصفيتها من الرذائل وتكميلها بالتفكير ، وهم الأوحديّ النادر من الناس امّا النوع الإنساني والسواد الأعظم منه فإنّ الاجتماع هو دواؤهم الناجع ، وسلاحهم الذي يكافحون به أدواء مجتمعهم ، ومن ثمّ قيل (المجالس كالمدارس)

(بل انها هي لا في كاف تشبيهه) أتحسبني مبالغاً في فوائد الاجتماع، فهل كنت في غفلة عن اهتمام الشرع والعقلاء فيه، فانظر اليه كيف شرع مجتمعاً يتكرر يومياً لصلاة الجماعة، ولم يكفه ذلك حتى توسع فيه، فجعله اسبوعياً لصلاة الجمعة، ليتفاوض فيه الناس عما جرى في اسبوعهم، وليدرسوا حوادثهم فيه درساً كاملاً، ينفعهم في مستقبلهم وارتقى به الأمر، فعقد لهم نادياً سنوياً في صلاة العيد، وحتم عليهم حضور هذين المجتمعين من بعد فرسخين، ولم يرخص عن عدم حضورهما الا لمن ليس له قابلية الاستعداد، لتلقي الدروس النافعة وتلقينها الغائبين عن مجلس الخطاب، كأهل العاهات من الأعمى والمريض والأعرج والهم والأنثى، وقد جاء ان المرأة لا عقل لها، واتسع نطاق الاسلام، وترامت اطرافه، وكادت تبلغ منتهى الخف والحافر، فاحتاجوا الى مجمع عظيم، كأعظم ما يتصوره العقل وتجري به العادة، فشرع لهم الحج (وأذن بالحج يأتوك رجالاً، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، ليشهدوا منافع لهم) صدق الله تعالى فما أكثر

هذه المنافع التي يشهدونها ، ويرجعون بها الى بلدانهم الشاسعة ، واقطارهم النائية ، وفجاجهما العميقة ، وقد ندب الشارع أتباعه لاستقبال الحاج ومصافحتهم ، كل ذلك تنشيطاً لهممهم ، وتثقيفاً لعزائمهم ، واسئلها ما لما رأى الحاج في هذه المجامع العظيمة والاجتماعات الضخمة المهمة ، فالى الوئام والاخاء والمصافحة والمعانقة ، ومبادلة الود والعواطف ، ايها المسلمون ، والى ما ندبكم الشريعة ، ايها الشيعة ، والى ما دعتكم اليه أئمتكم ، وحضتكم عليه هداتكم ، أيها الأخوان ، واذا اردتم تحقيق هذا واضعاف هذا ، فالاجتماع الاجتماع لاقامة عزاء سيد الشهداء (السادس) يرى الشيعة ان في اقامة عزاء الحسين نماء اسباب المعاش وخصب سعة الأرزاق ، وهناء حياتهم بوفود معداتها ، ويرون بقطعها اضدادها ، وليس هذا اعتقاداً فارغاً من الحقيقة لتقول (كل حزب بما لديهم فرحون) فهؤلاء عباد البقر في الهند ، وهم يعبدون الاصنام ، ويقدسون البقر يقيمون عزاء الحسين ، وهم لا يعتقدون بمجد الحسين ، ولا برب الحسين أفتراهم يرجون ثواباً أخروياً ، كلا ثم كلا ، ولكنهم جربوا في اقامة عزائه خصب سعة أرزاقهم وبركة معدات معايشهم ، وجربوا

بقطعها البلاء المنصب عليهم بما لم يألفوه ، فقدسوا الحسين بإقامة
عزائه ، وإن لم يدينوا بدينه ولم يعرفوه (السابعة) ترى لشيعته لاسيما
خصوصاً الحسين فضائل كثيرة ومعجزات عظيمة وفيرة ، تنذر لبلوغ
أكثرها النذور فتوفى ، وتشاهد أكثرها في المجالس العزائية كشفاً
المرضى ، ومعافاة أرباب العاهات والمؤوفين ، وأعظمها ما ينقل
لنا متواتراً أن أولئك الكفرة يمشون جائين ذاهبين في العزاء
على النيران الموقدة من أخشاب أشجار الهند الصلبة ، فلا تحرقهم
ولا تؤثر عليهم شيئاً ، حتى تنطفي تحت أرجلهم ، وهم يندبون الحسين
ندبة أحرّ جوى من تلك النيران الملتهبة ، أم ترى أن حرارة
نيران الخشب تندك بلواعج أحزان القلب ، إذن فلا بدع ولا
عجب (الثامنة) أن الشيعة بإقامة عزاء الحسين يحققون
ما ذكره نبيهم الأعظم فقد وعدهم عن ظهر الغيب أنهم سيقيمون
عزاءه جيلاً بعد جيل ، وهدأ بذلك روع بضعته الزهراء
حتى اطمأن بالها وسكن خاطرها ، وتسلت عن ذبح ولدها
بعض التسلية ، كما أن الشيعة إذ تحقق لنبيهم وبضعته مناهما
يرجون ما وعدوهما من شفاعتهما الكبرى ، ويبلعون أعناقهم
لتلقي عارفيهم واستقبالهم يوم الفزع الأكبر (يوم يفر المرء
من أبيه وأمه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه) ويسرني كثيراً
- بل يحزنني عظيماً - أن آتيا من بختم الكتاب بالرواية التي

تشتمل على هذه الوعود الكريمة والبشارات العظيمة ، في تلك المراجعة التي جرت في عهد طفولة الحسين بن النبي وبضعته ، والحوار الذي دار حول مصيبته واقامة عزائه ، بين المصطفى وثمرة قلبه وقرة عينه الحوراء الزهراء سلام الله عليها ، وذلك حين دخل الحسن واخوه الحسين يوما على النبي ، فشمّ الحسن في فيه وشم الحسين في نحره ، فقام الحسين واقبل الى امه ، فقال لها (اماه شمي فمي ، هل تجدين فيه رائحة يكرهها جدي رسول الله فشمته في فمه ، فاذا هو اطيب من المسك ، ثم جاءت به الى ابيها ، فقالت له ابه لم كسرت قلب ولدي الحسين فقال لم قالت شم اخاه في فمه ، وشمه في نحره ، فلما سمع بكى وقال بنية اما ولدي الحسن ، فاني شممته في فمه لانه يسقى السم فيموت مسموما ، واما الحسين فاني شممته في نحره ، لانه يذبح من الوريد الى الوريد ، فلما سمعت فاطمة بكت بكاء شديدا) وقالت ابه متى يكون ذلك ، فقال لها بنية في زمان خال مني ومنك ومن ابيه واخيه ، فاشتد بكاؤها ، ثم قالت ابه اذن فمن يبكي عليه ، ومن يلتزم باقامة العزاء عليه ، فقال لها ، (بنية فاطمة ان نساء امتي يبكون على نساء اهل بيتي ورجالهم يبكون على رجال اهل بيتي ، ويجددون العزاء جيلا بعد جيل ، فاذا كان يوم القيامة

أنت تشفعين للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من يبكي على
ولدك الحسين عليه السلام أخذنا بيده وأدخلناه الجنة)
على أننا يا مولاي يا أبا عبد الله، يا سيدي يا ابن
رسول الله إنما نبكيك لعظيم مصيبتك وننوح لحرقة رزيتك
- إي والله -

تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ... لكنما عيني لأجلك باكيه
تبتل منكم كربلا بدم ولا ... تبتل مني بالدموع الجاريه

وقد استراح القلم من الجري في مضمار السباق على الطروس والأوراق، وانتهى تأليف الكتاب - وسبحان من لا حد لأوله ولا نهاية لآخره، وله الحمد والمجد - وذلك في منتهى شهر الله الأعظم شهر رمضان المبارك سنة ١٣٧٧ فنسأل الله أن يتمم بركته، بعد أن تشمله بركة من ألف لأجله، ويهدي إلى عتبته العالية المقدسة الحسين ريحانة سيد النبيين وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين المظلومين. على يد أقل العباد عملاً وأكثرهم جرماً وزللاً المعترف بخطأه، والراجي رحمة ربه وعطف نبيه وشفاعة الحسين سيده ومولاه عبد العظيم الربعي

كتبه أقل الحاج عبد الرحيم ابن
أبي الفضل النصير آبادي
الزنجاني

چاپ افست و ١٣٧٨ گراور سازی رشدیه

فهرس الجزء الاول من كتاب سياسة الحسين

صحيفة	الموضوع	صورة الاعتراض غالبا
٢	المؤلف الربعي	والسبب الذي دعاه لتأليف الكتاب
٤	مجمل سياسة الحسين	كيفية الاعتراض بوجهين ومماشاة المعترضين
٥	الحسين بن علي	لماذا امتنع عن بيعة يزيد لعن
٩	الحسين بن علي	لماذا يتعرض لقافلة بحير بن ريسان
١٢	مسلم بن عقيل	لم لم يأخذ الحذر من العدو
١٧	مسلم بن عقيل	لماذا صفح عن ابن زياد
٣١	الحسين بن علي	كيف ركن الى الكوفة
٤٠	الحسين بن علي	ومماشاته لاهل الكوفة
٤٥	الحسين بن علي	لم لم ينزل على حكم يزيد لعنه
٥٤	يزيد بن معاوية	والتعليق على اقتراحه
٦١	الحسين بن علي	لماذا اذن لانصاره بالانصراف عنه
٧٠	انصار الحسين	كيف برزوا للجيش آحادا
٧٦	علي الأكبر	لماذا بشر وحده اباه بالرواء
٩٢	ابو الفضل العباس	كيف رمى الغرفة من يده
١١٥	القاسم بن الحسن ع	ما وجه تزويجه يوم عاشوراء
١٢٧	عبد الله الرضيع	لماذا يحمله ابوه الى المعركة
١٣٩	ابو عبد الله الحسين	والعجز عن وصف شجاعته
١٦١	الحسين في قوة باسه	لماذا يطلب المبارزة
١٧٥	الحسين الغالب المنصور	لماذا يأمر السيوف ان تأخذه

✲ فهرس الجزء الثاني من كتاب سياسة الحسين ✲

صحيفة	الموضوع	صورة الاعتراض غالباً
٣	صدور المعجزات للحسين	اثناء نهضته الكريمة
١٣	نزول الصحيفة على الحسين	والنداء به من قبل الحق
٢٤	خسوف الشمس والقمر	ونحوهما في قتل الحسين
٣٥	الحسين ونبل عاطفته	وقاتلوه ولؤم نجارهم
٤٧	الحسين في نهضته	مقتدٍ ومقتدى به
٥٦	ماهية النهضة الحسينية	حسب قدرتنا البشرية
٦٧	تضحية الحسين بنفسه	وبعض الفوائد التي توخاها
٨٠	الاسلام علوي	والتشيع حسيني
١٠٠	الأذان مضامينه العالية	في تضحية الحسين بنفسه
١١٧	الحسين المفكر السياسي	كيف يعرض عائلته للأسر
١٢٩	موقف زينب الكبرى	في حادثة اخيها العظمى
١٤٢	موقف وزيري الحسين	من عدوه ابن مرجانة
١٥٠	موقف زين العابدين	امام يزيد في عيد ظفره
١٦١	موقف عقيلة الهاشميين	في عاصمة الأمويين
١٧٨	شيعة علي والحسين	لماذا تقيم عزاء الحسين

لقد اجهدت نفسي كثيراً في اخراجه نقياً من الأخطاء والاغلاط وغربلته في التصحيح المرة تلو الأخرى، ولا اظنني ادركت القصد، فأستميح العذر من القراء الكرام - للمؤلف الربيعي -